www.kassioun.org

فلسطينيون

خطوة الى الأمام، خطوتان الى الوراء

www.kassioun.org

يا عمال العالم ، اتحدوا !

لينين

خطوة الى الامام، خطوتان الى الوراء

(الازمة في حزبنا)

دار التقدم
موسكو

www.kassioun.org

ترجمة : الياس شاهين

من الدار

هذه الترجمة لمؤلف لينين «خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء» تمت نقلا عن النص الوارد في المجلد الثامن من الطبعة الروسية الخامسة لمؤلفات لينين ، من اعداد معهد الماركسية-اللينينية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي .

طبع في الاتحاد السوفييتي

Л $\frac{10102—174}{014(01)—83}$ без объявл. 0101020000

www.kassioun.org

مقدمة

حين يستمر النضال طويلاً ، عنيداً ، حامي الوطيس ، تأتي عادة لحظة تأخذ تظهر فيها تقاط الخلاف المركزية ، الاساسية التي يتعلق على حلها مصير الحملة النهائي وتتضاءل ازاءها اكثر فاكثر جميع احداث النضال الصغيرة والتافهة على اختلافها .

وتلك هي حال الصراع الذي يحتدم في داخل حزبنا ويسترعي منذ ستة اشهر انتباه جميع اعضاء الحزب . ولأنه ترتب عليّ في هذا البحث الذي اقدمه للقارئ حول الصراع بمجمله ، ان اتناول كثرة من التفاصيل التي لا شأن لها واتطرق الى كثرة من المشاحنات الحقيرة التي لا قيمة لها في الاساس ، لذلك بالضبط اود منذ البدء ان الفت انتباه القارئ الى مسألتين مركزيتين ، اساسيتين حقاً ، هما على جانب بارز من الاهمية ، وشأن تاريخي لا مراء فيه ، الى ألحّ مسألتين سياسيتين مطروحتين على بساط البحث في حزبنا .

اولى هاتين المسألتين تتعلق بالمغزى السياسي لانقسام حزبنا الى «اغلبية» و«اقلية» . وهو الانقسام الذي جرى في المؤتمر الثاني للحزب ونبذ بعيداً الى الوراء جميع انقسامات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس السابقة .

والمسألة الثانية تتعلق بالمغزى المبدئي لموقف «الايسكرا» الجديدة (١) في حقل التنظيم ، هذا اذا كان حقاً موقفاً مبدئياً .

المسألة الاولى هي مسألة نقطة انطلاق الصراع في حزبنا ، ومنشئه ، واسبابه ، وطابعه السياسي الاساسي . والمسألة

www.kassioun.org

الثانية هي مسألة النتيجة النهائيـة لهذا الصراع ، ومصيره ، والرصيد المبدئي الذي نحصل عليه اذا جمعنا كل ما يمت بصلة الى المبادئ وطرحنا كل ما يمت بصلة الى المشاحنات الحقيرة . المسألة الاولى تُحَلّ بتحليل الصراع في مؤتمر الحزب ؛ والثانية تحل بتحليل المحتوى المبدئي الجديد لـ«لايسكرا» الجديدة . وكل من هذين التحليلين ، اللذين يشكلان تسعـــة اعشار كراسي ، يؤدي الى الاستنتاج التالي وهو ان «الاغلبية» هي الجناح الثوري في حزبنا ، وان «الاقلية» هي الجناح الانتهازي ؛ والخلافات التي تفصل حالياً بين هذين الجناحين ، انما تتعلـــق فقط بقضايـــا التنظيم ، لا بمسائل البرنامج او التكتيك ؛ ونهج المفاهيـــم الجديد ، الذي يبدو في «الايسكرا» الجديدة بوضوح يتزايـد بقدر ما تسعى الى تعميق موقفها وبقدر ما يتطهر هذا الموقف من جميع هذه المشاحنات الباطلة حول التعيين الداخلي ، انمـــا هو ضرب من الانتهازية في قضايا التنظيم .

ان العيب الرئيسي الذي يشوب المنشورات الموجودة في حوزتنا بصدد الازمة في حزبنا ، يتقوم ، فيما يخص دراســـة الوقائع وتفسيرها ، في انعدام كل تحليل لمحاضر مؤتمر الحزب انعداماً كلياً تقريباً ، وفيما يخص توضيح المبادئ الاساسية لمسألة التنظيم ، في انعدام كل تحليل حول الصلة التي تقوم بلا مراء بين خطأ الرفيقين مارتوف واكسلرود الجوهري في صياغـــة الفقرة الاولى من النظام الداخلي والدفاع عن هذه الصيغة مـن جهة ، ومن جهة اخرى ، بين كامل «نهج» (هذا اذا امكن القول ، هنا ، عن نهج) المبادئ الحالية التي تتبناها «الايسكرا» في مسألة التنظيم . ومن الظاهر ان هيئة التحرير الحالية في «الايسكرا» بلغ بها الامر الى حد انها لا تلاحظ هذه الصلة ، مع ان اهمية النقاش حول الفقرة الاولى قـــد اشير اليهـــا مراراً عديدة في منشورات «الاغلبية» . واليوم ، لا يفعل الرفيقان اكسلرود ومارتوف في الواقع غير التشديد من فداحة خطئهما الاولي حول الفقرة الاولى ، وغير تطويره وتوسيعه . وبالفعـــل ، ان كل موقف الانتهازيين في حقل التنظيم اخذ يتجلى في المناقشة التي دارت حول الفقرة الاولى : تأييدهم تنظيماً مائعـــاً للحزب ، لا

www.kassioun.org

لحمة فيه ، عداؤهم لفكرة (الفكرة «الدواوينية») بناء الحزب من القمة الى القاعدة ، ابتداء من مؤتمر الحزب والهيئات التي ينشئها المؤتمر ، ميلهم الى السير من القاعدة الى القمة ، وذلك بتخويل كل استاذ وكل طالب ، و«كل مضرب» حق لااعلان عن لفسه بانه عضو في الحزب ، عداؤهم «للشكليات» التي تتطلب من عضو الحزب ان ينتسب الى منظمة يعترف بها الحزب ، نزوعهم الى ذهنية المثقف البرجوازى المستعد «للاعتراف بعلاقات التنظيم بصورة افلاطونية» فقط ، انقيادهم لهذا التفكير الانتهازى العميق وللتعابير الفوضوية ، ميلهم الى الاستقلال الذاتي ضد المركزية ؛ وبكلمة ، كل ما يزدهر اليوم بفيض وغزارة في «الايسكرا» الجديدة ، ويسهم اكثر فاكثر في تعرية الخطأ الاولي حتى جذوره وفي توضيحه توضيحاً تاماً .

اما محاضر مؤتمر الحزب ، فان الاهمال الذى تلاقيه والذى لا تستحقه فعلاً ، لا يمكن تفسيره الا بكون مناقشاتنا قد تلطخت بمماحكات عقيمة ، وربما ايضاً بكون هذه المحاضر تنطوى على فيض من الحقائق المرة للغاية . ان محاضر مؤتمر الحزب تعطي صورة الوضع الحقيقي في حزبنا ، وهي صورة فريدة في نوعها ، لا مثيل لها من حيث الدقة والشمول والتنوع والغنى والصحة ، – صورة عن المفاهيم والامزجة والخطط ، رسمها المشتركون انفسهم في الحركة ، صورة تعكس التلاوين السياسية في الحزب وتبيّن قوتها النسبية ، وتفاعلها ، وصراعها . ومحاضر مؤتمر الحزب ، وحدها دون غيرها ، تبيّن لنا الى اي حد استطعنا حقاً ان نكنس كل ما تبقى من الصلات القديمة لنظام الحلقات الصرف وان نستعيض عنها بصلة كبيرة واحدة ، هي صلة الحزب . ان كل عضو من اعضاء الحزب يرغب في الاشتراك عن وعي في شؤون حزبه ، ملزم بان يدرس مؤتمر حزبنا بعناية . واقول : يدرس ، لان مجرد قراءة اكوام المواد الخام التي تنطوى عليها المحاضر لا يكفي لاعطاء صورة عن المؤتمر . فقط عن طريق الدراسة الدقيقة والشخصية يمكن (ويجب) التوصل الى ان تذوب في كل واحد موجزات الخطابات والمقتطفات والخلاصات الجافة من المناقشات ، والمجادلات

www.kassioun.org

الصغيرة حول المسائل الصغيرة (الصغيرة على ما يبدو) ؛ وتظهر سيماء كل خطيب بارز حية امام اعضاء الحزب ؛ ويتضح بكل دقة الوجه السياسي لكل فئة من فئات المندوبين في مؤتمر الحزب . ان كاتب هذه السطور سيعتبر ان عمله لم يذهب سدى اذا استطاع ان يعطي على الاقل حافزاً لدراسة محاضر مؤتمر الحزب دراسة واسعة وشخصية .

ثم كلمة عن خصوم الاشتراكية-الديموقراطية . انهم يهللون ويهرّجون شامتين لمرأى مناقشاتنا ؛ وبديهي انهم سيسعون الى التلويح بهذه المقاطع او تلك من كراسي الذي اكرسه لنواقص حزبنا وعيوبه ، قصد استغلالها لمآربهم . ولكن الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس قد تمرسوا في معمعان المعارك ، الى حد يقيهم مغبة الارتباك بسبب من هذه الوخزات ويحملهم على مواصلة عملهم في حقل الانتقاد الذاتي ، رغم هذه الوخزات ، وعلى الاستمرار في الكشف بلا هوادة عن نواقصهم التي لا بدّ ان يتغلب عليها حتماً نمو الحركة العمالية . فليحاول السادة اخصامنا ان يعرضوا علينا الوضع **الحقيقي** في «احزابهم» ، ان يرسموا لنا صورة تشبه ، وان من بعيد ، الصورة التي ترسمها محاضر مؤتمرنا الثاني !

ن . لينين

ايار (مايو) ١٩٠٤ .

www.kassioun.org

أ – تحضير المؤتمر

هناك قول مأثور مفاده انه يحق لكل امرئ ان يلعن قضاته طوال اربع وعشرين ساعة . ان مؤتمرنا الحزبي ، شأنه شأن اي مؤتمر لاي حزب ، كان ايضا قاضيا لعدة اشخاص طمعوا بمنصب القيادة وافلسوا افلاسا . والآن ، «يلعن» ممثلو «الاقلية» هؤلاء ، «قضاتهم» بسذاجة تبلغ حد اثارة الشفقة ، ويحاولون بجميع الوسائل تسويد صفحة المؤتمر ، وتقليل اهميته ومكانته . ولربما انعكس هذا الميل باشد الوضوح في مقال «براكتيك» (٢) الذي تثور ثائرته في العدد ٥٧ من «الايسكرا» لفكرة ان المؤتمر «صنم للعبادة» كلي السيادة . وهذه سمة مميزة صغيرة من سمات «الايسكرا» الجديدة ، لا يمكن لزوم الصمت حولها . فان هيئة التحرير ، التي يتألف قسمها الاكبر من اشخاص **نبذهم** المؤتمر ، لا تزال تسمي نفسها هيئة تحرير «الحزب» ، من جهة ؛ وتفتح ، من جهة اخرى ، ذراعيها لافراد يؤكدون ان المؤتمر ليس صنما للعبادة . هذا ظريف ، أليس كذلك ؟ اجل ، ايها السادة ، يقينا ان المؤتمر ليس صنما للعبادة ، ولكن ما عسانا نفكر باولئك الذين بدأوا «يهدمون» المؤتمر **بعد** ان منوا فيه بالهزيمة ؟

وبالفعل ، تذكروا الوقائع الرئيسية المتعلقة بتاريخ تحضير المؤتمر .

منذ البدء ، اعلنت «الايسكرا» في بلاغ يعود الى عام ١٩٠٠ وسبق صدورها ، انه قبل ان نتحد ، ينبغي ان نعين الحدود التي تفصل بيننا . وقد سعت «الايسكرا» لأن تجعل من المجلس العام

www.kassioun.org

لسنة ١٩٠٢ (٣) اجتماعاً خاصاً ، لا مؤتمراً للحزب * . وسلكت «الايسكرا» بكثير من الاحتراس في صيف وخريف ١٩٠٢ حين جددت اللجنة التنظيمية المنتخبة في هذا المجلس العام . واخيراً تم عمل تعيين الحدود ، واعترفنا به كلنا بالذات . وقد اكتسبت اللجنة التنظيمية شكلها الرسمي في اواخر ١٩٠٢ . وترحب «الايسكرا» بتوطيدها وتعلن – في مقالة **لهيئة التحرير** في عددها رقم ٣٢ – ان انعقاد مؤتمر الحزب ضرورة **من ألحّ** الضرورات واقلها قابلية للتأجيل * * . ولذا ، فان اقل ما يمكن لومنا بسببه ، هو اننا عجلنا في انعقاد المؤتمر الثاني . فلقد سرنا على هدى القاعدة التالية : عد للعشرة قبل ان تقرر ؛ وكان لنا كامل الحق المعنوي في ان نركن الى الرفاق بمعنى انهم ، بعد اتخاذ القرار ، لن يعمدوا الى التباكي والعد من جديد .

لقد صاغت اللجنة التنظيمية النظام الداخلي للمؤتمر الثاني ، فجاء نظاما في منتهى الدقة (شكليا ودواوينيا ، قد يقول اولئك الذين يغطون الآن بهاتين الكلمتين ميوعتهم السياسية) ؛ ومررت هذا النظام في جميع اللجان ، واقرته هي اخيرا بعد ان ادرجت في الفقرة ١٨ منه ، فيما ادرجت : «ان جميع احكام المؤتمر وجميع الانتخابات التي يجريها هذا المؤتمر تشكل قرارا حزبيا ، الزاميا على جميع منظمات الحزب . ولا يمكن لاي كان الطعن فيها باي ذريعة كانت ، ولا يمكن فسخها او تعديلها الا من جانب المؤتمر التالي للحزب» * * * . وفي الحقيقة ، أليست بريئة غير مؤذية بحد نفسها ، هذه الكلمات المقبولة ضمنا في حينها على انها نوع من البديهيات ، من باب تحصيل الحاصل ، ولكن اي دوي غريب لها اليوم ، فكأنها حكم صادر ضد «الاقلية» ! لأي غرض صيغت هذه الفقرة ؟ ألمجرد التقيد بالشكليات ؟ كلا ، طبعا . هذا القرار ، كان يبدو ضروريا ، وكان كذلك فعلا ،

---

* راجع محاضر المؤتمر الثاني ، ص ٢٠ .

* * راجع مقال لينين : «اعلان تشكيل «اللجنة التنظيمية» » . **الناشر** .

* * * راجع محاضر المؤتمر الثاني ، ص ٢٢ – ٢٣ و ٣٨٠ .

www.kassioun.org

لأن الحزب كان يتألف من فرق مجزأة ومستقلة ، من فرق كان يمكن التوقع منها الامتناع عن الاعتراف بالمؤتمر . هذا القرار كان يعرب على وجه الضبط عن **طيبة خاطر** جميع الثوريين (التي غالبا ما يتناولها الكلام اليوم ، لغير مناسبة ، وذلك باطلاق صفة «طيب» من باب تلطيف العبارة ، على ما يستحق بالاحرى نعت «متقلب الاهواء») . هذا القرار كان بمثابة **كلمة الشرف** التي اعطاها جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس بعضهم بعضا . وكان من المفروض فيه ان يضمن بان الجهود الهائلة المبذولة ، والاخطار ، والنفقات التي تطلبها المؤتمر ، لن تذهب عبثا ؛ بان المؤتمر لن يتحول الى مهزلة . وقد نعت سلفا كل تمنع عن الاعتراف بقرارات المؤتمر و**انتخاباته** بانه **طعن في الثقة** .

فممن تهزأ اذن «الايسكرا» الجديدة التي حققت اكتشافا جديدا حين زعمت ان المؤتمر ليس صنما للعبادة وان قراراته ليست كلية القداسة ؟ أينطوي اكتشافها على «مفاهيم جديدة في حقل التنظيم» ام ينطوي فقط على محاولات جديدة لطمس الآثار القديمة ؟

ب – اهمية التكتلات في المؤتمر

وهكذا عقد المؤتمر بعد تحضيرات في منتهى الدقة ، وبموجب تمثيل في اعلى درجات الكمال . وقد وجد الاعتراف العام بتركيب المؤتمر حسب الاصول وبطابع قراراته الالزامي **اطلاقا** تعبيرا عنه ايضا في التصريح الذي ادلى به الرئيس (ص ٥٤ من المحاضر) بعد اكتساب المؤتمر الشكل الرسمي .

فاية كانت اذن مهمة المؤتمر الرئيسية ؟ مهمة انشاء حزب **حقيقي** على المبادئ والاسس التنظيمية التي كانت صاغتها ووضعتها «الايسكرا» . ان يكون المؤتمر قد تعين عليه العمل على وجه الدقة في هذا الاتجاه ، ألا ان ذلك قد قررته سلفاً الاعوام الثلاثة من نشاط «الايسكرا» وكون اغلبية اللجان قد اعترفت بها . فكان لا بدّ ان يصبح برنامج «الايسكرا» واتجاهها برنامج الحزب واتجاهه ؛ وكان لا بدّ ان يثبت نظام الحزب الداخلي مخططات «الايسكرا» في حقل التنظيم . ولكنه غني عن

www.kassioun.org

البيان ان مثل هذه النتيجة لم يكن من الممكن الحصول عليها دون نضال : فان شمول التمثيل في المؤتمر أمّن ايضاً حضور منظمات كانت قد حاربت «الايسكرا» بحزم (البوند (٤) و«رابوتشييه ديلو» (٥)) ومنظمات كانت تعترف قولاً «بالايسكرا» صحيفة قائدة ، ولكنها تتبع فعلاً خططها الخاصة وتتميز بانعدام استقرارها من حيث المبادئ (فرقة «يوجني رابوتشي» (٦) ومندوبو بعض اللجان المنضمون اليها) . في هذه الاحوال ، كان لا بدّ ان يتحول المؤتمر الى **ميدان قتال من اجل انتصار الاتجاه الايسكري** . وان يكون المؤتمر قد كان فعلاً ميدان قتال كهذا ، ألا ان ذلك يبدو بوضوح لكل من يقرأ المحاضر حتى بقليل من الانتباه . ومهمتنا نحن الآن ان نتتبع بالتفصيل اهم التكتلات التي ظهرت في المؤتمر حول شتى المسائل ، وان نرسم من جديد ، وفقاً للمعطيات الدقيقة الواردة في المحاضر ، الوجه السياسي لكل من التكتلات الاساسية في المؤتمر . فماذا كانت على وجه الدقة هذه التكتلات والاتجاهات والتلاوين التي كان لا بدّ لها ان يندمج بعضها ببعض في المؤتمر ، تحت قيادة «الايسكرا» ، لكي تشكل حزباً واحداً ؟ هذا ما يتعين علينا ان نبيّنه بتحليل المناقشات والتصويتات . ان توضيح هذه النقطة لذو اهمية جوهرية سواء من اجل تبيان من هم في الواقع اصحابنا الاشتراكيون-الديموقراطيون ، ام من اجل فهم اسباب الخلافات . ولهذا ، في خطابي في مؤتمر العصبة (٧) وفي رسالتي الى هيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة ، وضعت في المرتبة الاولى ، على وجه الضبط ، تحليل مختلف التكتلات . ان مجادلتي بين ممثلي «الاقلية» (وعلى رأسهم مارتوف) لم يفقهوا اطلاقا جوهر المسألة . فقد اكتفوا في مؤتمر العصبة باجراء تصليحات جزئية ، «متبرئين» من التهمة الموجهة اليهم بانهم انعطفوا نحو الانتهازية ، حتى انهم لم يحاولوا ان يرسموا ، لمجادلتي ومعارضة رأيي ، **اي** لوحة **اخرى** للتكتلات في المؤتمر . وها هو ذا مارتوف يحاول الآن في «الايسكرا» (العدد ٥٦) ان يعرض جميع المحاولات لتعيين الحدود بكل دقة بين مختلف الكتل السياسية في المؤتمر على انها مجرد «مماحكات

www.kassioun.org

سياسية حلقية» . لقد اثخنتها ، ايها الرفيق مارتوف ! ولكـــن الكلمات القوية التي تتشدق بها «الايسكرا» الجديدة تملـــك خاصة اصيلة : حسبنا ان نرسم بدقة جميع مراحل الخلاف ، منذ المؤتمر ، حتى تنقلب جميع هذه الكلمات القوية ، **كليا وبالدرجة الاولى** ، على هيئة التحرير الحالية . فانظروا اذن الى وجوهكم بالمرآة ، ايهـــا السادة الذين يسمّون بالمحررين الحزبيين ، انتم الذين تثيرون قضية المماحكات السياسيـــة الحلقية !

ان وقائع نضالنا في المؤتمر لا تطيب لمارتوف اليوم الى حد انه يبذل قصارى جهده لطمسها تماما . وقـــد قال : «ان الايسكري ، انما هو ذاك الذي اعرب في مؤتمر الحزب وقبله عن تضامنه التام مع «الايسكرا» ، ودافع عن برنامجها ومفاهيمهـــا التنظيمية ودعم سياستها في حقل التنظيم . كان ثمة في المؤتمر اكثر من ٤٠ من هؤلاء الايسكريين ، وهو عدد الاصوات التي نالها برنامـــج «الايسكرا» والقرار الذي يعترف «بالايسكرا» جريدة الحزب المركزية» . تصفحوا محاضر المؤتمر ، تروا ان **الجميـــع** (ص ٢٣٣) قد وافقوا على البرنامج ، ما عدا اكيموف الذي استنكف . ولكن الرفيق مارتوف يريد على هذا النحو ان يحملنا على الاعتقاد بان البونديين ، وبروكر ومارتينوف ، **قـــد برهنوا** على «تضامنهم التام» مع «الايسكرا» **ودافعوا** عن مفاهيمها في حقل التنظيـــم ! هذا مدعاة للضحك ! ان تحول **جميـــع** المشتركين في المؤتمر ، **بعد** انتهاء اعماله الى اعضاء متساوين في الحزب (وحتى لا جميعهم ، اذ ان البونديين انسحبوا) يختلط هنا مع التكتل الذي استثار المعركة **في** المؤتمر . ودراســـة مسألة **من اي عناصر** تشكلت «الاغلبيـــة» و«الاقليـــة» بعد المؤتمر ، يستعاض عنها بجملة رسمية : لقد اعترفوا بالبرنامج !

خذوا تصويت الاعتراف «بالايسكرا» الجريدة المركزية ، تروا ان مارتينوف على وجه الدقة ، الذي ينسب اليه الرفيق مارتوف الآن ، بجرأة جديرة بمصير افضل ، الدفاع عن مفاهيم «الايسكرا» التنظيمية وسياستها في حقل التنظيم ، يصرّ على الفصل بين قسمين من القرار : مجرد الاعتراف «بالايسكرا» الجريدة

www.kassioun.org

المركزية والاعتراف بمآثرها . فلدن التصويت على القسم الاول من القرار (الاعتراف بمآثر «الايسكرا» ، الاعراب عن **التضامن** معها) ، جاء **٣٥ صوتا فقط** بالموافقة ، واثنان بالمعارضة (اكيموف وبروكر) ، واحد عشر صوتا بالاستنكاف (مارتينوف وخمسة بوندیین وخمسة اصوات من هيئة التحرير : اثنان من عندي ، واثنان من عند مارتوف ، وواحد من عند بليخانوف) . وهكذا يتضح فريق اخصام الايسكريين (خمسة بوندیین وثلاثة من انصار «رابوتشييه ديلو») بكل جلاء ، حتى هنا ، بهذا المثال الافيد لمفاهيم مارتوف **الحالية** ، بهذا المثال الذي اختاره هو بنفسه . خذوا التصويت على القسم الثاني من القرار : الاعتراف «بالايسكرا» الجريدة المركزية دون تبيان الاسباب ودون الاعراب عن التضامن (ص ١٤٧ من المحاضر) . **بالموافقة** صوت ٤٤ صوتا ينسبها المارتوف الحالي الى الايسكريين . كان هناك بالاجمال ٥١ صوتا ؛ بعد حذف اصوات المحررين الخمسة بالاستنكاف ، يبقى ٤٦ ؛ اثنان صوتا **ضد** (اكيموف وبروكر) ؛ وعليه يكون **البونديون الخمسة جميعهم** من اصل الـ٤٤ الباقية . وهكذا «أعرب» البونديون ، في المؤتمر ، «عن تضامنهم التام مع «الايسكرا»» ، وعلى هذا النحو تكتب «الايسكرا» الرسمية التاريخ الرسمي ! ومسبقا ، نوضح للقراء الدوافع الحقيقية لهذه الحقيقة الرسمية : **لو ان البوندیین وانصار «رابوتشييه ديلو» لم يغادروا المؤتمر** ، لكان في مقدور هيئة التحرير الحالية «للايسكرا» ان تكون ولكانت فعلا هيئة تحرير حزبية (لا هيئة تحرير حزبية مزيفة ، كما هي عليه الآن) . ولهذا السبب كان ينبغي اعلاء شأن هؤلاء الحراس الامناء جدا لهيئة التحرير الحالية المزعومة بانها هيئة حزبية ، وتنصيبهم «ايسكريين» . ولكننا سنعود الى هذا الموضوع ونتناوله بالتفصيل .

ثم يوضع السؤال التالي : اذا كان المؤتمر قد غدا حلبة صراع بين العناصر الايسكرية والعناصر المخاصمة لها ، أفلم تكن ثمة عناصر وسطية ، متقلقلة ، تتأرجح بين هذه وتلك ؟ ان كل من يعرف نوعا ما حزبنا والسيماء العادية للمؤتمرات على اختلاف انواعها ، سيميل مسبقا الى الاجابة عن هذا السؤال

www.kassioun.org

بالتأكيد . بيد ان الرفيق مارتوف لا يستشعر الآن باي رغبة في ذكر هذه العناصر المتقلقلة ، وهو يصور فرقة «يوجنـــي رابوتشي» مع المندوبين الذين يدورون فيفلكها ، على انهـــم ايسكريون موصوفون ، ويصور خلافاتنا معهم على انها تافهة لا اهمية لها . ومن حسن الحظ ان لدينا الآن امام عيوننا النص الكامل للمحاضر ، ونستطيع ان نحل هذه المسألة – مسألـــة الواقع ، بالطبع – على اساس معطيات وثائقية . يقينا ان ما قلناه اعلاه عن التكتل الاجمالي في المؤتمر لا يبتغي اطلاقا حل هذه المسألة ، بل طرحها فقط بصورة صحيحة .

ودون تحليل التكتلات السياسية ، دون رسم لوحـــة المؤتمر ، من حيث الصراع بين هذه التلاوين وتلك ، يستحيل فهم اي شيء من خلافاتنا . وما محاولة مارتوف لتمويه الفرق في التلاوين ، بتصنيفه حتى البوندين في عداد الايسكريين ، الا محاولة للتهرب من المسألة . ومسبقا ، واستنادا الى تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية الروسية قبل المؤتمر ، ترتسم (بغية تحقيق جديد ودراسة معمقة) ثلاث فرق رئيسية : الايسكريون ، واخصام الايسكريين ، والعناصر المتقلقلة ، المترددة ، المترنحة .

ج – بداية المؤتمر . – حادث اللجنة التنظيمية

ان خير طريقة لتحليل المناقشات والتصويتات في المؤتمر ، انما تتقوم في اتباع تسلسل الجلسات من اجل ملاحظة جميع التلاوين السياسية التي ترتسم بوضوح متزايد وتسجيلها على التوالي . واننا لن نحيد عن التسلسل التاريخـــي الا في حال الضرورة القصوى ، وذلك لكي نبحث معاً بعض القضايا المترابطة او بعض التكتلات ذات الطبيعة الواحدة . ولاجل عدم الانحياز ، سنحاول ان نسجل **جميع** التصويتات الهامة ، تاركين جانباً ، طبعاً ، جملة من التصويتات حول مسائل تفصيلية استغرقت في مؤتمرنا كثيراً جداً من الوقت (جزئياً بسبب من عدم تجربتنا ومن سوء توزيع العمل بين جلسات اللجان والجلسات العامة ، وجزئياً بسبب من المماطلات التي تقرب من العرقلة) .

www.kassioun.org

ان المسألة الاولى التي استثارت مناقشات بدأت تظهر مختلف التلاوين ، كانت تتعلق بتخصيص المكان الاول (في «جدول اعمال» المؤتمر) للنقطة التالية : «وضع البوند في الحزب» (ص ٢٩–٣٣ من المحاضر) . فمن وجهة نظر الايسكريين التي دافع عنها بليخانوف ومارتوف وتروتسكي وانا ، لم يكن بالامكان ان يكون ثمة اي شك في هذا الصدد . فبكل وضوح اثبت انسحاب البوند من الحزب صحة وجهة نظرنا : اذا كان البوند لم يشأ ان يسير معنا ، ولا ان يقبل المبادئ التنظيمية التي كانت تدين بها ، مع «الايسكرا» ،اغلبية الحزب ، فقد كان عبثاً وخلافاً للحس السليم ، «التظاهر» بالسير معاً وتطويل المؤتمر على هذا النحو (كما فعل البونديون) . ولقد سبق لمنشوراتنا ان انارت القضية كليا ، وكان بديهياً بنظر كل عضو من اعضاء الحزب فكّير نوعاً ، انه لم يبق غير طرح المسألة بصورة مكشوفة والاختيار بكل صراحة واستقامة : اما الاستقلال الذاتي (نسير معاً) واما الاتحاد الفيديرالي (نتفارق) .

ان البونديين ، الذين تقوم كل سياستهم على المراوغة والمداورة ، قد ارادوا هنا ايضاً ان يتهربوا ، بتأخير حل المسألة . وينضم الرفيق اكيموف اليهم ، وسرعان ما يقدم ، وربما باسم جميع انصار «رابوتشييه ديلو» ، ويصوغ خلافاتهم مع «الايسكرا» في حقل التنظيم (ص ٣١ من المحاضر) . والى جانب البوند و«رابوتشييه ديلو» يقف الرفيق ماخوف (صوتان من لجنة نيقولاييف التي اعلنت قبيل ذاك بقليل تضامنهـــا مع «الايسكرا» !) . فالمسألة ، بالنسبة للرفيق ماخوف ، غير واضحة اطلاقاً ، و«النقطة العصيبة» بالنسبة له ، انما هي ايضاً «مسألة التركيب الديموقراطي او بالعكس ، (لاحظوا هذا جيداً !) ، مسألة المركزية» – شأنه بالضبط شأن اكثرية هيئة التحرير «الحزبية» الحالية عندنا التي لم تلاحظ بعد هذه «النقطة العصيبة» اثناء المؤتمر !

وهكذا ، ضد الايسكريين يهب البوند و«رابوتشييه ديلو» والرفيق ماخوف ، جامعين معاً الاصوات العشرة التي عارضتنا (ص ٣٣) بينما **أيدنا ٣٠ صوتاً** ، وحول هذا الرقم ، كما سنرى

www.kassioun.org

عما قريب ، تتراوح غالباً اصوات الايسكريين . ويظهر انه استنكف احد عشر صوتاً ، لم تنضم ، كما يبدو ، الى اي من «الحزبين» المتصارعين . ومن الطريف ان نشير الى ان الاصوات بالموافقة والاستنكافات عند التصويت على الفقرة الثانية من نظام البوند الداخلي (ان رفض الفقرة الثانية هذه قد ادى الى انسحاب البوند من الحزب) كانت ايضاً ١٠ (ص ٢٨٩ من المحاضر) ؛ هذا مع العلم ان اعضاء «رابوتشييه ديلو» الثلاثة (بروكر ومارتينوف واكيموف) والرفيق ماخوف هم الذين استنكفوا . وبديهي ان التصويت على **المكان** الواجب تخصيصه لمسألة البوند قد اعطى تكتلاً **لا يتصف باي طابع عرضي** . وبديهي ان جميع هؤلاء الرفاق كانوا على خلاف مع «الايسكرا» ، لا حول هذه النقطة التكنيكية من جدول المناقشة وحسب ، **بل ايضاً حول الجوهر** . وان هذا الخلاف من جانب «رابوتشييه ديلو» قد كان من حيث الجوهر واضحا لكل امرئ ؛ فان الرفيق ماخوف وصف موقفه بصورة رائعة في خطابه بصدد انسحاب البوند (ص ٢٨٩–٢٩٠ من المحاضر) . ويجدر التوقف عند هذا الخطاب . يقول الرفيق ماخوف : بعد القرار الذي رفض الاتحاد الفيديرالي ، «تحولت مسألة موقف البوند في حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا من مسألة مبدئية بالنسبة للبوند الى مسألة من مسائل السياسة الواقعية بالنسبة للمنظمة القوميـــة التي تشكلت تاريخيا . ولم استطع هنا ، – يواصل الخطيب ، – ان لا آخذ بعين الاعتبار جميع العواقب التي كان من الممكن ان تظهر نتيجة لتصويتنا ، ولذلك صَوَّتُ بالموافقة على الفقرة الثانيـــة بمجملها» . لقد استوعب الرفيق ماخوف روح «السياسة الواقعية» بصورة رائعة : **فقد** رفض الاتحاد مبدئيـــا **ولذلك صوّت** في الواقع بالموافقة على فقرة في النظام الداخلي تمرر هذا الاتحاد ! وها ان هذا الرفيق «الواقعي» يشرح موقفه العميق المبدئيـــة بالكلمات التالية : «ومع ذلك (فيا لله «مع ذلك» الشهير على طريقة شيدرين !) بما ان هذا التصويت او ذاك من تصويتاتي قد اتسم بطابع مبدئي فقط (!!) ولم يكن في امكانه ان يتسم بطابع عملي نظراً للتصويت الاجماعي تقريبا من قبل سائر

www.kassioun.org

المشتركين في المؤتمر ، فضلت الاستنكاف عن التصويت لكي ابين مبدئيا» . . . (اعوذ بالله من مثل هذه المبدئية !) . . . «الفرق بين موقفي في هذه الحال وبين الموقف الذي دافع عنه مندوبو البوند الذين صوتوا بالموافقـــة على الفقرة . وبالعكس : لو استنكف مندوبو البوند عن التصويت بشأن هذه الفقرة ، وقد اصرّوا على ذلك من قبل ، لكنت صوتّ بالموافقة عليها» . ليفهم من يستطيع ان يفهم ! فان الرجل المبدئي يستنكف عن ان يقول «نعم» بصوت عال لان ذلك غير مفيد عمليا حين يقول الجميع «لا» .

بعد التصويت على مشكلة مكان مسألة البوند ، ظهرت في المؤتمر مسألة فرقة «بوربا» (٨) ، التي ادت هي ايضاً الى تكتل غاية في الطرافة ؛ ثم ان هذه المسألة وثيقة الارتباط «باعصـــب» مسألة في المؤتمر ، ونعني بها قوام الهيئات المركزية . ان اللجنة المكلفة بتحديد تركيب المؤتمر تعارض دعوة فرقة «بوربا» ، وفقاً لقرار اتخذته **مرتين** اللجنة التنظيمية (انظر ص ص ٣٨٣ و ٣٧٥ من المحاضر) ولتقرير **ممثليها في اللجنة** (ص ٣٥) .

ويعلن الرفيق ايغوروف ، **عضو اللجنة التنظيمية** ، ان «مسألة فرقة «بوربا» (لاحظوا هذا جيداً : فرقة «بوربا» ، لا هذا العضو او ذاك من اعضائها) جديدة بالنسبة له» ويطلب تعليق الجلسة . كيف يمكن لمسألة بتت بها اللجنة التنظيمية مرتين ان تكون مسألة جديدة بالنسبـــة لاحد اعضائها ؟ سر . واثناء الانقطاع ، عقدت اللجنة التنظيمية جلسة (ص ٤٠ من المحاضر) بقوامها كما وجد صدفة في المؤتمر (اذ ان عدداً من اعضائها) ، وهم من قدماء اعضاء منظمة «الايسكرا» ، كانوا غائبين) * . وتبدأ المناقشات حول «بوربا» . فيعلن انصار «رابوتشييه ديلو» تأييدهم (مارتينوف واكيموف وبروكر ، ص ٣٦–٣٨) . ويعارض الايسكريون (بافلوفيتش ، سوروكين ، لانغـــه ، تروتسكي ، مارتوف ، وغيرهم) . وينقسم المؤتمر من جديد على

* فيما يخص هذه الجلسة راجع «رسالة» بافلوفيتش ، عضو اللجنة التنظيمية الذي انتخب **بالاجماع** قبل المؤتمر بوصفه موضع الثقة لهيئة التحرير وعضوا سابعا فيها (محاضر العصبة ، ص ٤٤) .

www.kassioun.org

النحو التكتلي الذي نعرف . ويحتدم الصراع حول «بوربا» ، ضارياً ؛ ويلقي الرفيق مارتوف خطاباً «قتالياً» ومسهبا جدا (ص ٣٨) . ويشير بحق الى «عدم المساواة في تمثيل» الفرق في روسيا والفرق في الخارج ، والى انه من المشكوك فيه ان يكون من الامور «الحسنة» منح فرقة الخارج «امتيازاً» (كلمات من ذهب ، بليغة الدلالة اليوم خاصة من وجهة نظر الاحداث التي عقبت المؤتمر !) ، والى انه لا يجب تشجيع «الفوضى في الحزب في حقل التنظيم ، وهي تتصف بتجزؤ لا يبرره اي اعتبار مبدئي» (سهم لا في الحاجب بل في العين . . . عين «اقلية» مؤتمر حزبنا !) . وعدا انصار «رابوتشييه ديلو» ، **لم يعمد احد** حتى اختتام لائحة الخطباء ، الى تأييد «بوربا» بصورة مكشوفة مدعومة بالمبررات (ص ٤٠) : يجب ان نقر للرفيق اكيموف واصدقائه بانهم ، على الاقل ، لم يواربوا ولم يختبئوا ، بل واصلوا خطتهم على المكشوف ، وتحدثوا على المكشوف عما كانوا يريدون .

بعد اختتام لائحة الخطباء ، حين لم يبق بالامكان ابداء الرأي **في الجوهر** ، «يطلب» الرفيق ايغوروف «باصرار ، الاستماع الى القرار الذي اتخذته اللجنة التنظيمية للمتو» . فلا غرابة اذا استاء اعضاء المؤتمر من هذا الاسلوب ، واذا كان الرفيق بليخانوف الذي يرأس الجلسة «يستغرب اصرار الرفيق ايغوروف على طلبه» . وبالفعل ، هناك ، على ما يبدو ، امران لا ثالث لهما : ينبغي اما ابداء الرأي بصراحة ووضوح امام المؤتمر كله في جوهر المسألة ، واما عدم ابداء الرأي اطلاقاً . ولكن ، ان تدع اولا لائحة الخطباء تصل الى ختامها لكي تتقدم فيما **بعد** من المؤتمر ، تحت ستار «كلمة الختام» ، بقرار **جديد** للجنة التنظيمية ، وبالضبط حول المسألة التي دار النقاش حولها ، ألا ان هذه ضربة غادرة !

وتستأنف الجلسة بعد الظهر ، ويقرر المكتب ، ولا يزال محتاراً ، ان يبتعد عن «الشكل» وان يلجأ الى وسيلة اخيرة لا يُلجأ اليها في المؤتمرات الا في حال الضرورة القصوى ، هي «الاستيضاح الرفاقي» . ويتلو بوبوف ، ممثل اللجنة التنظيمية ، قرار هذه اللجنة الذي اتخذه جميع اعضائها ضد واحد فقط ،

www.kassioun.org

هو بافلوفيتش (ص ٤٣) ، والذي يقترح على المؤتمر دعوة ريازانوف .

ويصرّح بافلوفيتش انه انكر ولا يزال ينكر شرعية اجتماع اللجنة التنظيمية ، وان قرار اللجنة التنظيمية الجديد «**يناقض قرارها السابق**» . ويثير هذا التصريح عاصفة . ويتجنب الرفيق ايغوروف ، وهو ايضا عضو اللجنة التنظيمية وعضو فرقة «يوجني رابوتشي» ، الجواب في جوهر المسألة ويحاول تحويل النقاش نحو الطاعة والنظام . ويزعم ان الرفيق بافلوفيتش قد انتهك طاعة الحزب (!) اذ ان اللجنة التنظيمية ، بعد ان تداولت في احتجاجه ، قررت «ان لا تطلع المؤتمر على الرأى الذي انفرد به بافلوفيتش» . وتنحرف المناقشات وتدور حول طاعة الحزب . ويلقي بليخانوف درساً على الرفيق ايغوروف ، وسط تصفيق المؤتمر الحاد : «**لا توجد عندنا التفويضات الالزامية**» (ص ٤٢ ، راجع ص ٣٧٩ ، النظام الداخلي للمؤتمر ، الفقرة ٧ : «ان صلاحيات المندوبين ينبغي ان لا تحدها التفويضات الالزامية . فهم احرار ومستقلون تماماً في ممارسة صلاحياتهم») . «المؤتمر هو الهيئة العليا للحزب» . اذن ، ينتهك طاعة الحزب والنظام الداخلي للمؤتمر كل من يمنع مندوباً بشكل او بآخر ، من التوجه **مباشرة** الى المؤتمر في **جميع** المسائل المتعلقة بحياة الحزب ، دون استثناء ، بلا قيد ولا شرط . وبالتالي ينحصر موضوع الجدال في احد امرين : اما الروح الحلقي واما الروح الحزبي ؟ اما تحديد حقوق المندوبين في المؤتمر باسم حقوق وهمية او انظمة وهمية لشتى انواع الهيئات او الحلقات ، واما حل **جميع** الهيئات الدنيا والكتل الصغيرة السابقة في المؤتمر ، حلاً **كاملاً** ، لا قولا وحسب ، بل فعلا ايضاً ، الى ان تنشأ هيئات رسمية حزبية حقا . ومن هنا يرى القارئ المغزى المبدئي الهائل لهذه المناقشة التي قامت منذ بداية المؤتمر (الجلسة الثالثة) الذي استهدف اعادة تشكيل الحزب عملياً . وفي هذا النقاش ، تركّز ، اذا جاز القول ، النزاع بين الحلقات القديمة والفرق الصغيرة (من نوع «يوجني رابوتشي») من جهة ، والحزب المنبعث من جهة اخرى . واذا فرق اخصام الايسكريين تبرز على

www.kassioun.org

الفور : فالبوندي ابرامسون ، والرفيق مارتينوف ، الحليـــف المتحمس لهيئة تحرير «الايسكرا» الحالية ، وصاحبنا الرفيق ماخوف – جميعهم يؤيدون ايغوروف وفرقة «يوجني رابوتشي» ضد بافلوفيتش . والرفيق مارتينوف ، الذي يتنافس ، اليوم ، حمية وهمة مع مارتوف واكسلرود لكي يعرض «نزعته الديموقراطية» في حقل التنظيم ، يستشهد حتى . . . بالجيش ، حيث لا يمكن الرجوع الى هيئة عليا الا بواسطة الهيئة الدنيا ! ! ان المعنى الحقيقي لهذه المعارضة «المتراصة» من جانب اخصام الايسكريين كان جلياً تماماً بالنسبة لجميع الذين حضروا المؤتمر او تتبعوا بانتباه تاريخ حزبنا الداخلي قبل المؤتمر . فقد كان هدف المعارضة (الذي ربما لم يكن جميع اعضائها يدركونه دائماً وكانوا احياناً يذودون عنه بقوة الاستمرار) يتقوم في الدفاع عن استقلال الفرق الصغيرة ، وخصائصها المميزة ومصالحها الضيقة ، ضد ابتلاعها من قبل حزب واسع يبنى على مبادئ «الايسكرا» .

من وجهة النظر هذه بالضبط ، تناول الرفيق مارتوف ايضا المسألة ، وكان آنذاك لم يتحالف بعد مع مارتينوف فالرفيق مارتوف يحمل بعزم ، وبحـــق ، على اولئك الذين «لا يمضون ، في مفهومهم عن الطاعة الحزبية ، الى ما وراء الواجبات المترتبة على الثوري ازاء الفرقة **الدنيا** التي هو عضو فيها» . «ان اي تكتل **بالاكراه** (اشارة التأكيد لمارتوف) غير مقبول في حزب موحد» ، هكذا يفسر مارتوف لانصار الحلقات ، دون ان يتوقع انه بهذه الكلمات ، انما يندد بسلوكه السياسي بالذات عند نهاية المؤتمر وبعد المؤتمر . . . ان التكتل بالاكراه غير مقبول بالنسبة للجنة التنظيمية ، ولكنه مقبول تماما بالنسبة لهيئة التحرير . والتكتل بالاكراه يشجبه مارتوف الذي ينظر من المركز ؛ ويدافع عنـــه مارتوف ما ان يستاء من تركيب المركز . . .

ومن الطريف ان نلاحظ ان الرفيق مارتوف قد اشار بصورة خاصة ، في خطابه ، علاوة على «الخطأ الجسيم» الذي اقترفه الرفيق ايغوروف ، الى انعدام الاستقرار السياسي الذي ابدته اللجنة التنظيمية . قال مارتوف مستاء على حق : «قدّم اقتراح

www.kassioun.org

باسم اللجنة التنظيمية **يعاكس** تقرير اللجنة (المرتكز ، ونقول هذا من جانبنا ، على تقرير اعضاء اللجنة التنظيمية : ص ٤٣ ، كلمات كولتسوف) ، وكذلك **الاقتراحات السابقة التي تقدمت بها اللجنة التنظيمية**» (اشارة التأكيد مني) . وهكذا ، كما ترون ، ادرك مارتوف جيدا جدا **آنذاك** ، قبل ان يقوم «بانعطافه» ، ان احلال ريازانوف محل «بوربا» لن ينفي اطلاقا ما يتسم به نشاط اللجنة التنظيمية من طابع متناقض ومتردد كليا (ان محاضر مؤتمر العصبة ، ص ٥٧ ، هي التي تستطيع ان تفيد اعضاء الحزب كيف كان مارتوف يتصور الوضع بعد ان قام بانعطافه) . فان مارتوف لم يكتف آنذاك بتحليل قضية الطاعة ؛ بل سأل اللجنة التنظيمية ايضا بكل وضوح وصراحة : «اي جديد طرأ حتى يصبح من الضروري اجراء **تغيير** ؟» (اشارة التأكيد مني) . اذ ان اللجنة التنظيمية ، حين تقدمت باقتراحها ، لم تتحل ، بالفعل ، حتى بالشجاعة الكافية للدفاع عن رأيها علنا وجهارا ، كما فعل اكيموف والآخرون . وهذا ما ينكره مارتوف (محاضر العصبة ، ص ٥٦) ، ولكن قرّاء محاضر المؤتمر سيرون ان مارتوف على خطأ . فان بوبوف ، الذي يقدم اقتراحا باسم اللجنة التنظيمية ، لا ينبس **ببنت شفة** عن الدوافع (ص ٤١ من محاضر مؤتمر الحزب) . وينقل ايغوروف المسألة الى الطاعة ، ولا يقول في الاساس إلا ما يلي : «من الممكن ان تكون اللجنة التنظيمية قد ملكت اعتبارات جديدة» . . . (اما ان هذه الاعتبارات قد ظهرت ، واي هي ، فهذا ما لا يزال مجهولا) . . . «ومن الممكن ان تكون قد نسيت ادخال احدهم ، الخ .» . (هذه الكلمة «الخ .» ، هي الملجأ الوحيد امام الخطيب ، لأنه لم يكن من الممكن للجنة التنظيمية ان **تنسى** مسألة «بوربا» التي سبق ان بحثتها مرتين قبل المؤتمر ومرة اخرى امام اللجنة الفرعية) . «ان اللجنة التنظيمية قد اتخذت هذا القرار ، لا لأنها غيرت موقفها من فرقة «بوربا» ، بل لأنها تريد ان تقضي على المعاثر الزائدة في طريق منظمة الحزب المركزية المقبلة حين تخطو اولى خطوات نشاطها» . ليس هذا تعليلا ، انما هو تهرب منه . فكل اشتراكي-ديموقراطي مخلص (واننا لا نقبل حتى الشك في اخلاص

www.kassioun.org

اي مؤتمري كان) يحرص على ازالة ما **يعتبره** معثرة ، على ازالته **بالوسائل** التي **يراها** مفيدة . ان يعرض المرء الاسباب ، ان يعلل ، انما يعني انه يشرح ويصوغ بدقة رأيه في الامور ، بدلا من ان يتخلص بحقيقة بديهية ، من باب تحصيل الحاصل . ولولا «تغيير الموقف من «بوربا»» ، **لاستحال** عرض الاسباب ، لأن القرارات السابقة ، القرارات المعارضة التي اتخذتها اللجنة التنظيمية ، قد حرصت ايضا على ازالة المعاثر ، ولكنها كانت تراها على وجه الدقة في العكس . وهكذا فان الرفيق مارتوف قد هاجم هذه الحجة بكثير من العنف وكثير من الحق ، ونعتها بانها «**تافهة**» وناجمة عن الرغبة في «التملص» ، ونصح اللجنة التنظيمية «**بالا تخشى ما سيقوله الناس**» . بهذه الكلمات وصف الرفيق مارتوف وصفا رائعا جوهر ومغزى التلوين السياسي الذي اضطلع بدور هائل في المؤتمر والذي يمتاز على وجه الضبط بالتفاهة ، وانعدام الاستقلال ، وانعدام الخطة الخاصة ، بالخشية مما سيقوله الناس ، بالتأرجحات الدائمة بين الطرفين الواضحي المعالم والحدود ، بالخوف من عرض الـ *credo** ، علنا وجهارا ، وبكلمة ، بتورطه في المستنقع** .

ان هذه الميوعة السياسية عند الفرقة المتقلقلة قد آلت ، فيما آلت اليه ، الى ان **احدا** ، ما عدا البوندي يودين (ص ٥٣) ، لم يقدم في المؤتمر مشروع قرار بدعوة عضو من اعضاء فرقة «بوربا» . وقد صوتت لمشروع قرار يودين خمسة اصوات ، جميعها ، يقينا ، اصوات البونديين : وهكذا انتقلت

---

* رمز ايمان ، برنامج ، عرض عقيدة . **الناشر** .

** هناك الآن في حزبنا ، من اذا سمعوا هذه الكلمة ، تملكهم الذعر ، وزعقوا بمناظرة خالية من كل روح رفاقية . فاي تشويه غريب للاحساس تحت تأثير الرسمي . . .مطبقا في غير ظرفه ! يكاد لا يكون ثمة حزب سياسي عرف الصراع الداخلي واستغنى عن هذا التعبير الذي يستعمل دائما لتعيين العناصر المتقلقلة ، التي تتأرجح بين المتحاربين . والالمان الذين يعرفون كيف يبقون الصراع الداخلي في نطاق لائق تماما ، لا يستاؤون من كلمة «versumpft» («المستنقعي» . **الناشر** .) ولا يتملكهم الذعر ، ولا يبدون **اي** pruderie (تصنع العفة . **الناشر** .) رسمي مضحك .

www.kassioun.org

العناصر المتقلقلة مرة اخرى من جانب الى آخر ! اما ما كان عليه تقريبا عدد اصوات الفرقة الوسطية ، فهذا ما بينه التصويتان على مشروعي قراري كولتسوف ويودين حول هذه النقطة : مشروع القرار الايسكري ، نال ٣٢ صوتا (ص ٤٧) ، البوندي ، ١٦ ، اى انه نال علاوة على ٨ اصوات اخصام الايسكريين صوتي الرفيق ماخوف (راجع ص ٤٦) واربعة اصوات فرقة «يوجني رابوتشي» وصوتين آخرين ايضا . وسنبين الآن انه لا يمكن اطلاقا اعتبار هذا التوزيع من باب الصدفة ، ولكننا نشير اولا بايجاز الى رأي مارتوف **حاليا** حول هذا الحادث مع اللجنة التنظيمية . فقد اكد مارتوف امام العصبة ان «بافلوفيتش والآخرين قد هيّجوا الاهواء والشهوات» . حسبنا ان نراجع محاضر المؤتمر فنرى ان اكثر الخطب تفصيلا ، واشدها حماسة ، واوفرها حدة ضد «بوربا» واللجنة التنظيمية انما تخص مارتوف بالذات . فهو في سعيه الى القاء «الذنب» على بافلوفيتش ، لا يفعل غير ان يبرهن عن تقلقله : فقبل المؤتمر ، كان قد اختار بافلوفيتش بالضبط عضوا سابعا في هيئة التحرير ، وفي المؤتمر ، انضم كليا الى بافلوفيتش (ص ٤٤) ضد ايغوروف . ثم راح يتهم بافلوفيتش «بتهييج الاهواء والشهوات» ، بعد ان انزل به بافلوفيتش الهزيمة . هذا ، بكل بساطة ، مضحك .

في العدد ٥٦ من «الايسكرا» ، يتهكم مارتوف ويسخر لأنه تولى اهمية كبيرة لدعوة زيد او عمرو . ولكن هذا التهكم ينقلب من جديد على مارتوف ، لأن حادث اللجنة التنظيمية على وجه الضبط قد كان بمثابة فاتحة للمناقشات حول مسألة «هامة» كما هي عليه دعوة زيد او عمرو الى اللجنة المركزية والى الجريدة المركزية . وليس حسنا ان يستخدم المرء مقياسين مختلفين ، حسبما يكون المقصود «فرقته» **بالذات** «من الرتبة الدنيا» (بالنسبة للحزب) او فرقة **اخرى** . وهذا بالضبط ضرب من التفاهة وضيق الافق والروح الحلقي ، وليس بموقف حزبي . وان مجرد مقارنة بين خطاب مارتوف امام العصبة (ص ٥٧) وخطابه في المؤتمر (ص ٤٤) يثبت ذلك كفاية . قال مارتوف فيما قاله للعصبة : «انا لا افهم كيف يجد الناس وسيلة يقولون

www.kassioun.org

بها عن انفسهم باي ثمن كان انهم ايسكريون ويخجلون في الوقت نفسه من ان يكونوا ايسكريين» . عدم فهم غريب للفرق بين ان «يقول المرء عن نفسه» وبين «ان يكون» ، بين القول والعمل . ومارتوف ذاته **سمّى نفسه** في المؤتمر خصما للتكتلات بالاكراه ، ولكنه **كان** بعد المؤتمر من انصارها . . .

د – حل فرقة «يوجني رابوتشي»

قد يبدو انقسام المندوبين في مسألة اللجنة التنظيمية امراً عرضياً . ولكن مثل هذا الرأي خاطئ ؛ ولتفنيد هذا الرأي ، نطرح جانباً التسلسل التاريخي ونبحث فوراً حدثاً وقع في نهاية المؤتمر ولكنه مرتبط بالسابق أوثق الارتباط . هذا الحدث ، انما هو حل فرقة «يوجني‌رابوتشي» . فضد الميول الايسكرية في حقل التنظيم – التلاحم المطلق بين قوى الحزب وازالة الفوضى التي تقسمها – برزت هنا مصالح فرقة **واحدة** من‌الفرق ، فرقة قامت بعمل مفيد ، طالما لم يكن ثمة اي حزب حقيقي ، ولكنها غدت نافلة ، زائدة ، بعد مركزة العمل . فاذا لم نأخذ بالحسبان الا المصالح الحلقية ، فقد كان لفرقة «يوجني رابوتشي» من الحقوق في الحفاظ على «استمرار»ها وعلى عصمتها قدر ما كان لهيئة تحرير «الايسكرا» القديمة . ولكننا اذا اخذنا بالحسبان مصالح الحزب ، فقد كان على هذه الفرقة ان تخضع لنقل قواها «الى منظمات الحزب المناسبة» (ص ٣١٣ ، نهاية القرار الذي اتخذه المؤتمر) . فمن وجهة نظر المصالح الحلقية ، من وجهة نظر «التفاهة وضيق الافق» ، كان بالضرورة «شيئاً دقيقاً» (تعبير الرفيقين روسوف ودويتْش) حل فرقة مفيدة ، لا تريد ان تقبل بحل نفسها ، مثلها مثل هيئة تحرير «الايسكرا» القديمة . اما من وجهة نظر مصالح الحزب ، فكان لا بدّ من هذا الحل ، من هذا «الانصهار» (تعبير غوسيف) في الحزب . وقد صرّحت فرقة «يوجني رابوتشي» بكل وضوح انها «لا ترى من المفيد» ان تعلن حل نفسها وانها تطلب «ان يبدي المؤتمر رأيه قطعاً» بهذا الصدد ، وذلك «فوراً : نعم او لا» . وبكل صراحة تذرعت

www.kassioun.org

فرقة «يوجني رابوتشي» بهذا «الاستمرار» نفسه الذي تذرعت به هيئة تحرير «الايسكرا» القديمة . . . بعد حلها ! قال الرفيق ايغوروف : «رغم اننا جميعاً – كلاً منا مأخوذاً على حدة – نؤلف حزباً واحداً ، الا ان هذا الحزب يتألف مع ذلك من جملة كاملة من المنظمات ينبغي اخذها بالحسبان بوصفها **قيماً تاريخية** . . . واذا كانت مثل هذه المنظمة **لا تضر بالحزب** ، فلا **فائدة من حلها**» .

وهكذا طرحت مسألة **مبدئية** هامة بصورة دقيقة جداً ، وقد وقف جميع الايسكريين – طالما لم تبرز مصالح حلقتهم الى المقدمة – موقفاً حازماً ضد العناصر المتذبذبة (في ذلك الحين ، كان البوندیون واثنان من اعضاء «رابوتشييه ديلو» قد غادروا المؤتمر ؛ ويقيناً انهم كانوا أيدوا باقصى العزم ضرورة «اخذ القيم التاريخية بالحسبان») . وكانت نتيجة التصويت **٣١ صوتاً بالموافقة** ، وخمسة بالمعارضة ، وخمسة بالاستنكاف (الاصوات الاربعة لاعضاء فرقة «يوجني رابوتشي» ، مع صوت ، من المحتمل انه صوت بيلوف ، اذا رأينا الى تصريحاته السابقة ، ص ٣٠٨) . وهكذا ترتسم بوضوح تام معالم كتلة من **عشرة اصوات** ، تعارض بشدة خطة «الايسكرا» التنظيمية المنسجمة وتدافع عن مبدأ الحلقات ضد مبدأ الحزب . واثناء المناقشات ، يطرح الايسكريون هذه المسألة من حيث المبادئ على وجه الضبط (راجع خطاب لانغه ، ص ٣١٥) ؛ ويعارضون الروح الحرفية والتبعثر ، ويرفضون حسبان الحساب «لعواطف» هذه المنظمة او تلك ، ويعلنون صراحة : «لو ان رفاق «يوجني رابوتشي» تقيدوا بوجهة نظر أكثر مبدئية فيما مضى ، منذ سنة او سنتين ، لتم قبل الآن توحيد الحزب وانتصار مبادئ البرنامج التي صادقنا عليها هنا» . وبنفس الروح ، يصرح اورلوف ، وغوسيف ، وليادوف ، وموراڤييف ، وروسوف ، وبافلوفيتش ، وغليبوف ، وغورين . ولا يهب ايسكريو «الاقلية» ضد هذه الاشارات الواضحة ، التي عرضت مراراً على المؤتمر ، الى عدم كفاية الثبات المبدئي في سياسة و«خطة» «يوجني رابوتشي» وماخوف وغيره ، ولا يبدون اي تحفظ بهذا الصدد ، وليس

www.kassioun.org

هذا وحسب ، بل انهم ، على العكس ، وبشخص دويتش ، يشاطرون هذه الاشارات بكل حزم ، شاجبين «الفوضى» ومؤيدين «الصراحة التي طرحت بها المسألة» (ص ٣١٥) من جانب الرفيق روسوف ، ذاك الذي تجرّأ – ويا للهول ! – **خلال هذه الجلسة نفسها** و«طرح صراحة» ايضا مسألة هيئة التحرير القديمة على الصعيد الحزبي الصرف (ص ٣٢٥) .

ان مسألة حل فرقة «يوجني رابوتشي» قد استثارت في هذه الفرقة سخطاً رهيباً ظهرت آثاره حتى في المحاضر (يجب ألاّ ننسى ان المحاضر لا تعطي سوى صورة شاحبة عن المناقشات اذ انها ، بدلاً عن النص الكامل للخطابات والكلمات ، لا تعطي سوى خلاصات موجزة ومختصرات) . حتى ان الرفيق ايغوروف قد نعت «بالكذب» مجرد ذكر فرقة «رابوتشايا ميسل» (٩) الى جانب «يوجني رابوتشي» ، وفي هذا دليل بليغ على الموقف الذي كان سائداً في المؤتمر من «الاقتصادية» المنسجمة . وحتى بعد ذاك بكثير ، في الجلسة السابعة والثلاثين ، يتحدث ايغوروف عن حل «يوجني رابوتشي» بأشد الغضب (ص ٣٥٦) ، ويطلب أن يُسجَّل في المحضر ان اعضاء «يوجني رابوتشي» لم يؤخذ رأيهم ، اثناء المناقشات حول فرقتهم ، لا بصدد الموارد الواجب اعتمادها للطبع والنشر ولا بصدد رقابة الجريدة المركزية واللجنة المركزية . واثناء المناقشات حول «يوجني رابوتشي» ، يلمح الرفيق بوبوف الى الاغلبية المتراصة التي قررت سلفاً ، حسب زعمه ، مصير هذه الفرقة . ويقول (ص ٣١٦) : «**كل شيء واضح الآن ، بعد كلمتي الرفيقين غوسيف واورلوف**» . ان معنى هذا القول جليّ : الآن ، وقد اعرب الايسكريون عن رأيهم وقدموا قراراً ، كل شيء واضح ، اي واضح ان «يوجني رابوتشي» ستحل ، خلافاً لارادتها . هنا يعين ممثل «يوجني رابوتشي» بنفسه الحدود بين الايسكريين (مع العلم انهم من امثال غوسيف واورلوف) وبين انصاره بوصفهم ممثلي «خطتين» مختلفتين في السياسة التنظيمية . وحين تعرض «الايسكرا» الحالية فرقة «يوجني رابوتشي» (ومن المحتمل ماخوف ايضا ؟) على انها من «الايسكريين الموصوفين» ، فان هذا يعكس فقط بكل جلاء

www.kassioun.org

نسيان اهم الاحداث (من وجهة نظر هذه الفرقة) التي طرأت في المؤتمر ويفصح عن رغبة هيئة التحرير الجديدة في تشويش الآثار التي تبين من اي عناصر تألف ما يسمى «الاقلية» .

ومع الاسف ، لم تطرح في المؤتمر قضية اصدار جريدة شعبية . ان جميع الايسكريين قد تباحثوا في هذه المسألة باقصى الحمية ، قبل المؤتمر وخلاله ، خارج الجلسات ، فاتفقت كلمتهم على ان اصدار جريدة كهذه او تحويل احدى الجرائد القائمة الى جريدة كهذه ، امر غير عقلاني اطلاقا في حياة الحزب في الوقت الحاضر . وقد ابدى اخصام الايسكريين رأيا معاكسا بهذا الصدد ، وكذلك فعلت فرقة «يوجني رابوتشي» في تقريرها . ولا يمكن ان نفسر الا بفعل الصدفة او بالامتناع عن اثارة مسألة «لا امل لها» ، واقع ان قرارا مناسبا لم يُقدَّم بتوقيع عشرة اشخاص .

هـ ـ حادث المساواة بين اللغات

لنعد الى تسلسل جلسات المؤتمر .

لقد اقتنعنا الآن بانه ، حتى قبل الانتقال الى بحث المسائل الاساسية برزت بجلاء في المؤتمر ، لا كتلة معينة تماما من اخصام الايسكريين (٨ اصوات) وحسب ، بل ايضاً كتلة من العناصر الوسطية ، المتقلقلة ، المستعدة لدعم هذه الـ٨ وزيادتها الى حوالي ١٦–١٨ .

ان مسألة مكان البوند في الحزب ، التي نوقشت في المؤتمر بكثير ، كثير جداً من التفاصيل ، قد آلت الى حل موضوعة مبدئية ، وارجاء الحل العملي حتى بحث العلاقات التنظيمية . وبما انه سبق ان خصص مكان كبير في منشورات ما قبل المؤتمر لدراسة المواضيع المتعلقة بهذه المسألة ، فان المناقشة في المؤتمر بالذات لم تسفر عن شيء جديد الا بقدر قليل نسبياً . الا انه لا يمكن مع ذلك الامتناع عن التنويـــــه بان انصار «رابوتشييه ديلو» (مارتينوف واكيموف وبروكر) قد وافقوا على قرار مارتوف مع تحفظهم بانه غير كاف وبانهم لا يوافقون على الاستنتاجات المستخلصة منه (ص ٦٩ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٦) .

www.kassioun.org

ومن مسألة مكان البوند انتقل المؤتمر الى مسألة البرنامج وهنا ، دارت المناقشات على الاخص حول تعديلات تفصيلية قليلة الشأن . ومن حيث المبادئ ، لم تتجلَ معارضة اخصام الايسكريين الا في حملة الرفيق مارتينوف على طرح مسألة الوعي والعفوية السيئ الذكر . وبالطبع ، وقف البونديون واعضاء «رابوتشييه ديلو» ، بالاجماع ، الى جانب مارتينوف . وممن اثبتوا وهن اعتراضاتـــــه ، مارتوف وبليخانوف . ومن باب الطرائف ، نشير الى ان هيئة تحرير «الايسكرا» قد انتقلت اليوم (ولا ريب بعد تفكير) الى جانب مارتينوف وهي تقول عكس ما قالته في المؤتمر ! (١٠) وهذا ما ينطبق ، كما يبدو ، على مبدأ «الاستمرار» الشهير . . . ولا يبقى غير ان ننتظر من هيئة التحرير ان تفهم هذه المسألة تماما وتوضح لنا الى اي حد بالضبط كانت متفقة مع مارتينوف ، وعلى ما بالدقة ، ومتى بالضبط . وحتى ذاك ، سنسأل فقط ما اذا رؤيت يوما جريدة **حزبية** شرعت هيئة تحريرها تقول بعد المؤتمر عكس ما قالته في المؤتمر .

لندع جانبا الجدال حول الاعتراف بـ«الايسكـرا» الجريدة المركزية (وقد سبق لنا وتكلمنا عنه اعلاه) وبداية المناقشات حول النظام الداخلي (من الافضل العودة اليها لدن بحث النظام الداخلي برمته) ، ولننتقل الى التلاوين المبدئية التي ظهرت في مناقشة البرنامج . لنشر اولا الى تفصيل من اشد التفاصيل دلالة : المناقشات حول مسألة التمثيل النسبي . فقد دافع الرفيق ايغوروف ، من «يوجني رابوتشي» ، عن ادراج هذه المسألة في البرنامج ، ودافع عن وجهة نظره هذه بشكل استثنار ملاحظة بوسادوفسكي (ايسكري من الاقلية) الصحيحة حول وجود «خلاف جدي» .وقد قال الرفيق بوسادوفسكي : «من الاكيد اننا لسنا متفقين حول المسألة الاساسية التالية : **أيجب علينا ان نخضع سياستنـــا المقبلـــة لهذه او تلك من المبادئ الديموقراطية الاساسية بايلائها قيمة مطلقة** ، ام يجب اخضاع جميع المبادئ الديموقراطية لمصالح حزبنا فقط ؟ اني اؤيد قطعا وجهة النظر الاخيرة هذه» . وبليخانوف «يتضامـــن كليا» مـــع بوسادوفسكي ويهاجم بتعابير اوضح واحزم «القيمة المطلقة

www.kassioun.org

للمبادئ الديموقراطية» والنظر فيها بصورة «مجردة» . ويقول : «بوسعنا ان نفترض حالة نعارض فيها ، نحن الاشتراكيين الديموقراطيين ، حتى الاقتراع العام . لقد كان زمن حرمت فيه برجوازية الجمهوريات الايطالية الاشخاص المنتسبين الى فئة النبلاء من حقوقهم السياسية . ويمكن للبروليتاريا الثورية ان تحد من الحقوق السياسية للطبقات العليا ، كما حدث هذه فيما مضى ، من الحقوق السياسية للبروليتاريا» . وتُستقبل كلمة بليخانوف بالتصفيق **وعياط الاستنكار** . ويحتج بليخانوف على Zwischenruf * : «لا داعي لكم لعياط الاستنكار» ، ويرجو الرفاق الا يستحوا ، واذا الرفيق ايغوروف ينهض ويقول : «ما دامت مثل هذه الكلمات تحمل على التصفيق ، ارى من واجبي ان استقبلها بعياط الاستنكار» . ومع الرفيق غولدبلات (مندوب البوند) ، يعارض الرفيق ايغوروف نظرات بوسادوفسكي وبليخانوف . ولكن المناقشات ختمت ، لسوء الحظ ، وفوراً زالت عن المسرح المسألة التي اثيرت لمناسبتها . ولكن عبثا يجهد الرفيق مارتوف الآن للتقليل من اهميتها وحتى لابطال اهميتها كليا ، بقوله في مؤتمر العصبة : «ان هذه الكلمات (اي كلمات بليخانوف) قد اثارت غضب قسم من المندوبين ، مع انه كان من الممكن تلافي هذا الغضب دون اي جهد لو ان الرفيق بليخانوف اضاف انه لا يمكن ، بالطبع ، تصور وضع فاجع تضطر فيه البروليتاريا ، توطيدا لانتصارها ، الى دوس الحقوق السياسية بالاقدام ، كحرية الصحافة ، مثلا . . . (**بليخانوف** : «merci» * *)» (ص ٥٨ من محاضر العصبة) . ان هذا التفسير يناقض **صراحة** التصريح القاطع الجازم الذي ادلى به الرفيق بوسادوفسكي **في المؤتمر** حول «الخلاف الجدي» والتباعد في «المسألة الاساسية» . وفي هذه المسألة الاساسية ، وقف جميع الايسكريين في المؤتمر **ضد** ممثلي «اليمين» المخاصم للايسكريين (غولدبلات) **وضد** «الوسط» **في** المؤتمر

---

* Zwischenruf – ملاحظة من القاعة خلال كلمة الخطيب . **الناشر** .

* * – شكراً . **الناشر** .

www.kassioun.org

(ايغوروف) . وهذا امر واقع ، ويمكن ان نؤكد ونضمن بجرأة انه لو اضطر «الوسط» (وآمل ان تجرح هذه الكلمة انصـــار اللطافة «الرسميين» اقل من اي كلمة اخرى . . .) ، لو اضطر «الوسط» (بشخص الرفيق ايغوروف او الرفيق ماخوف) الى ابداء الرأي «**دون تكلف**» حول هذه المسألة او حول اي مسائـــل مماثلة ، لظهر الخلاف الجدي على الفور .

وظهر الخلاف بصورة اقوى في مسألة «المساواة بين اللغات» (ص ١٧١ وما يليها من المحاضر) . ان المناقشات في هذه النقطة اقل بلاغة من التصويتات : فاذا حسبنا ، توصلنا الى رقـــم ١٦ الذي لا يصدق ! ولماذا هذا ؟ لمعرفة ما اذا كان يكفي ان ترد في البرنامج المساواة بين جميع المواطنين ، بصرف النظر عن الجنس ، الخ . **واللغة** او اذا كان يجب القول : «حريـــة اللغة» او «المساواة بين اللغات» . وفي مؤتمر العصبة ، اجاد الرفيق مارتوف نسبياً في وصف هذه الحادثة اذ قال «ان مناقشة تافهة حول صياغة نقطة من البرنامج قد اتخذت اهمية مبدئية لان نصف المؤتمر كان مستعدا لقلب لجنـة البرنامـج» . هذا صحيح تماما * . فان ذريعـــة النزاع كانت فعلا تافهـــة

* يضيف مارتوف : «في هذه الحال ، الحق بنا بليخانوف ضرراً جسيما بنكتته اللاذعة حول الحمير» (كان الكلام يدور حول حريـــة اللغة ، واذا بوندي ، كما يخيـــل الي ، يذكر ، في عداد المؤسسات ، مربضاً لتجويد نسل الخيل ، فيعلق بليخانوف لنفسه ، دون توجيـه الكلام لاحد : «الخيل لا تتكلم ، اما الحمير ، فتتكلم احياناً») . انا لا استطيع ان ارى ، بالطبع ، في هذه النكتة قدراً كبيراً جداً من اللطافة ، والتنازل ، والاحتراس ، والمرونة . ومع ذلك ، يبدو لي من الغريـــب ان مارتوف ، مع اعترافه **بمغزى** المناقشة **المبدئي** ، لا يحاول اطلاقا ان يعرف فيما يقوم هنا الروح المبدئي واي تلاوين برزت هناك ؛ بـــل يقتصر على الاشارة الى «ضرر» النكات . هذي ، حقا ، وجهة نظـــر دواوينية وشكلية ! ان النكات اللاذعة قد «الحقت» حقا «ضررا جسيما بالمؤتمر» ، لا النكات التي تستهدف البونديين وحسب ، بل ايضا تلـك التي تتعلق باشخاص دعمهم البونديون احيانا ، وحتى انقذوهم مـــن الهزيمة . ولكن طالما صدر الاعتراف بمغزى هذه الحادثة المبدئي ، فانه لا يجوز التخلص بجملة حول «عدم جواز» (ص ٥٨ من محاضر العصبة) بعض النكات اللاذعة .

www.kassioun.org

لا شأن لها ؛ ومع ذلك ، اتخذ النزاع طابعاً **مبدئياً** حقاً وفعلا ، وبالتالي ، اشكالا ضارية رهيبة ، بلغت حد السعي الى «**قلب** لجنة البرنامج ، بلغت حد الارتياب بالرغبة في «**تدبير مقلب للمؤتمر**» (وهذا ما كان يرتاب به ايغوروف عند مارتوف !) ، حدّ تبادل الملاحظات الشخصية من النوع الاشد . . . سبّاً (ص ١٧٨) . حتى ان الرفيق بوبوف «اعرب عن اسفه لنشوء **جو كهذا** بصدد ترهات» (اشارة التأكيد مني ، ص ١٨٢) ، جو ساد طوال ٣ جلسات (١٦ ، ١٧ و١٨) .

كل هذه التعابير تدل بصورة واضحة كل الوضوح وبجزم لا يعدوه جزم على هذا الواقع الفائق الاهمية وهو ان جو «الارتياب» واشكال الصراع الاشد ضراوة («القلب») – وفيما بعد ، في مؤتمر العصبة ، أتهمت اغلبية الايسكريين بخلق هذا الجو ! – كان قد نشأ بالفعل **قبل ان ننقسم الى اغلبية واقلية بزمن بعيد** ! واكرر ، هذا واقع عظيم الاهمية ، واقع اساسي يحمل عدم تفهمه عددا كبيرا من الناس الى أشد الآراء طيشاً فيما يخص طابع الاغلبية المصطنع في نهاية المؤتمر . ومن وجهة نظر الرفيق مارتوف الحالية التي تزعم ان تسعة اعشار الحاضرين في المؤتمر كانوا من الايسكريين ، يبدو مستغلقا كليا وسخيفا اطلاقا انه امكن ان يشب نزاع ، بسبب «ترهات» ، بسبب ذريعة «تافهة» ، ويتخذ «طابعا مبدئيا» وكاد يؤدي الى قلب لجنة المؤتمر . ومن السخف التخلص من هذا **الواقع** بشكايات وتأسفات بصدد نكات «مضرة» . فلم يكن من الممكن ان يكتسب النزاع اي مغزى **مبدئي** بسبب من عنف اي نكتة كانت . لم يكن من الممكن ان ينبع هذا المغزى الا من طابع التكتلات السياسية في المؤتمر . وليس العنف في التعابير ولا النكات اللاذعة هي التي تسببت بالنزاع ؛ فهي لم تكن سوى **ظاهرة** لهذا الواقع وهو انه كان هناك «تناقض» في قلب التكتل السياسي للمؤتمر ، وانه كانت هناك كل البذور للنزاع ، كان هناك انعدام تجانس داخلي يذر قرنه ، بقوة لازبة ، لأقل مناسبة ، **وان تافهة** .

www.kassioun.org

بل بالعكس ، فمن وجهة النظر التي ارى بها الى المؤتمر ، والتي اعتبر من واجبي الدفاع عنها ، بوصفها فهماً سياسياً معيناً للاحداث ، رغم ان مثل هذا الفهم قد يبدو جارحا لبعضهم ، من وجهة النظر هذه ، يبدو مفهوما ومحتماً تماماً ما اتصف به النزاع **المبدئي** الذي احتدم لداع «تافه» ، من طابع شديد العنف . وبما ان الصراع قد استمر **بلا انقطاع** في مؤتمرنا بين الايسكريين واخصام الايسكريين ، وبما انه كانت هناك بين هذين الفريقين عناصر متذبذبة ، وبما ان هذه العناصر كانت تؤلف مع اخصام الايسكريين ثلث الاصوات (٨+١٠=١٨ صوتاً من اصل ٥١ ، حسب حساباتي التقريبية طبعاً) ، فمن المفهوم والطبيعي تماماً انه كان من شأن **كل انفصال عن الايسكريين ، وان باقلية زهيدة** ، ان يعود بالغلبة الى ميل اخصام الايسكريين ويؤدي بالتالي الى نشوب صراع «ضار» . وليس هذا ابداً نتيجة لأية نكات لاذعة او تهجمات عنيفة غير لائقة ، انما هو نتيجة لميزان القوى السياسية . وليس عنف التعابير هو الذي اثار النزاع السياسي ، انما وجود نزاع سياسي بين التكتلات في داخل المؤتمر بالذات هو الذي اثار عنف التعابير والتهجمات ؛ وفي هذا التعارض يقوم خلافنا الرئيسي ، خلافنا المبدئي ، مع مارتوف ، فيما يخص تقدير الاهمية السياسية للمؤتمر ونتائجه .

وقد سجل المؤتمر ثلاث حالات كبرى من انفصال عدد زهيد من الايسكريين عن اغلبيتهم ، — المساواة بين اللغات ، الفقرة الاولى من النظام الداخلي والانتخابات — وفي كل من الحالات الثلاث ، شب صراع ضار ادّى في نهاية الامر الى الازمة الحالية الحادة في الحزب . ولفهم المعنى السياسي لهذه الازمة وهذا الصراع ، لا ينبغي الاكتفاء بالجمل حول النكات اللاذعة غير الجائزة ، انما ينبغي دراسة التكتلات السياسية وفقاً للتلاوين التي تجابهت في المؤتمر . وعليه ، فان حادثة «المساواة بين اللغات» تتسم باهمية مزدوجة بمعنى انها توضح سبب الخلاف ، اذ ان مارتوف كان لا يزال هنا (كان لا يزال !) ايسكريا وكان يناضل ، ربما اكثر من جميع الآخرين ، ضد اخصام الايسكريين وضد «الوسط» .

www.kassioun.org

بدأت الحرب بنقاش بين الرفيق مارتوف وزعيم البونديين ، الرفيق ليبر (ص ١٧١ – ١٧٢) . يبرهن مارتوف ان مطلب «المساواة بين المواطنين» كاف . وترفض «حرية اللغة» ، ولكن سرعان ما توضع «المساواة بين اللغات» ويشنها الرفيق ايغوروف حرباً الى جانب ليبر . ويعلن مارتوف ان من باب **عبادة الاصنام** «ان يصر الخطباء على المساواة بين القوميات وينقلوا اللامساواة الى ميدان اللغات . والحال ، ينبغي دراسة المسألة من زاوية اخرى تماماً : فهناك اللامساواة بين القوميات ، وهي تتجلى ، فيما تتجلى ، بكون اناس ينتسبون الى امة معينة محرومين من حق استعمال لغتهم الام» (ص ١٧٢) . وكان مارتوف آنذاك على تمام الحق . وبالفعل ، كانت حقا ضربا من عبادة الاصنام محاولة الرفيقين ليبر وايغوروف الواهية كليا والرامية الى الدفاع عن صحة صيغتهما والى اظهارنا غير راغبين في التوصل الى اقرار مبدأ المساواة بين القوميات او عاجزين عن بلوغ هذا الغرض . فبوصفهما من «عبدة الاصنام» ، دافعا عن الكلمة بالضبط ، لا عن المبدأ ؛ وقد تصرفا لا خوفا من خطأ مبدئي ما ، بل خوفا مما يقوله الناس . ان هذه النفسية ، نفسية انعدام الاستقرار (وماذا اذا اتهمنا «الآخرون» بهذا ؟) ، – وقد لاحظناها في حادثة اللجنة التنظيمية ، – هي التي ابداها هنا كل «وسط»نا بجلاء تام . وهناك ممثل آخر من ممثليه ، قريب من فرقة «يوجني رابوتشي» ، هو المندوب المنجمي لفوف ، «يعتبر ان مسألة اضطهاد اللغات ، التي طرحتها الاطراف ، خطيرة جدا . وبما اننا قد اوردنا في برنامجنا فقرة عن اللغة ، فانه من المهم ان نستبعد كل فرضية تقول بالروسنة التي يمكن الارتياب بوجودها عند الاشتراكيين-الديموقراطيين» . فيا له من برهان على «خطورة» المسألة . ان المسألة خطيرة جدا **لأنه يجب** استبعاد الارتياب المحتمل في الاقاليم الواقعة على الاطراف ! ان الخطيب لا يعطي شيئا على الاطلاق فيما يخص الجوهر ، ولا يرد على الاتهامات بعبادة الاصنام ، بل يؤكد صحتها كليا ، مبينا انه خالي الوفاض تماما من اي حجة ، متذرعا بما يمكن ان تقوله هذه الاطراف . ان كل ما **يمكن** ان تقوله **خاطىء** ، هكذا يقولون

www.kassioun.org

له . ولكنه بدلا من ان يحاول ان يعرف ما هو صحيح وما هـو خاطئ ، يجيب : «**يمكن الارتياب**» .

ان طرح القضية على **هذا** النحو الذي يدّعي بخطورتهـا واهميتها يتخذ حقاً مغزى مبدئياً ، ولكنه ليس ابدا المغزى الذي شاء ان يكتشفه فيها ليبر وايغوروف ولفوف ومن لف لفهم . وانها لتغدو مبدئية مسألة ان نعرف ما اذا كان يترتب علينـا ان ندع منظمات الحزب واعضاءه يطبقون احكام البرنامج العامة والاساسية ، شرط ان يأخذوا الاوضاع الملموسـة بعين الاعتبار ، وان يطوروا هذه الاحكام بما يناسب هذا التطبيق ، ام اذا كان يترتب علينا ، لمجرد الخوف من الارتياب ، ان نملأ البرنامـج بالتفاصيـل الصغيرة ، والاشارات الخاصـة ، والترديدات ، وضروب التزمت . وانها لتغدو مبدئية مسألة ان نعرف كيف يستطيع الاشتراكيون-الديموقراطيون ان يستشفوا («يرتابوا») في النضال ضد التزمت ، محاولات التضييق عـلى الحقوق والحريات الديموقراطية الاولية . فمتى ترانا اذن نقلع في آخر الامر عن السجود امام الحالات الفردية سجودنـا امام الاصنام ؟ – هذه هي الفكرة التي مرت في خاطرنا حين رأينـا الصراع حول «اللغات» .

ان تكتـل المندوبين في هذا الصراع يبدو بوضوح خاص بفضل وفرة التصويتات بالمناداة على الاسماء . وقد جرت ثلاثة تصويتات من هذا النوع . وضد النواة الايسكرية ، يهب دائماً ، كرجل واحد ، جميع اخصام الايسكريين (٨ اصوات) ، والوسط كله مع بعض الترددات الطفيفـة جداً ، (ماخوف ، لفوف ، ايغوروف ، بوبوف ، مدفيديف ، ايفانوف ، تساريف ، بيلوف ؛ الاخيران وحدهما ترددا في البدايـة ، تارة يستنكفان ، واخرى يصوتان معنا ، ولم يتخذا موقفاً نهائياً الا في التصويت الثالث) . وعن الايسكريين ، ينفصل قسم – ولا سيما القفقاسيون (ثلاثة ، مع ستة اصوات) ، – مما يعطي الغلبة في نهاية الامـر لاتجاه «عبادة الاصنام» . وفي التصويت الثالـث ، حين حدد انصار الميلين مواقفهم بكل وضوح ، انفصل ٣ قفقاسيين مع ٦ اصوات عن ايسكريي الاغلبية وانضموا الى المعسكر المضاد ؛ وانفصل

www.kassioun.org

٢ مع صوتين ، هما بوسادوفسكي وكوستيتش ، عن ايسكريي الاقلية ، وفي التصويتين الاولين ، كان ينتقل الى المعسكر المضاد او يستنكف كل من : لينسكي وستيبانوف وغورسكي من الاغلبية الايسكرية ، ودويتش من الاقلية . **وجاء انفصال ٨ اصوات ايسكرية (من اصل ٣٣) يرجح كفة حلف اخصام الايسكريين والعناصر المتذبذبة** . وهذا هو **الواقع الاساسي** فيما يتعلق بتكتلات المؤتمر ، الواقع الذي تجدد (فقط لدن انفصال ايسكريين **آخرين**) لدن التصويت على الفقرة الاولى من النظام الداخلي واثناء الانتخابات . فلا غرابة اذا كان اولئك الذين منوا بالهزيمة في الانتخابات يحاولون الآن أن يغمضوا عيونهم عن **اسباب** هذا الفشل **السياسية** ، عن **نقاط انطلاق** الصراع بين التلاوين الذي كان يكشف اكثر ويفضح بعناد متزايد ابدا امام الحزب ، العناصر المتقلقلة ، والمائعة سياسيا . ان حادثة المساواة بين اللغات تبين لنا هذا الصراع بمزيد من الجلاء خصوصا وان الرفيق مارتوف لم يكن قد توافر له الوقت بعد في ذلك العهد لكي يستحق مدائح اكيموف وماخوف وتحبيذهما .

و – البرنامج الزراعي

ان نزق اخصام الايسكريين و«الوسط» ، من حيث المبادئ ، قد تجلى مرة اخرى بصورة بارزة في المناقشات التي دارت حول البرنامج الزراعي واستغرقت كثيراً من الوقت في المؤتمر (راجع ص ١٩٠ – ٢٢٦ من المحاضر) واثارت عدداً غير قليل من المسائل في غاية الطرافة . فان الحملة ضد البرنامج يفتتحها الرفيق مارتينوف ، كما كان متوقعاً ، (بعد ملاحظات تفصيلية ابداها الرفيقان ليبر وايغوروف) . فيعرض هذه الذريعة العتيقة القائلة اننا ، باصلاح «هذه الظلامة التاريخية بالضبط» ، «نكرس» بصورة غير مباشرة ، كما يزعم ، «ظلامات تاريخية اخرى» ، الخ . . والى جانبه ، يقف ايضاً الرفيق ايغوروف الذي يرى ان حتى «معنى هذا البرنامج غير واضح . هل هو برنامج لنا ، اي هل يحدد المطالب التي نتقدم بها ، ام اننا نريد ان

www.kassioun.org

نكسب له شعبية» (! ؟ ! ؟) . والرفيق ليبر «يود لـو يبدي الملاحظات نفسها التي ابداها الرفيق ايغوروف» . ويتكلم الرفيق ماخوف بما طُبع عليه من عزم معلناً ان «اغلبية (؟) الخطباء لا يدركون ابداً ما هو البرنامج المقدَّم واية اهداف يبتغي» . وهذا البرنامج ، كما ترون ، «من الصعب اعتباره برنامجاً زراعيـاً اشتراكياً-ديموقراطياً» ؛ فهو . . . «يشبه بعض الشيء لعبـة اصلاح الظلامات التاريخية» ؛ ويحمل «صبغة من الديماغوجيـة وروح المغامرة» . والاثبات النظري لهذا العمق الفكري انما هو ، كالعادة ، استعظام وتبسيط الماركسية السطحية : فالايسكريون يودون ، كما يُزعم ، «معاملة الفلاحين ككل واحد مـن حيث التركيب ؛ ولكن ، لما كان الفلاحون منقسمين الى طبقات منـذ زمن بعيد (؟) ، فان تقديم برنامج واحد يؤدي الى النتيجـة الحتمية التالية وهي ان هذا البرنامج يصبح بمجمله ديماغوجياً ويتحول ، عند تطبيقه ، الى مغامرة» (ص ٢٠٢) . و«يفشي» الرفيق ماخوف السبب الحقيقي للموقف السلبي الذي يقفه مـن برنامجنـا الزراعـي كثيرون من الاشتراكيين-الديموقراطيين المستعدين لـ«للاعتراف» بـ«الايسكرا» (كما فعل ماخوف نفسه) ، ولكنهم لم يفكروا اطلاقاً باتجاهها وموقفها النظري والتكتيكي . وبالفعل ، ان ابتذال الماركسية بتطبيقهـا على ظاهرة معقدة ومتعددة الجوانب كما هو عليه النمط الحالي للاقتصاد الفلاحي الروسي ، هو الذي جعل ولا يزال يجعل هذا البرنامج غيـر مفهوم ؛ وليس الذنب ابداً ذنب الخلافات التفصيلية . وسرعان ما اتفق على وجهة النظر هذه للماركسية المبتذلة زعيما العناصر المخاصمة لـ«للايسكرا» (ليبر ومارتينوف) وزعيمـا «الوسط» — ايغوروف وماخوف . كذلك اعرب الرفيق ايغوروف صراحة عـن احدى السمات التي تميز «يوجني رابوتشي» والفرق او الحلقات التي تدور حولها ، ونعني بهذه السمة عدم ادراك اهمية الحركة الفلاحية ، عدم ادراك ان جانب الضعف عند اصحابنا الاشتراكيين-الديموقراطيين اثناء الانتفاضات الفلاحية المشهورة الاولى لم يكن استعظام دور هذه الحركة بل بالاحرى استصغاره (وكذلـك ايضاً النقص في القوى لاستغلال هذه الحركة) . قال الرفيـق

www.kassioun.org

ايغوروف : «انا ابعد من ان اشارك هيئة التحرير ولعها بالحركة الفلاحية ، هذا الولع الذي استحوذ على كثيرين من الاشتراكيين-الديموقراطيين بعد الاضطرابات الفلاحية» . ان الرفيق ايغوروف لم يكلف نفسه ، مع الاسف ، بان يطلع المؤتمر ، ببعض الدقة ، على قوام هذا الولع **عند هيئة التحرير** ، كما لم يكلف نفسه بان يعطي اية ايضاحات ملموسة حول المواد المكتوبة ، التي قدمتها «الايسكرا» . ثم انه نسي ان **جميع** النقاط الاساسية في برنامجنا الزراعي قد عرضت بصورة مسهبة في «الايسكرا» منذ عددها الثالث * ، اي **قبل** الاضطرابات الفلاحية **بزمن طويل** . ان جميع الذين «كانوا يعترفون» بـ«الايسكرا» لا بالكلام فقط ، لن يضيرهم شيئاً ان يعيروا مبادئها النظرية والتكتيكية انتباها اكبر بعض الشيء !

«كلا ، بين الفلاحين ، لا نستطيع ان نفعل شيئاً كبيراً !» ، هكذا يهتف الرفيق ايغوروف . ثم يوضح ان هتافه هذا ليس احتجاجاً على هذا «الولع» الخاص او ذاك ، بل انكار لكل موقفنا : «هذا يعني اذن ان شعارنا لا يمكن لـه ان ينافس شعاراً مغامراً» . وتلك اميز صيغة لهذا الانعدام في المبادئ الذي يعيد كل شيء الى «منافسة» بين شعارات مختنف الاحزاب ! وقد قيل هذا بعد ان اعلن الخطيب انه «راض» عن التفسيرات النظرية التي جاء فيها اننا نبتغي نجاحاً وطيداً في التحريض ، دون ان نقلق للهزائم الموقتة ، وانه يستحيل احراز نجاح وطيد (رغم الصيحات العالية التي يطلقها «المنافسون» . . . لدقيقة) دون ارساء البرنامج على اساس نظري راسخ (ص ١٩٦) . فاي تشوّش يتكشف بهذا التأكيد عن «الرضى» وبالتكرار الفوري للصيغ المبتذلة الموروثة عن «الاقتصادية» القديمة التي كانت ترى ان «المنافسة بين الشعارات» تقرر جميع المسائل ، لا المتعلقة منها بالبرنامج الزراعي وحسب ، بل المتعلقة ايضاً بكل البرنامج وكل تكتيك النضال الاقتصادي والسياسي . قال الرفيق ايغوروف : «لن تجبروا الاجير الزراعي على النضال الى

---

* راجع مقال لينين : «حزب العمال والفلاحون» . **الناشر** .

www.kassioun.org

جانب الفلاح الغني في سبيل «الاوتريزكي» (١١) التي يوجد الآن قسم كبير منها بين يدي هذا الفلاح الغني» .

ودائماً التبسيط نفسه ، القريب بلا ريب من «اقتصاديتنا» الانتهازية التي كانت تؤكد انه من المستحيل «اجبار» البروليتاري على النضال في سبيل ما تحوز البرجوازية قسماً كبيراً منه وما سيقع منه بين يديها قسم اكبر ايضاً في المستقبل . ودائماً الابتذال نفسه الذي ينسى الخصائص الروسية للعلاقات الرأسمالية العامة بين الاجراء الزراعيين والفلاحين الاغنياء . فاليوم ، تنيخ «الاوتريزكي» بكلكلها فعلاً على الاجير الزراعي **ايضاً** فلا حاجة ابداً الى «اجبار»ه على النضال في سبيل التحرر من عبوديته . اما الذين يجب «اجبار» هم ، فهم بعض المثقفين ؛ يجب اجبارهم على النظر الى مهامهم نظرة اوسع ، اجبارهم على الاقلاع عن استعمال الصيغ الجامدة المكررة عند درس المسائل الملموسة ، اجبارهم على حسبان الحساب للوضع التاريخي ، الذي يعقّد ويعدّل اهدافنا . فقط الوهم القائل ان الموجيك غبي ، الوهم الذي يطل برأسه ، حسب ملاحظة الرفيق مارتوف الصحيحة (ص ٢٠٢) ، في خطابات الرفيق ماخوف وسائر اخصام البرنامج الزراعي ، ان هذا الوهم وحده هو الذي يفسر هذا النسيان ، عند اخصامنا هؤلاء ، للاوضاع الفعلية التي يعيش فيها اجيرنا الزراعي .

ان ممثلي «وسط»نا ، بعد ان بسطوا المسألة حتى هذا التضاد العاري كلياً : عامل ورأسمالي ، حاولوا جهدهم ، كالمعتاد ، ان ينسبوا ضيق افقهم الى الموجيك . قال الرفيق ماخوف : «لأني على وجه الضبط اعتبر الموجيك ذكياً ضمن الحدود الضيقة لوجهة نظره الطبقية ، اعتقد انه سيتبنى المثال الاعلى البرجوازي الصغير القائل بوضع اليد والتقسيم» . هنا يُخلط ، كما هو واضح ، بين شيئين : وصف وجهة نظر الموجيك الطبقية ، باعتباره برجوازياً صغيراً ، **وتقليص** وجهة النظر هذه وحصر**ها** ضمن «حدود ضيقة» . في هذا الحصر على وجه الدقة ، يقوم خطأ ايغوروف وماخوف واضرابهما (شأنه شأن خطأ مارتينوف واكيموف واضرابهما ، الذي يقوم في حصر

www.kassioun.org

وجهة نظر البروليتاري ضمن «حدود ضيقة») مع ان المنطق والتاريخ يعلماننا ان وجهة النظر الطبقية البرجوازية الصغيرة قد تكون ضيقة الى هذا الحد او ذاك ، تقدمية الى هذا الحد او ذاك ، وذلك على وجه الدقة بسبب من الوضع المزدوج الذي هو موقف البرجوازي الصغير . ومهمتنا ليست ابداً ان تخمد همتنا امام ضيق («بلادة») الموجيك او خضوعه «للوهم» ، بل ، بالعكس ، ان نوسع دائماً وجهة نظره ، ونساعد عقله على قهر وهمه .

ان وجهة نظر «الماركسية» المبتذلة حول المسألة الزراعية في روسيا ، قد وجدت التعبير الاعلى عنها في خاتمة الخطاب المبدئي الذي القاه الرفيق ماخوف ، المدافع الامين عن هيئة تحرير «الايسكرا» القديمة . فليس عبثاً ان استقبلت هذه الكلمات بالتصفيق . . . الساخر حقاً . «انا لا اعرف حقاً ما تجدر تسميته بمصيبة» ؛ هكذا قال الرفيق ماخوف ، مستاء من ملاحظة بليخانوف من ان الحركة في سبيل التقسيم الاسود (١٢) لا تخيفنا اطلاقاً ، واننا لن نقوم بشيء يعرقل هذه الحركة التقدمية (البرجوازية التقدمية) . «ولكن هذه الثورة ، اذا جازت تسميتها بهذا الاسم ، لن تكون ثورية . بل قد يكون من الاصح ان اقول : انها لن تكون ثورة ، بل رجعية (**ضحك**) ، ثورة من نوع الفتنة . . . ان ثورة كهذه تدفعنا الى الوراء واذ ذاك ينبغي لنا وقت ما للعودة الى حيث نحن اليوم . والحال ، نحن نملك الآن اكثر بكثير مما في عهد الثورة الفرنسية (**تصفيق ساخر**) ؛ نحن نملك الحزب الاشتراكي-الديموقراطي (**ضحك**)» . . . اجل ، ان حزبا اشتراكيا-ديموقراطيا يحاكم على طريقة ماخوف ، او يملك مؤسسات مركزية تعتمد على اضراب ماخوف ، لا يستحق حقا غير الضحك . . .

وهكذا ، نرى ان حتى في المسائل المبدئية الصرف ، التي اثارها البرنامج الزراعي ، برز فوراً التكتل الذي عرفناه آنفاً . فاخصام الايسكريين (٨ اصوات) يشنون الحرب باسم الماركسية المبتذلة ؛ وزعماء «الوسط» ايغوروف وماخوف واضرابهما ، يتعلقون باذيالهم ، فتزل بهم القدم وينزلقون ابداً نحو وجهة

www.kassioun.org

النظر الضيقة ذاتها . ولهذا كان من الطبيعي تماما ان يعطي التصويت على بعض فقرات البرنامج الزراعي ٣٠ و٣٥ صوتاً بالموافقة (ص ٢٢٥ و٢٢٦) ، اي تماماً الرقم التقريبي الذي حصلنا عليه في المناقشة حول المكان الواجب تخصيصه لمسألة البوند ، وفي حادثة اللجنة التنظيمية وبصدد حل «يوجني رابوتشي» . يكفي ان تثار مسألة تخرج نوعاً عن المألوف والحدود المقررة ، وتتطلب الى حد ما تطبيق نظرية ماركس بصورة مستقلة على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية المتميزة والجديدة (الجديدة بالنسبة للالمان) ، – حتى ينال فوراً الايسكريون القادرون على مجابهة الموقف ٥/٣ الاصوات فقط وينحاز كل «الوسط» فوراً الى جانب ليبر ومارتينوف واضرابهما . ولكن الرفيق مارتوف يبذل جهده لكي يطمس هذا الامر البديهي ؛ وهو يتجنب بخوف ووجل ، التصويتات التي تكشفت فيها التلاوين بكل وضوح !

ان المناقشات حول البرنامج الزراعي تبين بجلاء النضال الذي خاضه الايسكريون ضد خمسي المؤتمر بالضبط . وهنا وقف المندوبون القفقاسيون موقفاً صحيحاً تماماً ، وذلك الى حد كبير ، كما يبدو ، بفضل ان معرفتهم عن كثب للاشكال المحلية لبقايا القنانة الكثيرة ، قد حذرتهم من المعارضات العارية ، المجردة على طريقة التلامذة ، التي كان يكتفي بها ماخوف وامثاله . وضد مارتينوف وليبر ، وضد ماخوف وايغوروف ، وقف بليخانوف وغوسيف (الذي اكد انه «غالباً ما وجد بين الرفاق العاملين في روسيا» «وجهة نظر متشائمة» . . . كوجهة نظر الرفيق ايغوروف . . . «حول عملنا في الريف») ، وكوستروف ، وكارسكي ، وتروتسكي . وهذا الاخير يشير بحق الى ان «نصائح» نقّاد البرنامج الزراعي «الحسنة النية» «تفوح منها قويةً رائحة **التفاهة الضيقة الافق**» . الا انه تجدر الاشارة فقط ، فيما يتعلق بدراسة التكتلات السياسية في المؤتمر ، الى انه من المشكوك فيه انه كان على صواب ، في هذا المقطع من خطابه (ص ٢٠٨) ، حيث وضع الرفيق لانغه الى جانب ايغوروف وماخوف . فان كل من يقرأ المحاضر بانتباه ،

www.kassioun.org

يرى ان موقف لانغه وغورين لا يشبه في شيء موقف ايغوروف وماخوف . فالصيغة المتعلقة بفقرة «الاوتريزكي» لا تطيب للانغه وغورين ، وهما يفهمان جيدا جدا فكرة برنامجنا الزراعـــي ، ويحاولان ان يطبقاها **على نحو آخر** : وهما يعملان بتؤدة بحثا عن صيغة اوفر عصمة عن اللوم والنقد ، برأيهما ، وذلك بتقديمهما مشاريع قرارات ، لكي يقنعا اصحاب البرنامج او لكي يقفا الى جانبهم ضد جميع اللاايسكريين . حسبنا ان نقارن ، مثـــلا ، اقتراحات ماخوف حول رفض البرنامج الزراعي برمته (ص ٢١٢ ، **تسعة** مع ، ٣٨ ضد) ومختلف فقراته (ص ٢١٦ وغيرها مـــن الصفحات) مع موقف لانغه ، الذي **يأتي** بصيغة خاصة للفقرة حول «الاوتريزكي» (ص ٢٢٥) ، لكي ندرك انهمـــا يختلفان اختلافا جذريا * .

وقد اشار الرفيق تروتسكـــي في معرض حديثه عن الحجج التي تفوح منها رائحة «التفاهة الضيقة الافق» الى «انه يجـب علينا ، في المرحلة الثورية الآتية ، ان نرتبط مع الفلاحين» . . . «ان ارتيابية ماخوف وايغوروف و«بعد نظر» هما السياسي أضرّ ، ازاء هذه المهمة ، من اسوأ قصر نظر» . وقد اجاد الرفيـق كوستيتش ، وهو ايسكري آخر من الاقلية ، في الحديث عـــن «انعدام الثقة بالنفس وبالاستقرار المبدئي» عند الرفيـــق ماخوف – وهو وصف لا يصيب «وسط»نا في الحاجب بل في العين بالضبط . ويضيف الرفيق كوستيتش قائلاً : «ان الرفيق ماخوف يلحق بتشاؤمه بالرفيق ايغوروف ، رغم ما بينهمـــا من فوارق طفيفـــة في التلاوين . وهو ينسى ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يعملون منذ حين بين الفلاحين ، وانهم يوجهون حركـة الفلاحين بقدر الامكان . وبهذا التشاؤم ، يضيقان مدى عملنا» (ص ٢١٠) .

وختامـــاً لعرضنا لنقاش المؤتمر حول البرنامج ، تجدر الاشارة ايضـــاً الى مناقشات قصيرة حول مساندة التيارات المعارضة . لقد جاء في برنامجنا صراحة ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي يساند «كل حركة **معارضة** وثورية **موجهة ضد النظام**

* قارن بخطاب غورين ، ص ٢١٣ .

www.kassioun.org

الاجتماعي والسياسي القائم في روسيا» . قد يبـــدو ان هذا التحفظ الاخير يبين بما يكفي من الوضـــوح **اية هي** التيارات المعارضة التي نساند . والحال ، **هنا ايضاً** ، برزت فوراً مختلف التلاوين التي تشكلت في حزبنا منذ زمن طويل ، مع انه كان من الصعـــب جداً الافتراض انه يمكـن ان تكون هناك «شكوك ومساوئ فهم» باقية حول مسألة مطروقة كهذه ! ذلك طبعاً ان المقصود لم يكن مساوئ الفهم بل **التلاوين** . وسرعان ما اطلق ماخوف وليبر ومارتينوف صفّارة الخطر وتكشفوا مرة اخرى اقلية «متراصة» ، بحيث انه ربما كان ترتب هنا ايضا عـــلى الرفيـــق مارتوف ان يفسر الامـــر بدسيسـة ، بتسويات ، بالديبلوماسية ، وغيرها من السمات الظريفة (راجع خطابه في مؤتمر العصبة) ، التي يلجأ اليها الناس العاجزون عن امعان الفكر في الاسباب السياسية لنشوء فرقة «متراصة» سواء عنـد الاقلية ام عند الاغلبية .

ومرة اخرى يبدأ ماخوف بتبسيط مبتذل للماركسيـة . ويقول : «الطبقة الثورية الوحيدة عندنا هي البروليتاريا» . ومـن هذه الموضوعة الصحيحة يستخلص فوراً استنتاجاً خاطئاً : «اما الطبقات الاخرى فهي بين بين ، ولا علاقة لها هنا (**ضحك عام**) . . . اجل ، لا علاقة لها هنا ، وهي لا تسعى الا للافادة منا . انا لا اوافق على مساندتها» (ص ٢٢٦) . ان هذه الصيغة التي اعطاهـا الرفيق ماخوف عن موقفه والتي لم يسمع بمثلها من قبل قـد حيرت الكثيرين (من انصاره) . ولكن ليبر ومارتينوف يوافقان ، في الاساس ، على رأيه ، اذ انهما يقترحان الغاء كلمة «معارضة» او تحديدها بهذه الاضافة : «معارضة ديموقراطية» . ضد هذا التعديل الذي تقدم به مارتينوف ، ثار بليخانوف بحق . وقال : «يجب علينا ان ننتقد الليبيراليين ، ونفضح طابعهم المتذبذب . هذا صحيح . . . ولكننا ، اذ نفضح ضيق جميع الحركات ، غير الحركة الاشتراكية الديموقراطية ، وطابعها المحدود ، انما يجب علينا ان نوضح للبروليتاريا ان اي دستور ، وان لـم ينص على الاقتراع العام ، هو خطوة الى الامام بالقياس الى الحكم المطلق ، وانه ينبغي عليها بالتالي ان لا تفضّل النظام القائم

www.kassioun.org

على دستور من هذا النوع» . على هذا القول لا يوافق الرفاق مارتينوف وليبر وماخوف ، بل يدافعون عن موقفهم الذي يهاجمه اكسلرود وستاروفر وتروتسكي ومرة اخرى بليخانوف . ومرة اخرى ، وجد الرفيق ماخوف وسيلة يضرب بها نفسه بنفسه . فقد اعلن اولا ان الطبقات الاخرى (عدا البروليتاريا) هي «بين بين» وانه «لا يوافق على مساندتها» . ثم لان واقر «ان البرجوازية ، غالباً ما تكون ثورية ، مع كونها رجعية في الاساس ، وذلك مثلاً حين يكون المقصود محاربة الاقطاعية وبقاياها» . واضاف يقول منتقلا من الدلف الى ما تحت المزراب : «ولكنه توجد فئات هي دائماً (؟) رجعية ، مثلاً ، الحرفيون» . هذه هي الدرر النظرية التي توصل اليها زعماء «وسط»نا ، هؤلاء الذين دافعوا فيما بعد عن هيئة التحرير القديمة ، والزبد على شفاههم ! ان الحرفيين ، حتى في اوروبا الغربية ، حيث التنظيم الحرفي كان قوياً جداً ، هم الذين دللوا ، شأنهم شأن سائر البرجوازيين الصغار في المدن ، على روح ثوري شديد في مرحلة سقوط الحكم المطلق . فمن المضحك ان يكرر اشتراكي-ديموقراطي روسي على الاخص ، دون تفكير ، ما يقوله الرفاق في الغرب عن الحرفيين الحاليين ، بعد سقوط الحكم المطلق بقرن او نصف قرن . ان القول ان الحرفيين الروس هم رجعيون بالقياس الى البرجوازية ، في حقل القضايا السياسية ، انما هو مجرد ترديد لجملة جاهزة ، محفوظة عن ظهر قلب .

ومما يؤسف له ان المحاضر لم تحفظ اي اشارة الى عدد الاصوات التي نالتها التعديلات المرفوضة التي تقدم بها مارتينوف وماخوف وليبر حول هذه النقطة . الا انه يسعنا القول فقط ان زعماء العناصر المضادة للايسكريين وأحد زعماء «الوسط» * قد تحالفوا هنا ايضا في التكتل الذي سبق ان

---

* والزعيم الآخر للفريق نفسه ، «الوسط» ، الرفيق ايغوروف ابدى رأيه في مسألة تأييد التيارات المعارضة في مكان آخر ، بصدد قرار آكسلرود عن الاشتراكيين-الثوريين (ص ٣٥٩) . وقد رأى الرفيق ايغوروف «تناقضاً» بين مطلب البرنامج القائل **بتأييد** كل حركة

www.kassioun.org

عرفناه ، في التكتل ضد الايسكريين . وحين نستخلص حصيلة **جميع** المناقشات حول **البرنامج** ، لا يمكننا ألا نستخلص الاستنتاج التالي : لم تجر قط ، **ولو مرة واحدة** ، مناقشات حامية نوعا ما ، واثارت اهتمام الجميع ، دون ان تكشف فرق التلاوين الذي يلزم الصمت عنه اليوم الرفيق مارتوف وهيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة .

ز ـ النظام الداخلي للحزب .
مشروع الرفيق مارتوف

بعد البرنامج ، انتقل المؤتمر الى النظام الداخلي للحزب (اننا ندع جانباً مسألة الجريدة المركزية المشار اليها اعلاه ، وكذلك تقارير المندوبين الذين لم يستطع معظمهم ، مع الأسف ، ان يقدموها بشكل مرض) . وغني عن القول ان مسألة النظام الداخلي كانت ، بالنسبة لنا جميعاً ، على جانب كبير من الاهمية . وبالفعل ، برزت «الايسكرا» منذ البدء ، لا بوصفها جريدة وحسب ، بل بوصفها ايضاً خلية **تنظيمية** . ففي مقالة لهيئة التحرير في العدد الرابع («بمَ نبدأ ؟») ، عرضت «الايسكرا» خطة تنظيمية كاملة * وطبقت هذه الخطة بدأب

معارضة وثورية وبين موقف **التنكر** للاشتراكيين-الثوريين والليبراليين . وعالج الرفيق ايغوروف المسألة بشكل آخر ومن وجهة مختلفة بعض الشيء ،واظهر نفس الفهم الضيق للماركسية ونفس الموقف المتذبذب نصف العدائي من موقف «الايسكرا» (الذي «اعترف به») ، مثله مثل الرفاق ماخوف وليبر ومارتينوف .

* قال الرفيق بوبوف فيما قاله في خطابه حول الاعتراف «بالايسكرا» الجريدة المركزية : «اني اذكر مقالا صدر في العدد ٣ او ٤ من «الايسكرا» ـ «بمنبدأ ؟» . وقد اعتبره عدد عديد من الرفاق المناضلين في روسيا خاليا من اللياقة ، وبدا هذا البرنامج لآخرين غريبا ، وفسرته الاغلبية (؟ لا ريب انها اغلبية الاشخاص من محيط الرفيق بوبوف) بالزهو والتباهي» (ص ١٤٠) . وهكذا ، كما يرى القارئ ، تعودت ان ارى آرائي السياسية تفسر بالزهو والتباهي ، وهذا التفسير أجج ناره الآن الرفيق آكسلرود والرفيق مارتوف .

www.kassioun.org

وانتظام ، طوال **ثلاثة اعوام** . وحين اعترف المؤتمر الثاني للحزب بـ«الايسكرا» الجريدة المركزية ، كانت فقرتان من اصل الفقرات الثلاث حول الاسباب الموجبة الواردة في القرار المعني (ص ١٤٧) ، مخصصتين **بوجه الضبط لهذه الخطة التنظيمية ولافكار «الايسكرا» في حفل التنظيم** : دورها في قيادة نشاط الحزب **العملي** ودورها القيادي في عمل التوحيد . فمن الطبيعي تماماً اذن ان عمل «الايسكرا» وكذلك كل امر تنظيم الحزب ، كل امر اعادة بناء الحزب **فعلاً لم يكن بالامكان** اعتبارهما منتهيين قبل ان يعترف الحزب بأسره بافكار معينة في حقل التنظيم ويثبتها شكلا . وهذه المهمة هي التي كان ينبغي ان يقوم بها النظام الداخلي للحزب .

ان الافكار الاساسية التي كانت «الايسكرا» ترغب في جعلها قاعدة لتنظيم الحزب ، تنحصر ، في الجوهر ، في الفكرتين التاليتين . كانت الاولى ، فكرة المركزية ، تقر ، من حيث المبدأ ، طريقة حل كل جملة القضايا التنظيمية الخاصة والتفصيلية . وكانت الثانية – دور الجريدة الخاص ، بوصفها هيئة قيادية فكرية – تأخذ بالحسبان الحاجات الموقتة والخاصة للحركة العمالية الاشتراكية-الديموقراطية الروسية بالضبط ، في ظروف العبودية السياسية ، شرط انشاء قاعدة **اولى** في الخارج لعمليات الهجوم الثوري . كان ينبغي للفكرة الاولى ، التي هي وحدها فكرة مبدئية ، ان تطبع بطابعها كل نصوص النظام الداخلي ؛ بينا الفكرة الثانية ، بوصفها فكرة خاصة نشأت عن ظروف موقتة تتعلق بالمكان وطريقة العمل ، كانت تتجلى في انحراف **ظاهر** عن المركزية ، في انشاء **مركزين اثنين : الجريدة المركزية واللجنة المركزية** . وهاتان الفكرتان الاساسيتان لـ«لايسكرا» اللتان تتعلقان بتنظيم الحزب ، انما انا طورتهما في مقالة لهيئة تحرير «الايسكرا» (العدد الرابع) تحت عنوان «بم نبدأ ؟» وفي «ما العمل ؟» ؛ وشرحتهما اخيراً بالتفصيل ، وبشكل نظام داخلي تقريباً ، في «رسالة الى رفيق» . فلم يكن يبقى بالاجمال الا عمل التحرير من اجل صياغة فقرات النظام الداخلي الذي كان عليه ان يطبق

www.kassioun.org

هاتين الفكرتين عملياً ، هذا اذا كان الاعتراف بـ«الايسكرا» لا يظل حبراً على ورق ، واذا لم يكن مجرد اصطلاح . وفي مقدمة «رسالة الى رفيق» ، التي اعدت طبعها ، اشرت الى انه يكفي مجرد المقارنة بين نظام الحزب الداخلي وهذه الكراسة حتى يتضح التماثل التام بين الافكار التنظيمية الواردة هنا وهناك .

وبصدد عمل التحرير من اجل صياغة الافكار التنظيمية الايسكرية في النظام الداخلي ، لا بد لي من ان اتناول حادثة اثارها الرفيق مارتوف . قال مارتوف في مؤتمر العصبة (ص ٥٨) : «. . . ان استشهاداً بالواقع يبين لكم الى اي حد كان لينين لا يتوقع انزلاقي نحو الانتهازية فيما يخص هذه الفقرة (اي الفقرة الاولى) . فقبل المؤتمر بشهر ونصف الشهر او شهرين ، عرضت على لينين مشروعي وكانت الفقرة الاولى فيه واردة تماما كما اقترحتها في المؤتمر . فعارض لينين مشروعي ، باعتباره مفصلا كثيرا جدا ، وقال لي ان فكرة الفقرة الاولى وحدها تعجبه : تعريف الانتساب ، وانه سيقبلها في نظامه الداخلي بعد اجراء تعديلات عليه ، لأنه وجد صيغتي غير موفقة . وهكذا كان لينين يعرف صيغتي منذ زمن بعيد ، وكان يعرف رأيي حول هذه النقطة . وهكذا ترون اني مضيت الى المؤتمر كاشف الجبهة ، دون ان اخفي آرائي . وقد حذرت باني سأحارب التعيين الداخلي المتبادل ، ومبادئ الاجماع لدن التعيين الداخلي في اللجنة المركزية ، والجريدة المركزية ، الخ .» .

ففيما يتعلق بالتحذير بصدد النضال ضد التعيين الداخلي المتبادل ، سنرى في المكان المناسب كيف جرت الامور . لنتوقف الآن عند هذه «الجبهة المكشوفة» في النظام الداخلي الذي وضعه مارتوف . ان مارتوف ، حين نقل في العصبة ، حسب ذاكرته ، حادثة مشروعه غير الموفق (وقد سحبه مارتوف بنفسه في المؤتمر لاعتباره غير موفق ، ثم عاد ، بما اختص به من انسجام في التفكير واظهره بعد المؤتمر من جديد) ، ان مارتوف ، كما هي العادة ، نسي كثرة من الاشياء ، ولهذا شوش الامور مرة اخرى . كان يخال ان هناك ما يكفي من الوقائع التي

www.kassioun.org

تحذّر من الاستشهادات باحاديث خاصة كما حفظتها الذاكرة (ان المرء لا يتذكر عفو الخاطر غير ما يجده مفيدا !) ؛ ومع ذلك ، يلجأ الرفيق مارتوف الى مواد غير موثوقة ، نظرا لانعدام اي وثائق اخرى . وحتى الرفيق بليخانوف شرع الآن يقلد مارتوف ، لأن الامثلة الرديئة هي ، على ما يبدو ، مثيرة للتقليد .

ان «فكرة» الفقرة الاولى من مشروع مارتوف لم يكـــن بوسعها ان «تعجبني» ، لأنه لم يكن في مشروعه **اي فكرة** برزت في المؤتمر . وقد خانته الذاكرة . وكان من حسن حظي انـــي وجدت في الاوراق مشروع مارتوف حيث «**الفقرة الاولى واردة على غير ما اقترحها في** المؤتمر» ! ها هي ذي حقا «الجبهة المكشوفة» !

الفقرة الاولى في مشروع مارتوف : «يعتبر منتسباً الى حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا كل من يعترف ببرنامجه ويعمل بنشاط على تنفيذ مهامه تحت رقابة هيئات (كذا !) الحزب وقيادتها» .

الفقرة الاولى من مشروعي : «يعتبر عضـــوا في الحزب كل من يعترف ببرنامجه ويؤيده ماديا ويشترك شخصيا في احدى المنظمات الحزبية» .

الفقرة الاولى حسب الصيغة التي اقترحها مارتوف في المؤتمر ووافق عليها المؤتمر : «يعتبر عضوا في حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا كل من يعترف ببرنامجه ويؤيده ماديا ويسدي له بانتظام مساعدة شخصية تحـــت قيادة احدى منظماته» .

من هذه المقارنة ،يتبين بوضوح ان مشروع مارتوف على وجه الضبط لا يتضمن اي **فكرة** ، بل **جملة جوفاء** فقط : ان يعمل اعضاء الحزب تحت رقابة **هيئات** الحزب وقيادتها ، ألا ان هذا غني عـن البيان ، **ولا يمكن ان يكون الحال على غير هذا النحو** ، ولا يتحدث فى هذا الامر غير من يطيب لهم ان يتكلموا لكي لا يقولوا شيئا ، من يطيب لهم ان يملأوا «الانظمـــة الداخلية» ببحار من الماء الشفوي والصيغ الدواوينية (اي غير النافعة للعمل والمزعومة ضرورتها للعرض والتباهي) . ان **فكرة** الفقرة الاولى لا تظهر الا عندما يوضع السؤال التالي : هـــل

www.kassioun.org

تستطيع **هيئات الحزب** ان تمارس **فعلا** قيادتها على اعضاء في الحزب **لا يدخلون** في اي **منظمـة من منظمات الحزب** ؟ من هذه الفكرة ، لا يوجد اي اثر في مشروع الرفيق مارتوف . وعليه **لم يكن في مستطاعي ان اعرف** «رأي» الرفيق مارتوف «حول هذه النقطة» ، اذ انه لا يوجد اي **رأي** حول **هذه النقطة** في مشروع الرفيق مارتوف . ان الاستشهاد بالواقع ، الذي اعطاه الرفيق مارتوف ليس سوى **تشويش** .

وبالعكس ، يجب القول ، فيما يخص الرفيـــق مارتوف بالذات ، انه «كان يعرف» مـــن مشروعي «رأيي حول هذه النقطة» ، ولم يدل باي اعتر اضات ، ولم يدحضه لا في هيئـة التحرير – مع ان مشروعي عرض على الجميع قبل المؤتمـــر باسبوعين او ثلاثة اسابيع – ولا امام المندوبين الذين اطلعوا على مشروعي **وحده لا غير** . وعلاوة على ذلك ، حتى **في المؤتمر** ، حين قدّمت مشروعي للنظام الداخلي * ودافعت عنه **حتى انتخاب لجنة النظام الداخلي** ، صرّح الرفيق مارتوف بكل وضوح : «اني اوافق على استنتاجـــات الرفيق لينين . **ولا أخالفه إلا في مسألتين**» (اشارة التأكيـد مني) : كيفيـــة تشكيل المجلس ، والتعيين الداخلي (الضمّ) الاجماعي (ص ١٥٧) . اما **الخلاف** حول الفقرة الاولى ، **فلا ذكر له بتاتا** هنا .

---

* وللمناسبة . طبعت لجنة المحاضر ، في الملحق الحادي عشر ، مشروع النظام الداخلي «**الذي قدمه لينين في المؤتمر**» (ص ٣٩٣) . هنا شوشت اللجنة ايضا الامور بعض الشيء . فقد خلطت بين مشروعي **الاولي** الذي عرض على جميع المندوبين (وعلى كثيرين جداً منهم قبـــل المؤتمر) وبين المشروع **المقدم في المؤتمر وطبعت الاول** على انه الثاني . انا لا اعارض طبعا في نشر مشاريعي ، **حتى في جميع اطوار اعدادهـا** ، ولكنه يجب مع ذلك عدم زرع البلبلة والتشوش . والحال ، هناك بلبلـة وتشوش ، لأن بوبوف ومارتوف (ص ١٥٤ و١٥٧) ينتقدان صيغـــا من مشروعي المقدمَ فعلا في المؤتمر ، ولكنهـا **غير واردة في المشروع** الذي نشرته لجنة المحاضر . (قارن ص ٣٩٤ ؛ الفقرتان ٧ و١١) . فلو جرى البحث بمزيد من الانتباه ، لأمكن ملاحظة هذا الخطأ دون عناء ، وذلك بمجرد مقارنة الصفحات التي اشرت اليها .

www.kassioun.org

وقد ارتآى الرفيق مارتوف ، في كراسه حول حالة الحصار ، ان يعيد التذكير بنظامـــه الداخلي مرة اخرى وبكثير من التفاصيل . وهو يؤكد في هذا الكراس ان نظامه الداخلي ، الذي هو مستعد الآن ايضا (شباط – فبراير – ١٩٠٤ ، – ولا نعلم ماذا يحدث بعد ثلاثة اشهر ، مثلا) للتوقيع عليه ، باستثناء بعض التفاصيل الخاصة الثانوية ، «كان يفصح بما يكفي من الوضوح عن موقفه السلبي من تضخم المركزية» (ص «د») . ان الرفيق مارتوف لـــم يقدم هذا المشروع فى المؤتمـــر ، وهذا الواقـــع يفسّره الرفيق مارتوف **الآن** كما يلي : اولا : «ان التربيـــة الايسكرية قد اوحت له بان يقف من النظام الداخلي موقف ازدراء» (حين يحلو للرفيق مارتوف ، لا تعني كلمة «ايسكري» بنظره الروح الحلقي الضيق ، بل الاتجاه الاكثر انسجاماً ! ولكنه من المؤسف فقط ان تكون التربية الايسكرية طوال ثلاث سنوات لم توح للرفيق مارتوف بان يقف موقف ازدراء من الجملة الفوضوية ، التي يستطيع بها التذبذب الخاص بالمثقفين ان يبرر انتهاك النظام الداخلي الذي أ'قر بالاتفاق المشترك) . ثانياً ، أنظروا ، لقد تحاشى الرفيق مارتوف «ان يأتي باقـــل تنافر الى تكتيك هذه النواة التنظيمية الاساسية التى كانتهـــا «الايسكرا»» . هذا الكلام متماسك بروعـــة ! ففي الوسألـــــة **المبدئية** المتعلقة بالصيغة الانتهازية للفقرة الاولى او بتضخـــم المركزية ، خشي الرفيق مارتوف التنافر (الرهيب فقط من وجهة نظر الروح الحلقي البالغة الضيق) الى حد انه لم يطرح خلافه في الرأي حتى امام هذه النواة التي هي هيئة التحرير ! اما المسألة **العملية** المتعلقة بقوام المركزين ، فقد اعترض فيها الرفيـــق مارتوف ، بمساعدة البوند وانصار «رابوتشييـــه ديلو ، عـــلى تصويت اغلبية اعضاء منظمة «الايسكرا» (هذه **النواة التنظيمية الاساسية** الحقيقية) . ان الرفيق مارتوف لا يلاحظ اي «تنافر» في جمله التي تدس الروح الحلقي دفاعا عن هيئة التحريـــر المزعومة ، بغية انكار «الروح الحلقي» في تقدير القضية من جانب اكفأ الناس . وعقابا له ، ننشر مشروعه للنظام الداخلي **بنصه**

www.kassioun.org

الكامل ، مشيرين من جهتنا الى ما يظهر من **نظرات وتضخم** * :

«مشروع نظام داخلي للحزب . ـ ١ . الانتساب الى الحزب . ـ ١) يعتبر منتسباً الى حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا كل من يعترف ببرنامجه ويعمل بنشاط على تنفيذ مهامه تحت رقابة هيئات الحزب وقيادتها . ـ ٢) ان فصل عضو من اعضاء الحزب لاعمال تتنافى ومصالح الحزب ، تقرره اللجنة المركزية . [يحفظ القرار المعلل بشأن الفصل في ارشيفات الحزب ، ويبلغ ، بناء على الطلب ، الى كل لجنة من لجان الحزب . ومن الممكن استئناف قرار اللجنة المركزية بشأن الفصل ، امام المؤتمر ، اذا ما تقدمت لجنتان او اكثر بطلب الاستئناف]» . . . سأشير بين معترضتين الى الاحكام الواردة في مشروع مارتوف ؛ الخالية **بكل وضوح** من اي مضمون ، والتي لا تنطوي على اي «فكرة» ، وليس هذا وحسب ، بل لا تنطوي ايضا حتى على اي شرط صريح او مطلب دقيق ، من نوع هذه الاشارة المدهشة في «النظام الداخلي» **حيث** يجب **على وجه الضبط** الاحتفاظ بالقرار ، او الاستشهاد بواقع انه يمكن استئناف قرارات اللجنة المركزية بشأن الفصل (لا جميع قراراتها على اختلافها بوجه عام ؟) ، امام المؤتمر . هنا بالضبط تضخم في الجملة ، او تمسك حقيقي دواويني بالشكليات بمعنى ابتداع نقاط وفقرات من الجلي انها غير مفيدة او انها تتسبب بالمماطلة . «. . . ـ ٢ . اللجان المحلية . ـ ٣) لجان الحزب تمثل الحزب في عمله المحلي . . .» (هذا جديد وذكي جداً !) «. . . ٤) [يعتبر من لجان الحزب مجموع اللجان الممثلة في المؤتمر الثاني وقت انعقاده] . ـ ٥) لجان الحزب الجديدة ؛ علاوة على اللجان المذكورة في الفقرة ٤ ، تعينها اللجنة المركزية [فاما ان تعترف اللجنة المركزية بمجموع اعضاء منظمة محلية معنية لجنة ، واما تؤلف اللجنة المحلية بتعديل هذه المنظمة] . ـ ٦) اللجان تستكمل عدد اعضائها بالتعيين الداخلي . ـ ٧) يحق للجنة المركزية ان تستكمل قوام اللجنة المحلية بعدد من الرفاق (تعرفهم هي) ، بحيث لا يمثل هذا العدد اكثر من ثلث القوام المعني . . .» هذا نموذج عن الدواوينية : لماذا لا اكثر من الثلث ؟ وما فائدة هذا الشرط ؟ واي معنى لهذا القيد الذي لا يقيد شيئا ، اذ يمكن **الاستكمال** مرارا ؟ «. . . ٨) [اذا انحلت اللجنة المحلية او سحقت» (اي اذا كان لم يقبض عليها بأسرها ؟) «من جراء اعمال القمع ، تعيد اللجنة المركزية تأليفها»] . . . (دون ان تأخذ بعين الاعتبار الفقرة ٧ ؟ أفلا يجد الرفيق مارتوف ان هناك تشابها

* تجدر الاشارة الى انني ؛ لسوء الحظ ، لم استطع ان اجد النص الاول لمشروع مارتوف ، وكان يتضمن نحو ٤٨ فقرة ، ويشكو اكثر ايضا من «التضخم» في الشكليات التافهة .

www.kassioun.org

بين الفقرة ٨ وقوانين اللياقة الروسية التي تأمر بالعمل في الايام العادية وبالاستراحة في ايام الآحاد والاعياد ؟) «. . . ٩) [يمكن لمؤتمر الحزب التالي ان يكلف اللجنة المركزية بتعديل قوام لجنة محلية يعتبر نشاطها منافيا لمصالح الحزب . وفي هذه الحالة الاخيرة ، تعتبر اللجنة بقوامها القائم محلولة ، والرفاق ، حيث تعمل هذه اللجنة ، محررين من الخضوع * لها .»] . . . ان القاعدة الواردة في هذه الفقرة لجزيلة النفع كما هي عليه المادة الواردة حتى الآن في القوانين الروسية ، والقائلة : السكر ممنوع على الجميع وعلى كل فرد . «. . . ١٠) [تقود لجان الحزب المحلية كل نشاط الحزب فيما يتعلق بالدعاية والتحريض والتنظيم في القاعدة وتسدي مساعدتها ، بقدر مستطاعها ، الى اللجنة المركزية والى جريدة الحزب المركزية ، في تنفيذ الواجبات المترتبة عليهما ازاء الحزب بأسره .»] . . . اوف ! ما فائدة هذا ، وحق جميع القديسين ؟ . . . ١١) [«النظم الداخلية للمنظمة المحلية ، والعلاقات بين اللجنة والفرق التابعة لها» (هل تسمع ، هل تسمع ، **ايها الرفيق** آكسلرود ؟) «وحدود صلاحية هذه الفرق واستقلالها الذاتي» (أليست حدود الصلاحية نفس حدود الاستقلال الذاتي ؟) «تقررها اللجنة نفسها وتبلغها الى اللجنة المركزية وهيئة تحرير الجريدة المركزية»] . . . (نقص : لا يقال اين تحفظ هذه التبليغات) . . . «١٢) [يحق لجميع الفرق واعضاء الحزب التابعين للجان ان يطالبوا بابلاغ لجنة الحزب المركزية وجرائده المركزية آراءهم او رغائبهم حول كل مسألة] .ـ ١٣) يجب على لجنة الحزب المحلية ان تقتطع من مداخيلها وتدفع لصندوق اللجنة المركزية حصتها النسبية وفقا للتوزيع الذي تقرره اللجنة المركزية .ـ ٣ . منظمات لاغراض التحريض بلغات اخرى (غير اللغة الروسية) .ـ ١٤) [قصد التحريض بلغة غير الروسية ، وقصد تنظيم العمال الذين يجري بينهم هذا التحريض ، يمكن ان تتشكل منظمات خاصة في الاماكن التي تستدعي فيها الضرورة تخصيص هذا التحريض وتعيين مثل هذه المنظمة .] ـ ١٥) ان حل مسألة معرفة الى اي حد تقوم هذه الضرورة ، متروك للجنة الحزب المركزية ، وفي حال النزاع ، لمؤتمر الحزب» . . . القسم الاول من الفقرة لا فائدة منه اذا اخذت بالحسبان سائر احكام النظام الداخلي التالية ؛ والقسم الثاني المتعلق بحالات النزاع مضحك وسخيف حقا . . . «١٦) [المنظمات المحلية المذكورة في الفقرة ١٤ تتمتع بالاستقلال الذاتي فيما يتعلق بشؤونها الخاصة ، ولكنها تعمل تحت

---

* نلفت انتباه الرفيق آكسلرود الى هذا التعبير . فما ارهبه ! ها هي ذي حقا جذور «اليعقوبية» التي تمتد حتى . . . حتى تعديل قوام هيئة التحرير . . .

www.kassioun.org

رقابة اللجنة المحلية وتتبع لها ؛ اما اشكال هذه الرقابـــــة وقواعد العلاقات التنظيمية بين لجنة معنية ومنظمة خاصة معنية ، فان اللجنة المحلية هي التي تقرها» . . . (الحمد لله ! والآن يتضح انه كان من غير المفيد حقا رصف كل هذه السلسلة من الكلمات الجوفاء) . . . «اما فيما يخص الشؤون العامة للحزب ، فان هذه المنظمات تعمل بوصفها اجزاء من منظمة اللجنة .] – ١٧) [يمكن للمنظمات المحلية الواردة في الفقرة ١٤ ان تؤلف اتحادا مستقلا ذاتيا بغية تحقيق مهامها الخاصة بنجاح . ويمكن ان يكون لمثل هذا الاتحاد هيئاته الادبية والادارية ؛ ولكن هذه الهيئات ، الادبية منها والادارية ، تخضع لرقابة مباشرة من جانب لجنة الحزب المركزية . اما النظام الداخلي لهذا الاتحاد ، فيضعه الاتحاد بنفسه ، ولكن لجنة الحزب المركزية تصادق عليه .] – ١٨) [يمكن ان تشترك ايضا لجان الحزب المحلية في الاتحاد المستقل ذاتيـــا المنصوص عنه في الفقرة ١٧ اذا كانت ، نظرا لاوضاعها المحليـــــة ، تنصرف على الاخص الى العمل التحريضي في اللغة المعنية . **ملاحظة** . ان هذه اللجنة ، رغم كونها جزءاً من أجزاء الاتحاد المستقل ذاتيا ، لا تكف عن ان تكون لجنة من لجان الحزب] . . . (الفقرة كلها في اقصى الفائدة ومنتهى الذكاء ، والملاحظة افيد واذكى ايضا) . . . «١٩) [المنظمات المحلية ، اعضاء الاتحاد المستقل ذاتيا ، تخضع ، في علاقاتها مـــع هيئاته المركزية ، لرقابـــة اللجان المحليـــة .] – ٢٠) [الهيئات الادبية والادارية المركزية للاتحادات المستقلة ذاتيا ، شأنها شأن لجان الحزب المحلية ، تخضع في علاقاتها مع اللجنة المركزيـــة لنفس الشروط .] – ٤ . اللجنة المركزية وهيئات الحزب الادبية . – ٢١) [تمثل الحزب بمجمله اللجنة المركزية والهيئتان الادبيتان – السياسيـــة والعلمية .] – ٢٢) تتولى اللجنة المركزية القيادة العامة لمجمل نشاط الحزب العملي ؛ وامر استخدام وتوزيع جميع قواه بسداد ؛ والرقابـــة عـــلى نشاط جميـــع قطاعات الحزب ؛ وتزويد المنظمات المحليـــة بالمنشورات ؛ وتنظيم جهاز الحزب التكنيكي ؛ والدعوة الى عقد مؤتمرات الحزب . – ٢٣) تتولى هيئتا الحزب الادبيتان القيادة الفكرية لحياة الحزب ؛ الدعاية لبرنامج الحزب ، والصياغة العلمية والصحفية لمفهوم الاشتراكية-الديموقراطية عن العالم . – ٢٤) جميع لجان الحزب المحلية والاتحادات المستقلة ذاتيا تقيم صلات مباشرة سواء مع لجنة الحزب المركزية ام مع هيئات تحرير صحف الحزب ، وتبلغهما دوريا عن سير الحركة والعمل التنظيمي في القاعدة . – ٢٥) هيئات تحرير صحف الحزب يعينها مؤتمر الحزب وتعمل حتى المؤتمر المقبل . – ٢٦) [هيئات التحرير مستقلة في شؤونها الداخلية] وتستطيع ، في الفترة بين مؤتمرين ، ان تكمل او تعدل قوامها ، على ان تبلغ بذلك اللجنة المركزية كل مرة . –

www.kassioun.org

٢٧) جميع البيانات التي تصدر عن اللجنة المركزيـــة او التي تنال موافقتها ، تنشر في جريدة الحزب بناء على طلب اللجنة المركزية .ـ ٢٨) بالاتفاق مع هيئات تحرير الصحف الحزبية ، تشكل اللجنة المركزية فرقا ادبية خاصة لهذا او ذاك من اشكال العمل الادبي .ـ ٢٩) تعين اللجنة المركزية في مؤتمر الحزب وتعمل حتى المؤتمر التالي . تكمـــل اللجنة المركزية قوامها عن طريق التعيين الداخلي غير المحدود ، عـــلى ان تبلغ بذلك كل مرة هيئات تحرير صحف الحزب المركزية .ـ ٥ . منظمة الحزب في الخارج .ـ ٣٠) منظمة الحزب في الخارج تشرف عـــلى الدعاية بين الروس المقيمين في الخارج وتنظيم العناصر الاشتراكية بينهم . وترأسها ادارة منتخبة .ـ ٣١) يمكن للاتحادات المستقلة ذاتيا في الحزب ان تكون لها فروعها في الخارج قصد الاسهام في بلوغ الاهداف الخاصة التي تبتغيها هذه الاتحادات . وهذه الفروع تشترك ، بوصفهـــا فرقا مستقلة ذاتيا ، في المنظمة العامـــة في الخارج .ـ ٦ . مؤتمرات الحزب .ـ ٣٢) المؤتمر هو الهيئة العليا للحزب .ـ ٣٣) [مؤتمـــر الحزب يقر برنامج الحزب ونظامه الداخلي ومبادئ نشاطه الموجهة ؛ ويراقب عمل جميـــع هيئات الحزب ويحل النزاعات بينها .] ـ ٣٤) تتمثل في المؤتمر : أ ـ جميع لجان الحزب المحلية ؛ ب ـ الهيئات الاداريـــة المركزية لجميـــع الاتحادات المستقلـــة ذاتياً في الحزب ؛ ج ـ لجنـــة الحـــزب المركزيـــة وهيئـــات تحرير صحفـــه المركزية ؛ د ـ منظمة الحزب في الخارج .ـ ٣٥) يجوز التوكيـــل بالتفويضات ، ولكن شرط ان لا يمثل مندوب واحد اكثر من ثلاثة تفويضات فعلية . ويجوز قسمة التفويض بين مندوبين . التفويضات الالزامية غير مقبولة .ـ ٣٦) تخول اللجنة المركزية الحق في ان تدعو الى المؤتمر الرفاق الذين قد يكون حضورهم مفيدا على ان يكون صوتهم استشاريا فقط .ـ ٣٧) لتعديل برنامج الحزب او لتعديل نظامـــه الداخلي ، يجب اغلبية ثلثي اصوات الحاضرين ؛ اما القضايا الاخرى ، فتقرر بالاغلبية البسيطة .ـ ٣٨) يعتبر المؤتمر صالحا اذا تمثل فيـــه اكثر من نصف جميع لجان الحزب القائمة وقت انعقاد المؤتمر .ـ ٣٩) يعقد المؤتمر ـ قدر الامكان ـ مرة كل سنتين . [اذا حالت عقبات ، مستقلة عن ارادة اللجنة المركزية ، دون عقد المؤتمر في هذه المدة ، ارجأته اللجنة المركزية على مسؤوليتها الخاصة» .]

ان القارئ الذي صبر بشكل استثنائي وقرأ الى النهاية هذا النظام الداخلي المزعوم ، لن يطلب منا ، بكل تأكيد ، دراسة خاصة للاستنتاجات التالية . الاستنتاج الاول : يشكو النظام الداخلي حشواً من الصعب علاجه . الاستنتاج الثاني :

www.kassioun.org

من المستحيل اكتشاف تلوين خاص في مبادئ هذا النظام الداخلي التنظيمية يشهد على موقف سلبي من تضخم المركزية . الاستنتاج الثالث : لقد تحلى الرفيق مارتوف بمنتهى الحكمة اذ هرّب عن عيون العالم (وعن مناقشة المؤتمر) اكثر من ٣٩/٣٨ من نظامه الداخلي . ثمة امر لا يخلو من الاصالة ، هو ان احدهم يتحدث ، بصدد هذا التهريب ، عن الجبهة المكشوفة .

ح – النقاش حول المركزية قبل الانشقاق بين الايسكريين

قبل الانتقال الى صيغة الفقرة الاولى من النظام الداخلي ، وهي مسألة طريفة حقاً وتكشف بلا مراء مختلف تلاوين الآراء ، سنتوقف ايضاً قليلاً عند المناقشات العامة القصيرة التي دارت حول النظام الداخلي واستغرقت الجلسة الرابعة عشرة من المؤتمر وقسماً من الجلسة الخامسة عشرة . ان هذه المناقشات تتسم ببعض الاهمية لانها **جرت قبل** الخلاف التام الذي نشب في منظمة «الايسكرا» حول مسألة قوام المركزين . اما المناقشات اللاحقة بشأن النظام الداخلي بوجه عام ، والتعيين الداخلي بوجه خاص ، فقد جرت ، بالعكس ، **بعد** خلافنا في منظمة «الايسكرا» . فطبيعي تماما ان كان في مستطاعنا ، **قبل** هذا الخلاف ، ان نعرب عن وجهة نظرنا بصورة اقل تحيزا اي بمزيد من الاستقلال في الرأي والحكم ازاء قضية اثارت الجميع ، ونعني بها قضية قوام اللجنة المركزية . **انضم** الرفيق مارتوف (ص ١٥٧) ، كما سبق ان قلت ، الى وجهة نظري في المسائل التنظيمية ، الا انه تحفظ حول نقطتين **خاصتين** مقط . وبالعكس ، حمل اخصام الايسكريين و«الوسط» فوراً على الفكرتين **الاساسيتين** في مجمل خطة «الايسكرا» التنظيمية (ومن ثم في مجمل النظام الداخلي) : اي على المركزية ، وعلى «المركزين» . ونعت الرفيق ليبر نظامي الداخلي بانه «حذر منظم» ورأى (مثله مثل الرفيقين بوبوف وايغوروف) في المركزين ضرباً من **اللامركزية** . واعرب الرفيق اكيموف عن الرغبة في توسيع صلاحيات اللجان المحلية ، كأن تمنح «حق تغيير قوامها» بنفسها . «من الضروري منحها حرية اكبر للعمل . . . ينبغي

www.kassioun.org

للجان المحلية ان ينتخبها المناضلون النشيطون في المحلـــة المعنية ، كما ان اللجنة المركزية ينتخبها ممثلو جميع المنظمات النشيطة في روسيا . ولكن ، اذا كان لا يمكن القبول حتى بهذا ، فليُحدد عددُ الاعضاء الذين تعينهم اللجنة المركزية في اللجان المحلية . . .» (ص ١٥٨) . وهكذا ، كما ترون ، يوحي الرفيق اكيموف بحجة ضد «تضخم المركزية» ، ولكن الرفيق مارتوف يصم اذنه عن مثل هذه الايحاءات الرصينة ، ما دامت هزيمته بشأن قوام المركزين لا تدفعه الى اتباع اكيموف . ويظل يصم اذنه حتى حين يوحي له الرفيق اكيموف بـ«**فكرة**» **نظامه الداخلي بالذات** (الفقرة ٧ : تقييد حقوق اللجنة المركزية فيما يتعلق بادخال الاعضاء الى اللجان) ! في ذلك الحين ، لم يكن الرفيق مارتوف راغبا بعد في «التنافر» معنا ، ولهذا تسامح بالتنافر مع الرفيق اكيموف ومع نفسه ايضا . . . في ذلك الحين ، لم يهاجم «المركزية الفظيعة» غير اولئك الذين كان بادياً ان مركزية «الايسكرا» **في غير صالحهم** : اكيموف ، ليبر ، غولدبلات ، وعلى اثرهم **ساز** بحذر وتبصر (بصورة يمكن معها دائماً العودة الى الوراء) ايغوروف (انظر ص ص ١٥٦ و٢٧٦) وغيره ايضاً . في ذلك الحين ، كانت اغلبية الحزب الساحقة ما تزال تدرك ان المصالح الضيقة ، المحلية ، المصالح الحلقية ، هي التي كانت تدفع البوند ، و«يوجني رابوتشي» الخ . الى الاحتجاج عـــلى المركزية . ثم انه لا يزال واضحا الآن لاغلبيـــة الحزب ان المصالح الحلقية هي التي تدفع هيئة تحرير «الايسكرا» القديمة الى الاحتجاج على المركزية . . . .

خذوا مثلاً خطاب الرفيق غولدبلات (ص ١٦٠ – ١٦١) . انه يرافع ضد مركزيتي «الفظيعة» ويزعم انها تؤدي الى «ابادة» المنظمات الدنيا وانها «مشبعة كلياً بالرغبة في منح المركز سلطة لا حد لها ، حقاً لا حد له بالتدخل في كل الامور» ؛ وانهـــا لا تدع للمنظمات الا «حقاً واحداً فقط ، هو حق الخضوع المطلق للاوامر الصادرة من عل» ، الخ . . «ان المركز الذي ينشأ بموجب المشروع سيجد نفسه في مدى فارغ ؛ فلن يكون حوله اية اطراف ، انما فقط كتلة غير محدود شكلها يعمل فيهـــا

www.kassioun.org

منفذوه» . وهذه بالضبط نفس **الجمل والتعابير الطنانة الباطلة** التي شرع يتحفنا بها مارتوف واكسلرود ومن لف لفهما بعد هزيمتهم في المؤتمر . وقد ضحكوا على البوند الذي ، مع محاربته مركزيتنا ، يمنح مركزه **الخاص** حقوقاً لا حد لها معينة **بمزيد من الوضوح** (مثلاً ، حق قبول وفصل الاعضاء ، وحتى حق عدم قبول هذا المندوب او ذاك في المؤتمرات) . وسيضحكون ايضا ، بعد توضيح المسألة ، من ولولات **الاقلية** التي تزعق وتصيح ضد المركزية وضد النظام الداخلي كلما بقيت اقلية ، وتعتمد فوراً على النظام الداخلي كلما نالت الاغلبية .

وفي مسألة المركزين ، لم يكن التكتل اقل بروزاً : فبوجه **جميع** الايسكريين ، يقف ليبر واكيموف (الذى كان اول من غنى اغنية اكسلرود – مارتوف ، المفضلة اليوم ، عن تفوق الجريدة المركزية – في المجلس – على اللجنـــة المركزية) ، وبوبوف وايغوروف . ان خطة المركزين قد نجمت بصورة تلقائية عن الافكار التنظيمية التي كانت «الايسكرا» **القديمة** تروّجها دائماً (والتي كان وافق عليهـــا ، **قولاً** ، الرفاق اضراب بوبوف وايغوروف !) . وكانت سياسة «الايسكرا» **القديمة** على خلاف مطلق مع خطط «يوجني رابوتشي» ، مع الخطط الرامية الى انشاء جريدة شعبية موازية ، وجعلها جريدة مهيمنة **فعلاً** . من هنا ينبع هذا التناقض ، الغريب عند اول نظرة ، وقوامه ان جميع اخصام الايسكريين وكل المستنقع يؤيدون قيام مركز واحد ، اي انهم **يؤيدون مركزية أشد حسب زعمهم** . يقيناً انه كان هناك (ولا سيما في المستنقع) مندوبون من قليل الاحتمال انهم ادركوا بوضوح الى ما تؤول ولا بدّ ان تؤول ، بحكم الامور ، خطط «يوجني رابوتشي» التنظيمية . ولكن ما دفعهم الى معسكر اخصام الايسكريين ، انما كانت طبيعتهـــم بالذات ، الحائرة ، غير الواثقة بنفسها .

وبين كلمات الايسكريين اثناء **هذه** المناقشات (التي سبقت الانشقاق بين الايسكريين) حول النظام الداخلي ، نرى ان ابرزها كلمتا الرفيق مارتوف («انضمام» الى افكاري حول التنظيم) والرفيق تروتسكي . وقد رد تروتسكي على الرفيقين اكيموف

www.kassioun.org

وليبر بطريقة يفضح معها هذا الرد بكل من كلماته جميع ما في سلوك «الاقلية» ونظرياتها بعد المؤتمر من زيف وبطلان . «ان النظام الداخلي ، كما يقول (الرفيق اكيموف) ، لا يحدد بدقة كافية مجال صلاحية اللجنة المركزية . انا لا يمكنني ان أوافق على هذا القول . وارى العكس، فان هذا التحديد دقيق ويعني : اذا كان الحزب كلاً موحداً ، فينبغي ان تُؤمن له الرقابة على اللجان المحلية . لقد قال الرفيق ليبر ان النظام الداخلي هو ، حسب تعبيري ، ضرب من «الحذر المنظم» . هذا صحيح . الا اني استعملت هذا التعبير فيما يخص النظام الداخلي الذي عرضه ممثلو البوند والذي كان حذراً منظماً من جانب قسم من الحزب ازاء مجمل الحزب . اما نظامنا الداخلي» (في ذلك الحين ، كان هذا النظام «نظامنا» حتى الهزيمة في مسألة قوام المركزين !) «فانه يشكل حذراً منظماً من جانب الحزب ازاء جميع اجزائه ، اى رقابة على جميع المنظمات المحلية والمنطقية والقومية وغيرها» (ص ١٥٨) . اجل ، ان نظامنا الداخلي قد وصف **هنا** وصفا صحيحا ، وهذا الوصف ، انما ننصح بتذكره في اغلب الاحيان ، اولئك الذين يؤكدون الآن ، بوجدان مطمئن ، ان الاغلبية الغادرة هي التي قد اخترعت نظام «الحذر المنظم» او ، — والامر سواء بسواء — «حالة الحصار» ، وطبقته . حسبنا ان نقارن الخطاب المذكور مع الخطب في مؤتمر العصبة في الخارج ، لكي نجد امامنا مثالا على الميوعة السياسية ،مثالا على الطريقة التي تغيرت بها مفاهيم مارتوف وشركاه حسبما كان المقصود هيئتهم الخاصة ام هيئة الآخرين من مرتبة دنيا .

ط — الفقرة الاولى من النظام الداخلي

لقد اوردنا الصيغتين المختلفتين اللتين دارت حولهما مناقشات طريفة في المؤتمر . وقد استغرقت هذه المناقشات قرابة جلستين وانتهت بتصويتين **بالمناداة على الاسماء** (اثناء المؤتمر كله ، لم يجر ، اذا لم اكن على خطأ ، غير ثمانية تصويتات بالمناداة على الاسماء ؛ ولم تجر هذه التصويتات الا في

www.kassioun.org

حالات هامة جداً نظراً لما يتسبب عنها من ضياع جسيم في الوقت) . ولا ريب ان المسألة المطروقة هنا كانت مسألـــة مبدئية . وكان اهتمام المؤتمر بالمناقشات بالغاً جداً . وقد اشترك في التصويت **جميع** المندوبين ، وهو حدث نادر في مؤتمرنا (كما هو الحال ، عامة ، في جميع المؤتمرات الكبيرة) ، ويدل ايضاً على مدى اهتمام المناقشين .

ما هو جوهر المسألة المختلف عليها ؟ لقد قلت في المؤتمر وكررت فيما بعد اكثر من مرة «اني لا اعتبر ابداً خلافنا (حول الفقرة الاولى) اساسياً الى حد ان حياة الحزب او موته رهن به . كلا ، اننا لن نموت ، بسبب من فقرة سيئة في النظام الداخلي !» (ص ٢٥٠) * . ومع ان هذا الخلاف يكشف عن تلاوين مبدئية ، الا انه لم يكن بوسعه ، بحد ذاته ، وفي اي حال ، ان يثير هذا الخلاف (او ، في الواقع ، الانشقاق ، اذا تكلمنا صراحة ،دون مواربة) ، الذي وقع بعد المؤتمر . ولكن كل خلاف **صغير** قد يصبح **كبيراً** اذا أُصرَّ عليه ، اذا وضع في المنزلة الاولى ، اذا **شُرع** في البحث عن جميع جذوره وتشعباته . وكل خلاف **صغير** قد يكتسب اهمية **هائلة** ، اذا اتخذ نقطة انطلاق **لانعطاف** نحو بعض المفاهيم الخاطئة ، واذا تناسقت هذه المفاهيم الخاطئة ، بفعل خلافات جديدة واضافية ، مع اعمال **فوضوية** تقود الحزب الى الانشقاق .

وهذا ما حصل في هذه الحالة . فان خلافا صغيرا نسبيا حول الفقرة الاولى قد اكتسب الآن اهمية هائلة ، لأنه بالذات سجل انعطافا نحو عمق التفكير الانتهازي والجمل والتعابير الطنانة الفوضوية عند الاقلية (في مؤتمر العصبة خاصة ، ثم ايضا في اعمدة «الايسكرا» الجديدة) . وهذا الخلاف بالذات هو الذي **كان بمثابة نقطة انطلاق** الى تحالف الاقلية الايسكرية مع اخصام الايسكريين والمستنقع ، الى تحالف ارتدى ، نهائياً ، اشكالا معينة في موعد الانتخابات ، **ويستحيل** ، دون فهمه ، **فهم** الخلاف

* راجع خطاب لينين الثاني اثناء مناقشة النظام الداخلي للحزب ، ٢ (١٥) آب (اغسطس) ١٩٠٣ ، في المؤتمـــر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا . **الناشر** .

www.kassioun.org

الرئيسي ، الجوهري ، في مسألة قوام المركزين . ان الخطـــأ الطفيف الذي ارتكبه مارتوف واكسلرود بصدد الفقرة الاولى كان يشكل صدعا طفيفا في مركبنا (كما قلت في مؤتمر العصبة) . ولقد كان في المستطاع ربط المركب بمزيد من الوثوق ، **بعقدة** شديدة (لا بعقدة مميتة ، كما خيل لمارتوف انه سمع ، وكان اثناء مؤتمر العصبة في حالة تقارب الهستيريا) . وكان مـــن المستطاع توجيه **جميع** الجهود لتكبير الصدع ، لتحطيم المركب . وهذا ما حدث بالضبط ، من جرّاء المقاطعة والتدابير الفوضوية المماثلة التي اتخذها المارتوفيون الغيورون . وقد اضطلع الخلاف حول الفقرة الاولى بدور لا يستهان به في مسألـــة انتخاب المركزين ، واذا هزيمة مارتوف حول هذه المسألة تدفعه الى شن «نضال مبدئي» بوسائل ميكانيكية فظة وحتى فاضحة (الخطابات في مؤتمر «عصبة الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الروسية في الخارج») .

واليوم ، بعد جميع هذه الاحداث ، اكتسبت مسألة الفقرة الاولى ، على هذا النحو ، **اهمية هائلة** ، ولذا يجب علينا ان ندرك ادراكا دقيقاً طابع التكتلات في المؤتمر لدن التصويت على هذه الفقرة وان ندرك ايضا – وهذا ما هو أهم بكثير ايضا – الطابع الحقيقي **للتلاوين** التي ارتسمت او اخذت ترتسم **في المفاهيم** حول الفقرة الاولى . **واليوم** ، وبعد الاحداث التي يعرفها القارئ ، **توضع** المسألة كما يلي : صيغة مارتوف ، التي دافع عنها اكسلرود ، ترى ، أتأثرت بما عرف عنه (او عنهما) من تردد ، وتذبذب ، وميوعة سياسية ، كما قلت في مؤتمر الحزب (ص ٣٣٣) ، بما عرف عنه (او عنهما) من انحراف نحو الجوريسية والفوضوية ، كما اعتبر بليخانوف في مؤتمر العصبة (ص ١٠٢ وغيرها من محاضر العصبة) ؟ ام ان صيغتي انا ، التي دافع عنها بليخانوف ، قد تأثرت بمفهوم خاطئ ، دواويني ، شكلي ، «بومبادوري» (١٣) غير اشتراكي-ديموقراطي ، عن المركزية ؟ **أإنتهازية وفوضوية ام دواوينية وشكليات** ؟ – هكذا **توضع** المسألة **اليوم** ، وقد غدا الخلاف الصغير كبيراً . ونحن ، اذ نبحث ، **من حيث الاساس** ، الحجج المؤيدة والمعارضة لصيغتي ،

www.kassioun.org

انما نرى ان **هذه** الطريقة في طرح المسألة هي التي ينبغي **حسبان الحساب لها** وهي التي فرضتها علينا الاحداث ، وقد اقول عنها انها طريقة معطاة تاريخيا ، لو لم يكن هذا التعبير فضفاضا وطنانا .

لنبدأ بحث هذه الحجج بتحليل مناقشات المؤتمر . ان اول خطاب ، وهو خطاب الرفيق ايغوروف ، لا يهم إلا لأن موقفه («non liquet» ، هذا ليس واضحاً لي بعد ، ولا اعرف بعد اين هي الحقيقة) يصف جيداً موقف كثيرين من المندوبين ممن صعب عليهم ان يتفهموا بوضوح مسألة جديدة فعلاً ومعقدة جداً ومفصلة جداً . والخطاب التالي ، خطاب الرفيق اكسلرود ، يطرح فوراً المسألة بصورة مبدئية . وهو اول خطاب مبدئي ، او بالاحرى هو اول خطاب ، بوجه عام ، القاه الرفيق اكسلرود في المؤتمر ؛ ومن الصعب ان نقر بان استهلاله بـ«الاستاذ» الشهير موفق جداً . قال الرفيق اكسلرود : «اظن انه ينبغي لنا ان نميّز بين مفهومي : الحزب والمنظمة . والحال ، يُخلط هنا بين هذين المفهومين . وهذا الخلط خطر» . هذه هي الحجة الاولى ضد صيغتي . محّصوها عن كثب . فاذا كنت اقول ان الحزب ينبغي ان يكون **مجموع** (لا مجموعاً حسابياً بسيطاً ، بل كلاً متشابكاً) **منظمات** * ، فهل يعني قولي هذا اني «اخلط» بين مفهومي :

---

* ان كلمة «منظمة» تستخدم عادة على معنيين : واسع وضيق . فهي بالمعنى الضيق ، تعني خلية خاصة من الجماعة البشرية ، شرط ان يكون لها شكل ما مهما كان طفيفاً . وهي ، بالمعنى الواسع ، تعني مجموع هذه الخلايا مجتمعة في كل واحد . وهكذا فان كلا من الاسطول والجيش والدولة هو ، في آن واحد ، مجموع منظمات (بمعنى الكلمة الضيق) ونوعاً من منظمة اجتماعية (بمعنى الكلمة الواسع) . ان ادارة التعليم منظمة (بمعنى الكلمة الواسع) وهي تتألف من جملة من المنظمات (بمعنى الكلمة الضيق) . كذلك الحزب ، فهو منظمة ، **ينبغي ان يكون** منظمة (بمعنى الكلمة الواسع) ؛ ولكنه ينبغي في الوقت نفسه ان يكون الحزب مؤلفاً من جملة كاملة من شتى المنظمات (بمعنى الكلمة الضيق) . وعليه ، فان الرفيق اكسلرود ، الذي يبتغي التمييز بين مفهومي الحزب والمنظمة لم يأخذ بعين الاعتبار ، اولا ، هذا الفرق بين المعنى الواسع والمعنى الضيق لكلمة منظمة ، ولم يلاحظ ، ثانياً ، انه **يخلط** بنفسه ، في كومة واحدة ، بين العناصر المنظمة وغير المنظمة .

www.kassioun.org

الحزب والمنظمة ؟ طبعاً ، كلا . وبهذا افصح افصاحاً مطلق الوضوح والدقة عن رغبتي وعن طلبي ان يكون الحزب ، من حيث هو طليعة الطبقة ، شيئاً **منظماً** اكثر ما يمكن ، وان لا يستقبل في صفوفه الا عناصر **تقبل ولو حداً ادنى من التنظيم** . اما مجادلي ، فهو بالعكس ، **يخلط** في الحزب العناصر المنظمة والعناصر غير المنظمة ، العناصر التي تقبل القيادة والعناصر التي لا يمكن قيادتها ، العناصر المتقدمة والعناصر المتأخرة بشكل لا يمكن اصلاحه ، لأن المتأخرين الذين يمكن اصلاحهم يمكن ان ينضموا الى المنظمة . ان **هذا الخلط** هو **الخلط الخطر** حقاً . ثم ان الرفيق اكسلرود يستشهد «بمنظمتـــي الماضي السريتين والمركزيتين الصرفتين» («زيمليا اي فوليا» (١٤) و«نارودنايا فوليا» (١٥)) : فحول هاتين المنظمتين ، كما قال ، «كان يلتف عدد من الناس لا ينتسبون الى المنظمة ، ولكنهم يساعدونها بطريقة او اخرى ، ويُعتبرون من اعضاء الحزب . . . وهذا المبدأ ، ينبغي تطبيقه بمزيد من الدقة ايضاً في المنظمـــة الاشتراكية-الديموقراطية» . وهكذا نصل الى احد **محاور** المسألة : «هذا المبدأ» ، ترى ، هل هو حقاً مبدأ اشتراكي-ديموقراطي ، مبدأ يتيح لاولئك الذين لا ينتسبون الى اية منظمة من منظمات الحزب ، بل «يساعدونها» فقط «بطريقة او اخرى» ، ان يسموا انفسهم اعضاء في الحزب ؟ واعطى بليخانوف الجواب الممكن الوحيد عن هذا السؤال : «لقـــد اخطـأ اكسلرود اذ عاد بنا الى السبعينيات . في تلك الفترة ، كان هناك مركز حسن التنظيم ، رائع الانضباط . وحول هذا المركز ، كانت منظمات من مختلف الدرجات ، انشأها بنفسه ؛ وما كان خارج هذه المنظمات لم يكن سوى تشوش وفوضى . والعناصر التي تتكون منها هذه الفوضى كانت تسمي نفسها اعضاء الحزب ، ولكن القضية لم تكن تكسب بل كانت تخسر من هذا الوضع . ان ما ينبغي لنا ، هو ان نجتنب فوضى السبعينيات ، لا ان نقلدها» . وهكذا فان «هذا المبدأ» ، الذي شاء الرفيق اكسلرود ان يعرضه على انه مبدأ اشتراكي-ديموقراطي ، هو ، في الواقع ، **مبدأ فوضوي** . ولدحض هذا ، ينبغي اثبات **امكانية** الرقابة والقيادة والانضباط خارج

www.kassioun.org

المنظمة ؛ ينبغي اثبات **الضرورة** القاضية باطلاق اسم اعضاء الحزب على «عناصر الفوضى» . ان المدافعين عن صيغة الرفيق مارتوف لم يثبتوا ولم يستطيعوا ان يثبتوا **لا هذا ولا ذاك** . وعلى سبيل المثال ، ذكر الرفيق اكسلرود «استاذاً يعتبر نفسه اشتراكيا-ديموقراطياً ويصرح بذلك» . ولاستقصاء الفكرة الواردة في هذا المثال ، كان على الرفيق اكسلرود ان يتابع ويقول : هل يعتبر الاشتراكيون-الديموقراطيون المنظمون انفسهم هذا الاستاذ اشتراكياً-ديموقراطياً ؟ وبما ان الرفيق اكسلرود لم يطرح هذا السؤال الآخر ، فقد وقف بمحاكمته في منتصف الطريق . وبالفعل ، ثمة امران لا ثالث لهما . اما ان الاشتراكيين-الديموقراطيين المنظمين يعتبرون الاستاذ المذكور اشتراكياً-ديموقراطياً ، واذا ذاك لِم لا يقبلونه في هذه المنظمة الاشتراكية-الديموقراطية او تلك ؟ بهذا الشرط وحده ، تنطبق «تصريحات» الاستاذ على افعاله ولا تكون مجرد تعابير جوفاء (وهذا ما تقتصر عليه التصريحات الاستاذية في غالب الاحيان) . واما ان الاشتراكيين-الديموقراطيين المنظمين **لا** يعتبرون الاستاذ اشتراكياً-ديموقراطياً ، واذ ذاك من الخرق والعديم المعنى **والضار** منحه حق حمل لقب الشرف ، الزاخر بالمسؤولية ، لقب عضو الحزب . فالمقصود اذن اما تطبيق المبدأ التنظيمي بدأب وانسجام واما تكريس التبعثر والفوضى . اما ان نبني الحزب انطلاقاً من النواة القائمة ، الشديدة اللحمة المؤلفة من **اشتراكيين-ديموقراطيين** ، النواة التي شكلت ، مثلاً ، مؤتمر الحزب ، والتي لا بد لها ان توسع وتكثر منظمات الحزب على انواعها ؛ واما ان نكتفي بهذه **الجملة** المطمئنة : جميع الذين يساعدوننا هم اعضاء في الحزب . واضاف الرفيق اكسلرود قائلا : «اذا تبنينا صيغة لينين ، أقصينا جانباً اناساً ، صحيح انه لا يمكن قبولهم مباشرة في المنظمة ، الا انهم مع ذلك من اعضاء الحزب» . ان خلط المفاهيم ، الذي شاء الرفيق اكسلرود ان يتهمني به ، يبدو عنده هنا بوضوح تام : فهو يعتبر من الامور الواقعة ان جميع الذين يساعدوننا **هم** اعضاء في الحزب ، في حين ان هذه هي بالضبط نقطة الخلاف ، وانه ينبغي

www.kassioun.org

على المجادلين ان **يثبتوا** اولاً ضرورة هذا التفسير وفائدته . ما معنى هذا التعبير الذي يبدو رهيباً للوهلة الاولى : الاقصاء جانباً ؟ فاذا لم نعتبر مـــن اعضاء الحزب الا المنتسبين الى المنظمات المعتبرة من منظمات الحزب ، فان الذين لا يستطيعون الدخول «مباشرة» في اية من هذه المنظمات الحزبية يستطيعون مع ذلك ان يعملوا في منظمة تكون مرتبطة بالحزب ، رغم وقوعها في خارجه . وعليه ، لا يمكن حتى القول بالاقصاء جانباً ، اي بالاقصاء عن العمل والاشتراك في الحركة . وعلى العكس ، بقدر ما تقوى منظمات حزبنا التي تضم اشتراكيين-ديموقراطيين **حقيقيين** وبقدر ما يقل التردد والتذبذب **في داخل** الحزب ، بقدر ما يزداد اتساعاً وتنوعاً وغنى وثماراً تأثير الحزب في عناصر **جمهور** العمال التي تحيط به والتي يوجهها . وبالفعل ، لا يجوز الخلط بين الحزب ، طليعة الطبقة العاملة ، وبين الطبقة بكليتها . والحال ، بالضبط في هذا الخلط (الذي تتسم به اقتصاديتنا الانتهازية بمجملها) يقع الرفيق اكسلرود ، حين يقول : «اننا ننشىء طبعاً ، وقبل كل شيء ، منظمة من انشط عناصر الحزب ، منظمة مؤلفة من الثوريين ؛ ولكننا ، بوصفنا حزب الطبقة ، يجب علينا ان نحرص على ان لا ندع خارج الحزب اولئك الذين يرتبطون بهذا الحزب عن وعي ، وان ربما كانوا غير نشيطين كل النشاط» . اولاً ، في عداد العناصر النشيطة في حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي ، لن نرى فقط المنظمات المؤلفة من الثوريين ، بل ايضاً **عدداً كبيراً** من منظمات العمال المعترف بها منظمات حزبية . ثانياً ، لأي سبب وبموجب اي منطق امكن الاستنتاج ، لكوننا حزب الطبقة ، انه يجب ألا نقيم اي فرق بين اولئك الذين **ينتسبون** الى الحزب واولئك الذين **يرتبطون** به ؟ ان العكس هو الصحيح : فنظراً لاختلاف درجات الادراك والنشاط بالضبط ، من المهم اقامة فرق في درجة التقرب من الحزب . نحن حزب الطبقة ، ولذلك **فالطبقة كلها على وجه التقريب** (اما في اوقات الحرب ، في عهد الحرب الاهلية ، فالطبقة كلها على وجه الاطلاق) يجب ان تعمل تحت قيادة حزبنا وان تتراصّ حوله اكثر ما يمكن . اما ان تصبح الطبقة كلها

www.kassioun.org

تقريباً او الطبقة بأسرها يوماً ما ، وفي عهد الرأسمالية ، في حالة تستطيع معها ان ترتفع حتى تحصل على درجة من الوعي والنشاط مثل طليعتها ، اي مثل حزبها الاشتراكي-الديموقراطي ، فان التفكير في امكان ذلك هو ضرب من المانيلوفية (١٦) وشكل من «الذنبية» . وليس هناك اشتراكي-ديموقراطي واحد سليم التفكير داخله الشك يوماً في ان المنظمة النقابية نفسها (وهي منظمة ابتدائية اكثر مـــن الحزب واقرب متناولاً الى ادراك الجماعات غير المتقدمة) لا تستطيع في عهد الرأسمالية ان تشمل الطبقة العاملة كلها تقريباً ، او الطبقة العاملة بأسرها تماماً . فنحن انما نخدع انفسنا ونغمض عيوننا عن عظمة مهماتنا ، بل اننا نضيق نطاق هذه المهمات اذا نحن نسينا الفرق بين فصيلة الطليعة وبين كل الجماهير التي تميل اليها ، واذا نسينا ان على فصيلة الطليعة واجباً دائماً هو **رفع** جماعات اوسع فاوسع الى هذا المستوى المتقدم الراقي . واننا لنعمل بالضبط على اغماض العيون هذا وعلى هذا النسيان اذا محونا الفرق بين المرتبطين والمنتسبين ، بين العناصر الواعية والنشيطة والعناصر التي تساعدنا .

واذا تذرعنا باننا حزب الطبقة **لتبرير** الميوعة في حقـــل التنظيم ، **لتبرير** خلط التنظيم وانعدام التنظيم ، فكأننا نكرر خطأ ناديجدين الذي كان يخلط بين «مسألة «جذور» الحركة «في الاعماق» وهي مسألة فلسفية واجتماعية تاريخية ، والمسألـة التكنيكية التنظيمية» («ما العمل ؟» ، ص ٩١) * . وهذا الخلط هو ما كرره عشرات المرات ، اقتداء بمبادرة الرفيق اكسلرود الموفقة ، الخطباء الذين دافعوا عن صيغة الرفيق مارتوف . «كلما عُمِّمت تسمية عضو الحزب ، كلما كان ذلك افضل» ، هكذا قال مارتوف ، دون ان يوضح مع ذلك اية فائدة تحصل من تعميم **تسمية** لا تنبطق على المسمى . هل يمكن النكران ان رقابة الاعضاء الذين لا ينتسبون الى منظمة الحزب هي مجرد وهم ؟ ان ترويج وهم من الاوهام على نطاق واسع ليس مفيداً ، بـــل ضار . «لا يسعنا إلا ان نغتبط اذا كان بامكان كل مضرب ، كل

* راجع لينين . «ما العمل ؟» . **الناشر** .

www.kassioun.org

متظاهر ، يدرك مسؤولية اعماله ، ان يعلن عن نفسه انه عضو في الحزب» (ص ٢٣٩) . حقاً ؟ **كل مضرب** ينبغي ان يكون من حقه **ان يعلن عن نفسه انه عضو في الحزب** ؟ بهذه الموضوعة ، يدفع الرفيق مارتوف رأساً خطأه الى درك الخراقة ، اذ **يحط** من قدر الاشتراكية-الديموقراطية **وينزل** بها الى مستوى الاضرابية واذ يكرر تورطات كتورطات امثال اكيموف . فنحن لا يسعنا إلا ان نغتبط اذا توفقت الاشتراكية-الديموقراطية واستلمت قيادة كل اضراب ، لأن واجبها المباشر والمطلق قيادة جميع ظاهرات نضال البروليتاريا الطبقي ، والاضراب ظاهرة من اعمق واشد ظاهرات هذا النضال ، ولكننا نكون من الذنبيين اذا وافقنا على اعتبار هذا الشكل الاولي من النضال ،التريديونيوني «ipso facto» * لا اكثر ، والنضال الاشتراكي-الديموقراطي الواعي والمتعدد الوجوه ، **شيئاً واحداً** . واننا ، على غرار الانتهازيين ، **لنضفي صفة شرعية** على ما هو **واضح الخطأ** ، اذا نحن اعطينا كل مضرب الحق في «ان يعلن عن نفسه انه عضو في الحزب» ، لأن هذا «الاعلان» سيكون ، **في الاغلبية الكبرى من الحالات** ، اعلاناً **خاطئاً** . واننا لنعلل انفسنا بالاحلام على طريقة مانيلوف اذا لم نأخذ في الحسبان مظاهر التشتت والاضطهاد والتخبيل اللامتناهية ، والتي ستظل حتماً ، في عهد الرأسمالية ، تضغط على فئات واسعة للغاية من العمال «غير المتعلمين» ، غير الاكفاء ، وشرعنا في اقناع انفسنا واقناع الآخرين بان **كل مضرب** يمكن له ان **يكون** اشتراكياً-ديموقراطياً وعضواً في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي . ان مثال «**المضرب**» ، على وجه الضبط ، يبين بوضوح خاص الفرق بين **السعي الثوري** لقيادة كل اضراب قيادة اشتراكية-ديموقراطية ، **والتعابير الانتهازية** التي تعلن **كل** مضرب عضواً في الحزب . نحن حزب الطبقة ، لكوننا نقود **عملياً** قيادة اشتراكية-ديموقراطية كل طبقة البروليتاريا تقريباً او حتى كلها ؛ ولكنه ينبغي ان يكون المرء من طراز اكيموف حتى يستنتج من هذا انه يجب علينا ان نعتبر الحزب والطبقة **بالاقوال** شيئاً واحداً .

* – بحكم الواقع نفسه ، في الجوهر . **الناشر** .

www.kassioun.org

«انا لا اخشى المنظمة التآمرية» ، هكذا قال الرفيق مارتوف في الخطاب نفسه ؛ واضاف قائلاً : ولكن «المنظمة التآمرية لا معنى لها بنظري الا شرط ان يلفها حزب عمالي اشتراكي-ديموقراطي واسع» (ص ٢٣٩) . كان ينبغي القول على سبيل الدقة : شرط ان تلفها **حركة** عمالية اشتراكية-ديموقراطيـــة واسعة . ان جملة الرفيق مارتوف ليست ، بهذا الشكل ، امراً لا جدال فيه وحسب ، انما هي حقاً حقيقة بديهية ، من باب تحصيل الحاصل . واذا كنت اتوقف عند هذه النقطة ، فلسبب واحد ، هو ان الخطباء التالين استخلصوا من بديهية الرفيق مارتوف حجة **دارجة** جداً **ومبتذلة جداً** تزعم ان لينين يريد «تحديد عدد اعضاء الحزب بعدد المتآمرين» . هذا الاستنتاج ، الذى لا يمكن له إلّا ان يحمل على الابتسام ، انما استخلصه الرفيـــق بوسادوفسكـــي والرفيـــق بوبوف ؛ وحين كرره مارتينوف واكيموف ، ظهر طابعه الحقيقي بوضوح تام ، واعني طابعه من حيث هو تعبير انتهازي . وهذه الحجة نفسها يطورها الآن الرفيق اكسلرود في «الايسكرا» الجديدة ، لكي يطلع القراء على المفاهيم الجديدة لهيئة التحرير الجديدة في حقل التنظيم . ولقد لاحظت ، في المؤتمر بالذات ، منذ الجلسة الاولى التي بحثت فيها الفقرة الاولى ، ان المجادلين يريدون استخدام هذا السلاح الرخيص ، ولهذا وجهت في خطابي التحذير التالي (ص ٢٤٠) : «ينبغي لنا ان لا نظن انه يجب لمنظمات الحزب ان لا تتألف الا من ثوريين محترفين . فنحن بحاجة الى منظمات في غاية التباين ، من كل الانواع ، وكل الدرجات ، وكل التلاوين ، من منظمات في منتهى الضيق والسرية حتى «lose Organisationen» واسعة جداً وحرة جداً» . وهذه حقيقة واضحة وبديهية الى حد اني رأيت ان لا فائدة من التوقف عندها . ولكنه لا بدّ لنا في هذه الايام ، حين سحبونا الى الوراء في مناسبات كثيرة وعديدة ، لا بدّ لنا ، هنا ايضا ، «ان نكرر اقوالا مطروقة» . ولهذا ، اورد بعض مقتطفات من «ما العمل ؟» ومن «رسالة الى رفيق» :

. . . «ان المهام السياسية بكل معنى هذه الكلمة الحقيقي ، بكل معناها العملي ، هي في متناول حلقة اقطاب من امثـــال

www.kassioun.org

الكسييف وميشكين وخالتورين وجيليابوف وذلك بالضبط لأن دعايتهم الحارة تجد صدى في الجماهير المستيقظة بصورة عفوية وبمقدار ما تجد هذا الصدى ؛ ولأن همتهم التي تغلي تؤيدها وتدعمها همة الطبقة الثورية وبمقدار ما تؤيدها وتدعمها» * .

لكي يكون الحزب **حزبا** اشتراكيا-ديموقراطيا ، لا بد من الحصول على **مساندة الطبقة** بالضبط الخاص . فليس الحزب هو الذي يترتب عليه ان يلف المنظمة التآمرية ، كما كان يعتقد الرفيق مارتوف ؛ انما الطبقة الثورية ، البروليتاريا ، هي التي يترتب عليها ان تلف الحزب الذي يتألف في آن واحد من منظمات تآمرية ومنظمات غير تآمرية .

. . . «يجب ان تكون منظمات العمال للنضال الاقتصادي منظمات مهنية ، ويجب على كل عامل اشتراكي-ديموقراطي ان يساعد هذه المنظمات على قدر الطاقة وان يعمل فيها بنشاط . . . ولكن ليس من مصلحتنا على الاطلاق ان نطالب بان يكون اعضاء الجمعيات «المهنية» من الاشتراكيين-الديموقراطيين وحدهم ، لأن ذلك يسفر عن تقلص نفوذنا في الجماهير . فليشترك في الجمعية المهنية كل عامل يدرك ضرورة الاتحاد للنضال ضد اصحاب الاعمال والحكومة . فهدف الجمعيات المهنية ذاته لا يمكن بلوغه ان لم تضم هذه الجمعيات جميع الذين يبلغون على الاقل هذه الدرجة البدائية من درجات الفهم ، ان لم تكن هذه الجمعيات المهنية منظمات **واسعة** جدا . وبمقدار ما تتسع هذه المنظمات ، يتسع نفوذنا فيها ، وهو نفوذ لا ينشأ فقط عن التطور «العفوي» للنضال الاقتصادي انما ينشأ ايضا عن تأثير اعضاء الجمعية الاشتراكيين في رفاقهم تأثيرا مباشرا واعيا» (ص ٨٦) * * . ونقول بالمناسبة ان مثال النقابات المهنية يتسم بدلالة خاصة لتقدير المسألة المختلف عليها ، المتعلقة بالفقرة الاولى . اما انه **يجب** على هذه النقابات ان تعمل تحت «رقابة واشراف» المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية ، فهذا ما لا يمكن ان يقوم حوله رأيان مختلفان بين الاشتراكيين-

* راجع لينين . «ما العمل ؟» . **الناشر** .

* * راجع نفس المصدر . **الناشر** .

www.kassioun.org

الديموقراطيين . ولكن التذرع **بهذا الامر** لتخويل جميع اعضاء هذه النقابات الحق في ان «يعلنوا انفسهم» اعضاء في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ، خراقة جلية قد تتسبب بضرر مزدوج : **تقليص** مدى الحركة المهنية وبالتالي اضعاف تضامن العمال ، هذا من جهة ؛ ومن جهة اخرى ، فتح باب الحزب الاشتراكي-الديموقراطي للميوعة والتذبذب . وقد سنحت الفرصة للاشتراكية-الديموقراطية الالمانية لحل قضية مماثلة في ظروف ملموسة ، حين وقع ذلك الحادث الشهير ، حادث عمال البناء الهامبورغيين الذين كانوا يشتغلون بالقطعة (١٧) . فان الاشتراكية -الديموقراطية لم تتردد لحظة في اعتبار كسر الاضرابات عملا غير شريف من وجهة نظر الاشتراكي-الديموقراطي ، اي اعتبار قيادة الاضرابات ومساندتها قضيتها الحيوية ؛ ولكنها رفضت في الوقت نفسه ، وبالحزم نفسه ، المطلب الهادف الى اعتبار مصالح الحزب ومصالح الجمعيات المهنية واحدة ، كما رفضت **القاء مسؤولية** بعض الخطوات من بعض النقابات **على عاتق الحزب** . يجب على الحزب ان يبذل جهده وسيبذل جهده لبث روحه في الجمعيات المهنية ، لاخضاعها لتأثيره ، ولكنه يجب عليه ، من اجل هذا التأثير على وجه الضبط ، ان يميز بين عناصرها الاشتراكية-الديموقراطية تماما (المنتسبة الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي) والعناصر التي ليست واعية كليا ولا نشيطة كليا من الناحية السياسية ، وان لا يخلط بعضها مع بعض ، كما يود الرفيق اكسلرود .

. . . «ان تركيز منظمة الثوريين لاكثر الوظائف سرية لا يضعف ، انما يزيد سعة ومضمون نشاط مجموعة كبرى من المنظمات الاخرى المعدة للجمهور الواسع والتي تخلو بسبب ذلك لاقصى حد ممكن من الشكل التنظيمي والسرية : كنقابات العمال ، وحلقات العمال للدراسة ولقراءة المنشورات السرية ، والحلقات الاشتراكية وكذلك الحلقات الديموقراطية ، بين **جميع** فئات السكان الاخرى ، الخ . ، الخ . . ان هذه الحلقات والنقابات والمنظمات ضرورية في كل مكان ، **وباكبر** عدد ممكن ، وبوظائف متنوعة ما امكن ؛ ولكن من خطل الرأي ومن الضرر ان

www.kassioun.org

تخلط بينها وبين منظمة **الثوريين** ، وان نطمس الحد الفاصل بين هذه المنظمات» . . . (ص ٩٦) * . ان هذا الاستشهاد يبين الى اي حـــد ذكرني الرفيق مارتوف في غيـر حينـه بانه يجـب ان **تلف** منظمات عمالية واسعة منظمة الثوريين . لقد سبق لي ان اشرت الى هذا في «ما العمل ؟» وطورت هذه الفكرة ، بصورة ملموسة اكثر ، في «رسالة الى رفيق» . لقد كتبـت اقول ان الحلقات في المعامل «تتسم باهمية خاصة بالنسبة لنا ، لأن كل القوة الرئيسية للحركة انما تنبع من حسن تنظيم العمال في المعامل **الكبيرة** ، نظراً لأن المعامل الكبيرة (والمصانع الكبيرة) تشمل هذا القسم من الطبقة العاملة الذي لا يهيمن من حيث العدد وحسب ، بل يهيمن ايضاً واكثر من حيث تأثيره وتطوره واهليته للكفاح . كل معمل ينبغي ان يكون قلعتنا . . . وعلى اللجنة الفرعية في المعمل ان تبذل جهدها لكي تشمل المعمل بأسره ، قسماً كبيراً من العمال قدر الامكان ، في شبكة من مختلف انواع الحلقات (او العملاء) . . . ينبغي اعتبار جميع الفرق والحلقات واللجان الفرعية ، الخ . ، مؤسسات تابعة للجنة او فروعاً لها . فبعض منها يعرب مباشرة عن رغبته في الانتساب الى حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، وينضم اليه **شرط مصادقة** اللجنة ؛ ويتولى (بتكليف من اللجنة او بالاتفاق معها) بعض الوظائف ، ويتعهد باطاعة توجيهات هيئات الحزب ، **وينال الحقوق التي يتمتع بها جميع اعضاء الحزب** ويكون اول المرشحين الى عضوية اللجنة ، الخ . . وبعضها الآخر **لا يدخل** في حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، بل يبقى في حالة حلقات يؤسسها اعضاء من الحزب او ترتبط بهذه او تلك من فرق الحزب ، الخ .» (ص ١٧ – ١٨) * * . ان الكلمات التي اشرت اليها باشارة التأكيد تبين على الاخص ان **فكرة** صيغتي للفقرة الاولى قد وردت بوضوح في «رسالة الى رفيق» . فشروط الدخول في الحزب واردة هنا بكل صراحة : ١ – حد معين مـــن

---

* راجع لينين . «ما العمل ؟» . **الناشر** .

* * راجع مقال لينين : «رسالة الى رفيق عـــن مهماتنـــا التنظيمية» . **الناشر** .

www.kassioun.org

التنظيم و٢ – مصادقة لجنة الحزب . وفي الصفحة التالية ، أعين تقريباً الفرق والمنظمات التي يترتب (او لا يترتب) ادخالها في الحزب ولأية اسباب : «ينبغي ان تنتسب فرقة الموزعين الى حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا وان تعرف بعض اعضائه وموظفيه . اما الفرقة التي تدرس شروط العمل المهنية وتحدد انواع المطالب المهنية ، فانها لا تنضم بالضرورة الى حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا . ان فرقة من الطلاب ، او الضباط ، او المستخدمين ، الذين يعملون على تثقيف انفسهم **باشتراك** عضو او عضوين من الحزب ، انما ينبغي احياناً حتى ان لا تعرف شيئاً عن انتساب هذا العضو او هذين العضوين الى الحزب ، الخ .» (ص ١٨–١٩) .

هذي اذن ايضا وثائق عن مسألة «الجبهة المكشوفة» ! فبينا لا تتناول صيغة مشروع الرفيق مارتوف اطلاقا حتى علاقات الحزب مع المنظمات ، – سبق لي ان بينت قبل المؤتمر بسنة تقريبا ان بعض المنظمات انما يجب ان تنضم الى الحزب ، و بعضها الآخر ، لا . وفي «رسالة الى رفيق» ، تبرز بوضوح الفكرة التي دافعت عنها في المؤتمر . ومن الممكن عرض هذه الفكرة بوضوح على النحو التالي . تبعاً لدرجة التنظيم بصورة عامة ، ولدرجة سرية المنظمة بصورة خاصة ، يمكن تمييز الفئات التالية ، على وجه التقريب : ١) منظمات الثوريين ، ٢) منظمات العمال ، على ان تكون واسعة ومتنوعة قدر الامكان (واني اقصر كلامي على الطبقة العاملة وحدها ، لكني افترض من البديهي ان ينضم اليها ايضاً بعض العناصر من الطبقات الاخرى ، في بعض الاحوال) . ان هاتين الفئتين تؤلفان الحزب . ثم : ٣) منظمات العمال التي ترتبط بالحزب ؛ ٤) منظمات العمال التي لا ترتبط بالحزب ولكنها تخضع بالفعل لرقابته وقيادته ؛ ٥) العناصر غير المنظمة من الطبقة العاملة ، هذه العناصر التي تخضع جزئياً ايضاً لقيادة الاشتراكية-الديموقراطية ، على الاقل اثناء الظاهرات الكبيرة للنضال الطبقي . هذا هو الوضع ، على وجه التقريب ، كما يبدو لي . اما من وجهة نظرالرفيق مارتوف ، فالوضع بالعكس ، فان حدود الحزب تبقى غير محددة اطلاقـــاً ، اذ ان «كل مضرب»

www.kassioun.org

يستطيع ان «يعلن عن نفسه انه عضو في الحزب» . فما هي فائدة هذه الميوعة ؟ ترويج «تسمية» على نطاق واسع . وضرر هذه الميوعة انها تروج فكرة **مخلة بالتنظيم** هي فكرة الخلط بين الطبقة والحزب .

وتوضيحاً للمبادئ العامة التي وضعناها ، نلقي ايضاً نظرة سريعة الى تتمة مناقشات المؤتمر بصدد الفقرة الاولى . الرفيق بروكر يؤيد صيغتي (لما فيه فرح الرفيق مارتوف) ، ولكن تحالفه **هو** معي ، خلافاً لتحالف الرفيق اكيموف مع مارتوف ، قائم على سوء فهم . فالرفيق بروكر «لا يوافق على كل النظام الداخلي وعلى روحه بكليته» (ص ٢٣٩) ، ويدافع عن صيغتي من حيث هي **اساس النزعة الديموقراطية** التي يتمناها انصار «رابوتشييه ديلو» . ان الرفيق بروكر لم يرتفع بعد الى هذه النظرة القائلة انه ينبغي احياناً ، في غمرة النضال السياسي ، اختيار **الشر الاهون** . والرفيق بروكر لم يلحظ انه لا فائدة من الدفاع عن النزعة الديموقراطية في مؤتمر كمؤتمرنا . اما الرفيق اكيموف ، فقد كان ابعد نظراً . لقد طرح المسألة بصورة صحيحة تماما حين أقر بان «الرفيقين مارتوف ولينين يتناقشان لمعرفة اية (من الصيغتين) تحقق على خير وجه هدفهما المشترك» (ص ٢٥٢) . وتابع يقول : «اما انا وبروكر ، فاننا نريد ان نختار الصيغة **التي اقل ما تحقق الهدف** . وهذا يعني اني اختار صيغة مارتوف» . واوضح الرفيق اكيموف بصراحة ان «هدفهم بالذات» (اي هدف بليخانوف ومارتوف وانا : انشاء منظمة قائدة من الثوريين) ، انما يعتبره «ضاراً وغير قابل التحقيق» ؛ وانه ، مثل الرفيق مارتينوف * ، يدافع عن فكرة الاقتصاديين القائلة

---

* ان الرفيق مارتينوف يريد مع ذلك ان يمتاز عن الرفيق اكيموف : فهو يريد ان يثبت ان التآمر لا يعني السرية ، وان الفرق بين هاتين الكلمتين ينطوي على فرق في المفهومين . ولكن ، لا الرفيق مارتينوف ولا الرفيق اكسلرود الذي يقتفي الآن خطواته ، شرحا فحوى هذا الفرق . ان الرفيق مارتينوف «يتظاهر» بأني لم اعارض بحزم ، في «ما العمل ؟» ، مثلا (وكذلك في «المهمات» اراجع مقال : «مهمات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» . **الناشر** .) «**حصر** النضال النضال السياسي في

www.kassioun.org

بعدم جدوى «منظمة من الثوريين» . وهو «على اقتناع تام بان الحياة ستقتحم منظمتنا الحزبية رغم كل شيء ، حتى لو قطعتم عليها الطريق بصيغة مارتوف او بصيغة لينين» . ان هذا المفهوم «الذنبي» عن «الحياة» ما كان ليستحق التوقف عنده ، لو اننا لم نجده ايضاً عند الرفيق مارتوف . فان خطاب الرفيق مارتوف الثاني (ص ٢٤٥) يسترعي الاهتمام ، على وجه العموم ، الى حد انه يجدر بحثه بالتفصيل .

حجة الرفيق مارتوف الاولى : ان رقابة منظمات الحزب على اعضاء الحزب الذين لا ينتسبون الى هذه المنظمات «امر قابل التحقيق اذ ان اللجنة التي تعهد بوظيفة الى شخص ما ، بمقدورها ان تراقب هذه الوظيفة» (ص ٢٤٥) . هذه الموضوعة بليغة الدلالة ، لأنها «تفضح» ، اذا جاز القول ، **لمن** هي ضرورية صيغة مارتوف ومن تخدم **في الواقع** : المثقفين المنفردين ام فرق العمال وجماهير العمال ؟ الحقيقة ان صيغة مارتوف تحتمل تفسيرين : ١) يحق لكل من يقدم للحزب مساعدة شخصية منتظمة ، تحت قيادة احدى منظماته ان «**يعلن عن نفسه**» (وهذه تعابير الرفيق مارتوف بالذات) انه عضو في الحزب ؛ ٢) **يحق** لكل منظمة من منظمات الحزب ان **تعترف** بعضوية الحزب لكل من يقدم لها مساعدة شخصية منتظمة تحت قيادتها . ان التفسير الاول وحده يمكّن فعلاً «كل مضرب» من القول عن نفسه انه عضو في الحزب ، ولهذا ظفر **وحده** فوراً بقلوب من هم على شاكلة ليبر واكيموف ومارتينوف . ولكنه بَيّن ان هذا التفسير مجرد جملة ، لأنه يشمل كل الطبقة العاملة ، ولأن الفرق بين الحزب والطبقة يَمّحي فيه ؛ فلا يمكن التحدث الا «رمزياً» عن مراقبة وقيادة «كل مضرب» . ولهذا ، سرعان ما انحرف الرفيق مارتوف ، في خطابه الثاني ، نحو التفسير الثاني (ونقول للمناسبة بين هلالين : رغم ان **المؤتمر قد رفضه صراحة** حين رفض مشروع قرار كوستيتش (١٨) ، ص ٢٥٥) : ان اللجنة تعهد بالوظائف وتراقب تنفيذها .

التآمر» ويريد الرفيق مارتينوف ان يحمل مستمعيه على **نسيان** ان اولئك الذين حاربتهم **لم يروا** ضرورة **منظمة من ثوريين** ، كما ان الرفيق اكيموف لا يراها بعد حتى الآن .

www.kassioun.org

ولكن هذه المهام الخاصة لن تشمل ابداً بالطبع **جمهور** العمال ، **آلاف** البروليتاريين (الذين يتحدث عنهم الرفيق اكسلرود والرفيق مارتينوف) ؛ وسيعهد بها في غالب الاحيان بالضبط الى **الاساتذة** الذين ذكرهم الرفيق اكسلرود ، الى **الطلاب** الذين اهتم بهم الرفيق ليبر والرفيق بوبوف (ص ٢٤١) ، الى هذه **الشبيبة الثورية** التي تحدث عنها الرفيق اكسلرود في خطابه الثاني (ص ٢٤٢) . وبكلمة : اما ان تبقى صيغة الرفيق مارتوف حبراً على ورق ، جملة فارغة ، واما ان تفيد على الاخص وبوجه الحصر تقريباً «**المثقفين ، المشبعين كلياً بالفردية البرجوازية**» والذين لا يريدون الدخول في المنظمة . ان صيغة مارتوف تدافع **بالكلام** عن مصالح فئات البروليتاريا الواسعة ؛ اما **من حيث الواقع** فلن تخدم هذه الصيغة سوى مصالح **المثقفين البرجوازيين** الذين ينفرون من النظام والتنظيم البروليتاريين . ولن يجرؤ احد على ان ينكر ان الشيء الذي يميز **المثقفين** عموماً **من حيث هم فئة خاصة** في المجتمعات الرأسمالية الحديثـــة ، انما هو **بالضبط الفردية** وعدم القابلية للنظام والتنظيم (قارن ، مثلاً ، مقالات كاوتسكي المعروفة عن المثقفين) . وهذا ما يميز ، فيما يميز ، هذه الفئة الاجتماعية ، لغير صالحها ، عن البروليتاريا ؛ وهذا ايضاً ما يفسر ميوعة المثقفين وتذبذبهم ، اللذين غالباً ما تعاني البروليتاريا من عواقبهما ؛ وهذه الخاصة التي ينفرد بها المثقفون وثيقة الارتباط بشروط حياتهم العادية ، بشروط كسبهم ، التي تقترب في كثير من النقاط من شروط **حياة البرجوازية الصغيرة** (عمل افرادي او في جماعات صغيرة جداً ، الخ .) واخيراً ، ليس من باب الصدفة ايضاً ان المدافعين عن صيغة الرفيق مارتوف هم الذين استشهدوا على سبيل المثال ، بالاساتذة والطلاب ! وفي المناقشات حول الفقرة الاولى ، لم يقـــف انصار الدعوة الى النضال البروليتاري الموسع ضد ابطال الدعوة الى تنظيم تآمري في الاساس ، كما كان يظن الرفيقان مارتينوف واكسلرود ، انما انصار **فردية المثقفين البرجوازيين** هم الذين اصطدموا بانصار **التنظيم البروليتاري والطاعة البروليتارية** .

قال الرفيق بوبوف : «في كل مكان ، في بطرسبورغ كما

www.kassioun.org

في نيقولاييف او في اوديسا ، هناك ، حسب شهادة ممثلي هذه المدن ، عشرات مـــن العمال يوزعون المنشورات ويقومون بالتحريض الشفوي ، ومع ذلك لا يستطيعون ان يكونوا اعضاء في المنظمة . هؤلاء يمكن ربطهم بالمنظمة ، ولكنـــه لا يمكن اعتبارهم من اعضائها» (ص ٢٤١) . لماذا لا يستطيعون ان يكونوا اعضاء في المنظمة ؟ هذا سر الرفيق بوبوف . لقد سبق لي ان اوردت اعلاه مقطعاً من «رسالة الى رفيق» ، يبين ان قبول جميع هؤلاء العمال بالذات (بالمئات لا بالعشرات) في المنظمات امر ممكن وضروري وان كثيراً وكثيراً من هذه المنظمات تستطيع ويجب عليها ان تنتسب الى الحزب .

حجة الرفيق مارتوف الثانية : «بنظر لينين ، لا توجد في الحزب منظمات غير منظمات الحزب» . . . صحيح تماماً ! . . «اما انا ، فأرى على العكس ، انه ينبغي ان توجـــد هذه المنظمات . فالحياة تخلق المنظمات وتكثر منها بأسرع مما نستطيع ان نقبلها في سلسلة مراتب منظمتنا الكفاحية المؤلفة من ثوريين محترفين» . . . هذا خطأ من ناحيتين : ١) ان «الحياة» تكثر من المنظمات الجدية المؤلفة من ثوريين اقل بكثير مما ينبغي لنا ، مما تتطلب الحركة العمالية ؛ ٢) ينبغي ان يكون حزبنا سلسلة مراتب لا تشمل المنظمات المؤلفة من ثوريين وحسب ، بل تشمل ايضاً سواد المنظمات العمالية . . . «يظن لينين ان اللجنة المركزية لن تثبت في عداد منظمات الحزب غير المنظمات التي تكون امينة اطلاقاً من حيث المبادئ . ولكن الرفيق بروكر يدرك جيداً جداً ان الحياة (هكذا !) ستستعيد حقوقها ، وان اللجنة المركزية ، سعياً منها لكي لا تدع كثرة من المنظمات خارج الحزب ، ستضطر الى الاعتراف بها شرعياً رغم طابعها غير الامين كلياً . ولهذا السبـــب بالذات ، ينضـم الرفيق بروكر الى لينين» . . . اننا هنا ، في الحقيقة ، امام مفهوم ذنبي عـــن «الحياة» ! بديهي ان «الحياة» ستستعيد «حقوقها» بمعنى ان الغلبة ستكون في جانب اكثر العناصر تأخراً في الحزب **(كما حصل هذا الآن ، حين تألفت «اقلية» في الحزب من عناصر متاخرة)** ، اذا كانت اللجنـــة المركزية مؤلفة **بالضرورة** من اناس لا يسيرون

www.kassioun.org

حسب آرائهم الخاصة ، بل حسب ما يقوله الآخرون (انظر حادثة اللجنة التنظيمية) . ولكنه من المستحيل الادلاء بسبب واحد **معقول** يحمل لجنة مركزية **عاقلة** على ادخال عناصر «غير امينة» في الحزب . فان الرفيق مارتوف ، اذ يتحدث بالضبط عن «الحياة» التي «تكثر» من العناصر غير الامينة ، انما يكشف كلياً انتهازية خطته في حقل التنظيم ! . . وهو يضيف قائلاً : «اما انا ، فاني اعتقد انه ، اذا وافقت مثل هذه المنظمة (غير الأمينة كلياً) على قبول برنامج الحزب ورقابة الحزب ، كان بوسعنا ان ندخلها في الحزب ، دون ان نجعل منها بالتالي منظمة من منظمات الحزب . واذا قررت مثلاً جمعية ما من «المستقلين» ان تقبل بوجهة نظر الاشتراكية-الديموقراطية وبرنامجها وتنضم الى الحزب ، وهو امر لا يعني في كل حال اننا نقبل هذه الجمعية في منظمة الحزب ، اعتبرت هذا بمثابة انتصار كبير للحزب» . . . اليكم اي تشويش تؤول اليه صيغة مارتوف : منظمات غير حزبية منتسبة الى الحزب ! تصوروا فقط مخططه : الحزب=١) منظمات مؤلفة من ثوريين+٢) منظمات عمالية ، معترف بها منظمات حزبية+٣) منظمات عمالية غير معترف بها منظمات حزبية (ولا سيما منظمات «المستقلين») ، +٤) افراد منفردون يقومون بشتى الوظائف ، من اساتذة ، وطلاب ، الخ . ،+٥) «كل مضرب» . الى جانب هذه الخطة الرائعة ، لا يمكن لنا ان نضع غير كلمات الرفيق ليبر : «ان مهمتنا لا تنحصر في تنظيم منظمة (!!) ؛ فبوسعنا ومن واجبنا ان ننظم حزباً» (ص ٢٤١) . اجل ، طبعاً ، بوسعنا ومن واجبنا ان نفعل هذا ؛ ولكن ما ينبغي لنا آنذاك ، ليس التشدق بكلمات لا معنى لها حول «تنظيم المنظمات» ، بل **مطالبة** اعضاء الحزب **صراحة** بان يعملوا فعلاً في حقل **التنظيم** . اما ان تقول «بتنظيم حزب» وتدافع عن تغطية كل فوضى وكل تبعثر بكلمة الحزب ، فكأنك تثرثر بلا طائل .

يقول الرفيق مارتوف : «ان صيغتنا تعبّر عن النزوع الى انشاء عدد من المنظمات بين منظمة الثوريين والجماهير» . كلا ! ان هذا النزوع الالزامي حقاً ، انما هو بالضبط ما **لا تعبر** عنه صيغة مارتوف ، لأنهـــا **لا تقدم اي حافز للانتظام** ، لا تتطلب

www.kassioun.org

الانتظام ، لا تميز بين ما هو منظم وما هو غير منظم . انها لا تعطي غير **تسمية** * ، وبهذا الصدد ، لا بد من التذكير بكلمات الرفيق اكسلرود :«ليس هناك اية مراسيم يمكن بموجبها منعها (اي منع حلقات الشبيبة الثورية ، الخ .) ومنع الافراد ، ان يقولوا عن انفسهم انهم اشتراكيون-ديموقراطيون» (حقيقة مقدسة !) «او حتى ان يعتبروا انفسهم جزءاً من الحزب» . . . هذه المرة ، هذا **خطأ اطلاقاً** ! ان منع امرئ من ان يقول عن نفسه انه اشتراكي-ديموقراطي لأمر مستحيل **ولا فائدة منه** ،

---

* في مؤتمر العصبة ، اورد الرفيق مارتوف ، دعما لصيغته ، حجة اخرى يجدر السخر منها . فقد قال : «في وسعنا ان نبين ان صيغة لينين ، مفهومة بحرفيتها ، تزيل من الحزب **عملاء اللجنة المركزية** ، اذ ان هؤلاء لا يشكلون منظمة» (ص ٥٩) . هذه الحجة ، استقبلها المندوبون في مؤتمر العصبة ايضاً **بالضحك** ، كما تلاحظ المحاضر . فالرفيق مارتوف يعتبر ان «الصعوبة» التي اشار اليها لا يمكن حلها الا بكون عملاء اللجنة المركزية يشتركون في «منظمة للجنة المركزية» . ولكن المسألة ليست هنا . فالمسألة ان الرفيق مارتوف قد بين بمثله ، بكل جلاء ، **عدم فهمه التام لفكرة الفقرة الاولى** ؛ وضرب مثلا من الانتقاد في غاية الحقارة والحذلقة ويستحق فعلا الهزء به . **فمن حيث الشكل** ، يكفي تشكيل «منظمة من عملاء اللجنة المركزية» ، وتدبيج **قرار** حول ادخالها في الحزب ، حتى تزول على الفور «الصعوبة» التي جعلت الرفيق مارتوف يبذل هذا القدر من العمل الفكري العويص . اما **فكرة** الفقرة الاولى التي صغتها انا ، فقوامها هذا **الحافز** : «انتظموا !» ، قوامها **تأمين** الرقابة **الفعلية** والقيادة **الفعلية** . اما **من حيث الاساس** ، فان مسألة ما اذا كان عملاء اللجنة المركزية سيدخلون في الحزب ، تبدو بحد نفسها مضحكة ، لأن الرقابة **الفعلية** عليهم مؤمنة كليا **لمجرد تعيينهم عملاء** ؛ لمجرد تركهم يمارسون وظائف العملاء . وعليه ليس المقصود هنا خلط العنصر المنظم والعنصر غير المنظم (وهذا ، في الاساس ، خطأ صيغة الرفيق مارتوف) . ان عيب صيغة الرفيق مارتوف ، هو ان كل امرئ يستطيع ان **يعلن نفسه** عضوا في الحزب ، كل انتهازي ، وكل بطال ، وكل «استاذ» ، وكل «طالب» . وعبثا يجهد الرفيق مارتوف **لتمويه عقب آخيل** هذا في صيغته ، بايراد احوال لا يمكن فيها حتى القول بان يضم المرء نفسه الى الحزب ، ان يعلن نفسه عضوا في الحزب .

www.kassioun.org

لأن هذه الكلمة لا تعني **بادئ بدء** سوى نهج من العقائد ، ولا تعني علاقات تنظيمية معينة . ولكن منع حلقات منفردة او افراد من ان «يعتبروا انفسهم جزءاً من الحزب» امر ممكن وضروري ، حين تضر هذه الحلقات وهؤلاء الافراد بقضيـــة الحزب ، او يفسدونه او يشوشون تنظيمه . فمن المضحك ان نتحدث عن **الحزب** ، بوصفه كلاً ، بوصفه وحدة سياسية ، اذا كان هذا الحزب لا يستطيع ان «يمنع» حلقة «بمرسوم» من ان «تعتبر نفسها جزءاً» من الكل ! والا فما الفائدة من تحديد طرائق وشروط الفصل من الحزب ؟ ان الرفيق اكسلرود قد ضخم ، بشكـــل واضح ، خطأ **الرفيق مارتوف** الاساسي الى حد الخراقة ؛ حتى انه جعل من هذا الخطأ **نظرية انتهازية** حين اضاف قائلاً : «ان الفقرة الاولى ، حسب صيغة لينين ، في تناقض مبدئي مباشر مع طبيعـــة (!!) ، مع مهمات حزب البروليتاريـــا الاشتراكي-الديموقراطي» (ص ٢٤٣) . وهذا يعني – لا اكثر ولا اقل – انك اذا تطلبت من الحزب اكثر مما تطلبت من الطبقة ، وقعت في تناقض مبدئي مع طبيعة مهمات البروليتاريا . فلا غرابة اذن اذا كان اكيموف قد دافع عن هذه **النظرية** بفائق الحمية .

ولكي نكون عادلين ، نشير الى ان الرفيق اكسلرود ، الذي يريد **الآن** ان يحوّل هذه الصيغة الخاطئة التي تميل بكل وضوح نحو الانتهازية ، الى نواة لمفاهيم **جديدة** ، كان قد اعلن ، بالعكس ، في المؤتمر ، انه مستعد «للمساومة» اذ قال : «ولكني الاحظ اني احل قضية محلولة» . . . (والاحظ ايضا الملاحظة نفسها فيما يخص «الايسكرا» الجديدة) . . . «لان الرفيق لينين يستجيب لطلبي بما يقترحه من حلقات ملحقة تعتبر أجزاء من منظمة الحزب» . . . (لا هذه الحلقات الملحقة وحسب ، بل ايضاً شتى انواع الجمعيات العمالية : راجع ص ٢٤٢ مـــن المحاضر ، خطاب الرفيق ستراخوف ، والمقاطع المذكورة آنفاً من «ما العمل ؟» و«رسالة الى رفيق») . . . «يبقى المنفردون ، ولكننا هنا ايضاً نستطيع ان نساوم كذلك» . أجبت الرفيق اكسلرود اني على وجه العموم لا اعارض المساومات ؛ غير انه لا بدّ لي اليوم من ان اوضح ما كنت اقصده بذلك . ففيما يتعلق على

www.kassioun.org

وجه الضبط بهؤلاء المنفردين ، بجميع هؤلاء الاساتذة وهؤلاء الطلاب وغيرهم ، قد اكون اقل ما يمكن استعداداً للتنازل ؛ ولكن ، اذا ظهر شك فيما يتعلق بالمنظمات العمالية ، فاني اوافق (رغم بطلان هذه الشكوك بطلاناً مطلقاً كما برهنت اعلاه) على اضافة ملاحظة كهذه الى فقرتي الاولى ؛ «ان المنظمات العمالية التي تقبل برنامج حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الروسي ونظامه الداخلي ، ينبغي اعتبارها في عداد منظمات الحزب باكبر عدد ممكن» . يقيناً انه من باب الدقة في الكلام ، لا يمكن لهذه الرغبة ان تلقى مكاناً لها في النظام الداخلي اذ ينبغي له ان يقتصر على التحديدات الحقوقية ، بل في التعليقات ، في الكراريس (لقد سبق لي ان ذكرت اني كنت قد عرضت ايضاحات بهذا المعنى في كراريسي ، قبل النظام الداخلي بزمن طويل) ؛ ولكن مثل هذه الملاحظة لن تتضمن على الاقل اي ظل لهذه الافكار **الخاطئة** ، قد يؤدي الى الاخلال بالنظام ، اي ظل لهذه المحاكمات **الانتهازية** * ، لهذه «**المفاهيم الفوضوية**» التي تنطوي عليها صيغة الرفيق مارتوف بما لا يقبل الشك .

---

* في عداد هذه المحاكمات ، التي لا بد ان تطل حين يحاول تبرير صيغة مارتوف ، ما قاله الرفيق تروتسكي (ص ٢٤٨ و ٣٤٦) من «ان الانتهازية تولد من اسباب اشد تعقيداً (او : تحددها اسباب اشد عمقاً) من هذه النقطة او تلك من النظام الداخلي ؛ انها تنشأ عن مستوى التطور النسبي الذي بلغته الديموقراطية البرجوازية والبروليتاريا» . . . المسألة ليست في ان هذه النقطة او تلك من النظام الداخلي تستطيع ان تولد الانتهازية . انما ينبغي ، بوساطة هذه النقاط ، شحذ سلاح قاطع ، الى هذا الحد او ذاك ، ضد الانتهازية . وبقدر ما تكون اسباب الانتهازية عميقة ، بقدر ما ينبغي ان يكون هذا السلاح ماضياً . وعليه ، فان **تبرير** صيغة تفتح الباب امام الانتهازية بما لها من «اسباب عميقة» ، انما هو ضرب من الذنبية الصرفة . فحين كان الرفيق تروتسكي ضد الرفيق ليبر ، كان يدرك ان النظام الداخلي هو «حذر منظم» من جانب الكل ازاء الجزء ، من جانب الفصيلة المتقدمة ازاء الفصيلة المتأخرة . ولكن ، ما ان انتقل الرفيق تروتسكي الى جانب الرفيق ليبر ، حتى نسي كل هذا ، بل انه راح يبرر **ضعف** وعدم ثبات تنظيمنا لهذا الحذر (الحذر من الانتهازية) «باسباب معقدة» ؛ «بمستوى تطور البروليتاريا» ، الخ . . حجة اخرى للرفيق تروتسكي : «من

www.kassioun.org

ان التعبير الاخير بين هلالين مزدوجين هو للرفيـــق بافلوفيتش الذي نعت **بالفوضوية** ، بكل صواب ، الاعتراف بعضوية الحزب لأناس «**غير مسؤولين ويسجلون** انفسهم بانفسهم في الحزب» . وشرح الرفيق بافلوفيتش صيغتي للرفيق ليبر قائلاً : «انها تعني ، مترجمة بلغة واضحة ، ما يلي : ما دمت تريد ان تكون عضواً في الحزب ، ترتب عليك ان تعترف ايضاً بعلاقات التنظيم ، ولكن لا بصورة افلاطونية فقط» . ان هذه

الاسهل كثيراً على افراد الشبيبة المثقفة ، المنظمة الى حد مـــا ، **ان يسجل كل نفسه بنفسه** (اشارة التأكيد مني) في لوائـــح الحزب» . تماماً . لهذا السبب ، كانت الصيغة التي بموجبها **تعلن** حتى العناصر غير المنظمة **عن نفسها** بنفسها انها اعضاء في الحزب ، هي التي تعيبها الميوعة التي تميز المثقفين ، لا صيغتي التي **تلغي** الحق في «ان يسجل كل **نفسه بنفسه**» في اللوائح . ويقول الرفيق تروتسكي انه اذا كانت اللجنـــة المركزية «لا تعترف» بتنظيم الانتهازيين ، فلمجرد طبع الاشخاص فقط ؛ وبما ان هؤلاء الاشخاص معروفون من حيث انهم شخصيات سياسية ، فانهم غير خطرين : ويمكن فصلهم بمقاطعة عامة يشنها الحزب . ان هذا القول لا يصح الا في الحالات التي ينبغي فيهـــا **الفصل من الحزب** (ثم ان هذا القول لا يصح الا جزئياً ، لأن حزباً منظماً **يفصل** بالتصويـــت لا بالمقاطعة) . وهذا القول خاطىء اطلاقاً في الحالات التي من الخراقة **الفصل** فيها ، في الحالات التي ينبغي فيها **المراقبة** فقط ، وهذه الحالات اكثر تواتراً بكثير . ومن اجل المراقبة ، تستطيع اللجنة المركزية ، **قصداً وعمداً** ، ان تقبل في الحزب ، بشروط معينة ، منظمة غير امينة كلياً ، ولكنها اهل للعمل ، لكي تمتحنها ، لكي تحاول **توجيهها في طريق الحقيقة** ، لكي تشل بقيادتها انحرافاتها الجزئية ، الخ . . ان هذا القبول ليس خطراً **اذا** كان لا يجوز ، بوجه عام ، «ان **يسجل كل نفسه بنفسه**» في لوائح الحزب . وسيكون هذا القبول مفيداً في كثير من الاحيان للحصول على تعبير (ونقاش) علني ، **مسؤول** ، مراقب ، للمفاهيم الخاطئـــة والتكتيك الخاطيء . «ولكن ، اذا كان ينبغي للتعاريف الحقوقيـــة ان تناسب العلاقات الفعلية ، فلا بد من رد صيغة الرفيق لينين» . هكذا يقول الرفيق تروتسكي وهو ، هذه المرة ايضاً ، يتكلم كما يتكلـــم الانتهازي . فالعلاقات الفعلية ليست جامدة ؛ انها تحيا وتتطور . وقـــد تناسب التعاريف الحقوقية تطوراً تقدمياً لهذه العلاقات ، ولكنها قـــد «تناسب» ايضاً (اذا كانت رديئة) تقهقراً او جموداً . والحالة الاخيرة انما هي بالضبط «حالة» الرفيق مارتوف .

www.kassioun.org

«الترجمة» ، على كل بساطتها ، كانت مع ذلك مفيدة (كما بينت الاحداث التي عقبت المؤتمر) ، لا بالنسبة لمختلف الاساتذة والطلاب المشتبه بهم وحسب ، بل ايضا بالنسبة لأخص اعضاء الحزب ، بالنسبة لرجال القمة . . . كذلك اشار الرفيق بافلوفيتش بنفس الصواب الى التناقض بين صيغة الرفيق مارتوف ومقولة الاشتراكية العلمية ، التي لا جدال فيها والتي استشهد بها الرفيق مارتوف نفسه بصورة غير موفقة جداً : «ان حزبنا هو المعبر الواعي عن تفاعل غير واع» . هذا هو المقصود حقاً . ولهذا السبب بالذات يخطئ المرء اذا شاء ان يصبح بامكان «كل مضرب» ان يعلن عن نفسه انه عضو **في الحزب** ؛ اذ لو ان «كل اضراب» لم يكن مجرد تعبير عفوي لغريزة طبقية جبارة وللنضال الطبقي الذي يقود حتماً الى الثورة الاجتماعية ، بل كان **تعبيراً واعياً** لهذا التفاعل ، حينذاك . . . حينذاك لما بقي الاضراب العام تعبيراً فوضوياً ، حينذاك **لشمل** حزبنا فوراً ، دفعة واحدة ، عموم الطبقة العاملة ، وقضى ، بالتالي ، بضربة واحدة ، على **عموم المجتمع البرجوازي** . فلكي يكون الحزب **حقاً** معبراً واعياً ، ينبغي له ان يعرف كيف يقيم علاقات تنظيمية **تؤمن مستوى معيناً** من الوعي وترفع هذا المستوى بدأب واطراد . قال الرفيق بافلوفيتش : «اذا اتبعنا طريق مارتوف ، ترتب علينا بادئ الامر ان نحذف النقطة حول الاقرار **بالبرنامج** ، اذ ان قبول برنامج من البرامج يقتضي استيعابه ، يقتضي فهمه . . . ان الاقرار بالبرنامج يفترض مستوى عالياً نسبياً من الوعي السياسي» . اننا لن نقبل ابداً بان **تحد** اية من المقتضيات (استيعاب ، فهم ، الخ .) ، بصورة مصطنعة ، من **التأييد** المقدم للاشتراكية-الديموقراطية ومن **الاشتراك** في النضال الذي تقوده ، لأن هذا **الاشتراك** بحد نفسه ، لمجرد وقوعه ، **يرفع** الوعي والغرائز التنظيمية ؛ ولكننا ما دمنا قد **اجتمعنا في حزب** من اجل القيام بعمل منتظم ، فانه يتعين علينا ان نهتم بتأمين شروط هذا الانتظام .

www.kassioun.org

اما ان تحذير الرفيق بافلوفيتش بصدد البرنامج لم يكن من نافل الكلام ، فهذا ما اتضح **فوراً** ، **في هذه** الجلسة **نفسها** . فان الرفيقين اكيموف وليبر ، اللذين كانا مررا في المؤتمر صيغة الرفيق مارتوف * ، قد كشفا **فوراً** طبيعتهما الحقيقية ، اذ طلبا (ص ٢٥٤ – ٢٥٥) بالاّ يقتضى (من اجل «العضوية» في الحزب) سوى اقرار افلاطوني بالبرنامج نفسه ، «بمبادئه الاساسية» فقط . فلاحظ الرفيق بافلوفيتش قائلاً : «ان اقتراح الرفيق اكيموف منطقي تماماً من وجهة نظر الرفيق مارتوف» . ولكن المحاضر ، مع الاسف ، لا تقول لنا كم صوتا نال اقتراح اكيموف هذا ، – سبعة اصوات على الاقل ، حسب كل احتمال (خمسة بونديين ، واكيموف وبروكر) . ان انسحاب المندوبين **السبعة** على وجه الضبط من المؤتمر قد حوّل «الاغلبية المتراصة» (اخصام الايسكريين ، و«الوسط» ، والمارتوفيين) التي بدأت تتكّون حول الفقرة الاولى من النظام الداخلي ، الى اقلية متراصة ! ان انسحاب المندوبين **السبعة** على وجه الضبط قد آل الى اخفاق الاقتراح بتثبيت هيئة التحرير القديمة ، هذا الانتهاك الصارخ المزعوم «للاستمرار» فيما يتعلــق بادارة «الايسكرا» ! والحال ، كانت **فرقة السبعة** الاصيلة الخلاص الوحيد والضمانة الوحيدة «للاستمرار» الايسكري : فقد كانت هذه الفرقة تتألف مــن البونديين واكيموف وبروكر ، اي بالدقة من المندوبين الذين صوتوا **ضد اسباب** الاعتراف «بالايسكرا» الجريدة المركزية ، هؤلاء المندوبين الذين أثبت المؤتمر انتهازيتهم عشرات المرات ، واثبتها خاصة مارتوف وبليخانوف في مسألة **تخفيف** الفقرة الاولى

---

* نالت هذه الصيغة ٢٨ صوتاً مقابل ٢٢ . ومــن اخصام الايسكريين الثمانية ، وقف ٧ الى جانب مارتوف ، وواحد الى جانبي . ولولا مساعدة الانتهازيين ، لمــا مرر الرفيق مارتوف صيغته الانتهازية . (وفي مؤتمر العصبة ، حاول الرفيق مارتوف ؛ دون توفيق ، ان يدحض هذا الواقع الذي لا يقبل الجدل ، مكتفيا ؛ لسبب غير معلوم ، باصوات البونديين وناسيا الرفيق اكيموف واصدقاءه – وبالاصح ، تذكرهم **فقط** حين كان في وسع ذلك ان يأتي بحجة ضدي : اتفاق الرفيق بروكــر معي .)

www.kassioun.org

بصدد البرنامج . «استمرار» «الايسكرا» ، بحمايـــة اخصام الايسكريين ! اننا هنا نقترب من **عقدة** المهزلة المأساة التي عقبت المؤتمر .

* * *

لقد تكشف تكتل الاصوات حول الفقرة الاولى من النظام الداخلي عن ظاهرة من نوع الظاهرة التي برزت اثناء الحادث بصدد المساواة بين اللغات : ان انفصال ربع (تقريبا) عـــن الاغلبية الايسكرية يمكّن من انتصار اخصام الايسكريين ، الذين يتبعهم «الوسط» . هناك ايضا ، بالطبع ، اصوات تخل بانسجام اللوحة التام . ففي اجتماع كثير الحضور كمؤتمرنا ، لا بد ان يوجد حتما بعض العناصر «العرضية» ، التي تقذفها الصدفة تارة الى جانب وطورا الى آخر ، وخاصة في مسألـــة كمسألة الفقرة الاولى ، حيث صفة الخلاف الحقيقية لم تكن بعد الا في مستهل ظهورها **ولم يستطع** بعد الكثيرون **استجلاءها** (نظرا لأن المسألة لم تبحث مسبقا في المنشورات) . وعن ايسكريي الاغلبية ، انفصلت خمسة اصوات (روسوف وكارسكي ولكل منهما صوتان ، ولنسكي وله صوت واحد) ؛ وبالمقابل ، انضم اليهم خصم للايسكريين (بروكر) وثلاثة من الوسط (مدفيديف وايغوروف وتساريف) ؛ مما آل الى مجموع ٢٣ صوتا (٢٤–٥+٤) ، اي ما يقل صوتا واحدا بالنسبة للتكتل النهائي في الانتخابات . **ان اخصام الايسكريين هم الذين اعطوا مارتوف الاغلبية** ، اذ كان سبعة منهم يؤيدونه وواحد يؤيدني (كذلك كان سبعة مـــن «الوسط» يؤيدون مارتوف ، وثلاثة يؤيدونني) ، **فأخذ يتشكل** ائتلاف اقلية الايسكريين مع اخصام الايسكريين و«الوسط» الذي كان يؤلف اقلية متراصة عند نهاية المؤتمر وبعد المؤتمر . وسرعان ما تجلى خطأ مارتوف واكسلرود السياسي ، وقد سارا **خطوة اكيدة نحو الانتهازية ونحو الفردية الفوضوية** في صيغـــة الفقرة الاولى ، ولا سيما في الدفاع عن هذه الصيغة ، وتجلى بسطوع خاص ، بفضل المنبر الحر والمفتوح في المؤتمر ؛ ولقد تجلى في كون العناصر الاقل استقرارا والاقل ثباتا من الناحية

www.kassioun.org

المبدئية ، قد قذفت دفعة واحدة بكل قواها لكي توسع الصدع ، لكي توسع الثغرة التي انفتحت في مفاهيم الاشتراكية-الديموقراطية الثورية . واذا العمل الذي بذله معاً في المؤتمر اناس يبتغون على المكشوف ، في ميدان التنظيم ، **اهدافا مختلفة** (راجع خطاب اكيموف) ، يحمل فوراً الاخصام **المبدئيين** لخطتنا التنظيمية ونظامنا الداخلي على دعم خطأ الرفيقين مارتوف واكسلرود . واذا الايسكريون الذين ظلوا ، في هذه المسألة ايضا ، امناء لنظرات الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ، يجدون انفسهم **اقلية** . وهذا واقع **هائل الاهمية** ، لأنه دون توضيحه ، يستحيل اطلاقا فهم الصراع حول النقاط التفصيلية في النظام الداخلي . كما يستحيل فهم الصراع حول قوام الجريدة المركزية واللجنة المركزية .

ي – الابرياء الذين تألموا لاتهامهم باطلاً بالانتهازية

قبل الانتقال الى تتمة المناقشات حول النظام الداخلي ، وتوضيحا لخلافنا حول مسألة قوام المؤسستين المركزيتين ، من الضروري التذكير بالجلسات **الخاصة** التي عقدتها منظمة «الايسكرا» اثناء المؤتمر . وآخر هذه الجلسات الاربع واهمها انعقدت **بالضبط بعد** التصويت على الفقرة الاولى من النظام الداخلي ، ولهذا فان انشقاق منظمة «الايسكرا» الذي حصل في هذه الجلسة ، كان ، حسب المنطق وحسب التسلسل الزمني ، شرطا سبق الصراع اللاحق .

بدأت منظمة «الايسكرا» تعقد جلساتها الخاصة * بعيد حادث اللجنة التنظيمية الذي اعطى حجة لبحث مسألة الترشيحات

---

* لقد سعيت جهدي منذ مؤتمر العصبة الى رسم نطاق ضيق قدر الامكان اعرض فيه ما جرى خلال الاجتماعات الخاصة ، بغية اجتناب مناقشات لا حل لها . وكذلك عرضت الوقائع الاساسية في «رسالة الى هيئة تحرير «الايسكرا»» (ص ٤) ولم يدحضها الرفيق مارتوف في «جواب»ه .

www.kassioun.org

الممكنة الى اللجنة المركزية . وغنى عن البيان ان هذه الجلسات ، نظرا لالغاء التفويضات الالزامية ، قد اتسمت بطابع استشاري صرف ، لم يربط احدا ، ولكن اهميتها كانت هائلة مع ذلك . فالانتخابات الى اللجنة المركزية كانت تنطوي على مصاعب جمّة بالنسبة للمندوبين الذين لا يعرفون لا الاسماء السرية ولا العمل الداخلي لمنظمة «الايسكرا» ، وهي المنظمة التي انشأت وحدة الحزب الفعلية ، وتولت ادارة الحركة العملية ، هذه الادارة التي كانت احد اسباب الاعتراف الرسمي «بالايسكرا» . وقد سبق لنا ان رأينا ان اغلبية ضخمة ، حتى ثلاثة اخماس ، كانت مضمونة للايسكريين في المؤتمر بفضل وحدتهم ، وان جميع المندوبين كانوا يدركون هذا الامر تمام الادراك . وكان جميع الايسكريين يتوقعون بالضبط ان توصي **منظمة «الايسكرا»** بقوام معين للجنة المركزية ، ولم يتقدم اي عضو من اعضاء هذه المنظمة باي اعتراض على بحثها مسبقا قوام اللجنة المركزية ، ولم ينبس احد ببنت شفة بصدد تثبيت كل قوام اللجنة التنظيمية ، اي بصدد تحويلها الى لجنة مركزية ، ولم ينبس احد ببنت شفة **حتى بصدد اجتماع عام** يشترك فيه جميع اعضاء اللجنة التنظيمية فيما يتعلق بالمرشحين الى اللجنة المركزية . وهذا امر في منتهى الدلالة ايضا ، ومن المهم باعلى درجة ألاّ يغيب عن البال لأن المارتوفيين يدافعون **الآن بعد مرور الوقت** بحمية عن اللجنة التنظيمية ، مبرهنين بذلك للمرة المائة والمرة الالف على مبوعتهم السياسية * . وطالما ان الانشقاق بصدد قوام المركزين لم يشرك مارتوف مع الاكيموفيين ، فقد كان الجميع

---

* حاولوا ان تتصوروا «لوحة الاخلاق» هذه : **مندوب** منظمة «الايسكرا» **في المؤتمر** يتفاوض معها **فقط ولا ينبس ببنت شفة** بصدد التفاوض مع اللجنة التنظيمية . ولكنه بعد هزيمته **في** هذه المنظمة كما **في** المؤتمر ، شرع **يتأسف** على عدم تثبيت اللجنة التنظيمية ، ويمدحها ، بعد مرور الوقت ، ويتجاهل ، بجلال ، المنظمة التي يحمل تفويضها ! ومن الممكن المراهنة على انه ليس ثمة اي واقع مماثل في تاريخ اي حزب اشتراكي-ديموقراطي حقا وعمالي حقا .

www.kassioun.org

يدركون تمام الادراك في المؤتمر ما سوف يقتنع به بسهولة كل انسان غير متحيز متى ما اطلع على المحاضر وعلى كامـــل تاريخ «الايسكرا» ، وهو ان **اللجنة** التنظيمية قد كانت ، **بصورة رئيسية** ، لجنة مكلفة بعقد المؤتمر مؤلفة قصدا وعمدا من ممثلي شتى التلاوين ، بما فيها التلوين البوندي ؛ اما العمل الحقيقي من اجل **انشاء** وحدة الحزب التنظيمية ، فان منظمة «الايسكرا» هي التي حملت كل عبئه على كتفيها (ينبغي ألاّ يغيب عن البال ايضا ان **عددا معينا** من الاعضاء الايسكريين في اللجنة التنظيمية كانوا غائبين عن المؤتمر من قبيل الصدفة ، سواء بسبب من الاعتقالات ام بسبب من ظروف «مستقلة» اخرى) . وقد ذكّر الرفيق بافلوفيتش في كراسه بقوام منظمة «الايسكرا» في المؤتمر (راجع كراسه «رسالة عن المؤتمر الثاني» ، ص ١٣) (١٩) .

النتيجة النهائية للمناقشات الحادة في منظمة «الايسكرا» : تصويتان تحدثت عنهما في «رسالة الى هيئة التحرير» . التصويت الاول : «احد الترشيحات التي دعمها مارتوف يسقط بتسعة اصوات ضد اربعة وثلاثة استنكافات» . فكأنه لم يكن مـــن الممكن ان يحدث ما هو بسيط وطبيعي اكثر من هذا الواقع : مع موافقة واجماع جميع الاعضاء الستة عشر في منظمة «الايسكرا» الموجودين في المؤتمر ، تبحث مسألة الترشيحات المحتملة ، ويرفض بالاغلبية احد ترشيحات الرفيق مارتوف (على وجه الضبط ، ترشيح الرفيق شتين ، كما باح بذلك الرفيق مارتوف بنفسه ، بعد ان عيل صبره ، ص ٦٩ من «حالة الحصار») . ثم ، ألم نجتمع في مؤتمر الحزب لهذا الغرض بالذات ، وهو بحث وتقرير المسألة التالية : لمن نعهد «بعصا قائـــد الاوركسترا» ، وكان واجبنا العام ، بوصفنا اعضاء الحزب ، ان نولي هذه النقطة من جدول الاعمال اشد الانتباه ، ونحل هذه المسألة من وجهـــة نظر **مصالح القضية** ، لا من وجهة نظر «اللطافات المبتذلة» ، كما قال روسوف بصواب تام فيما بعد . ولا ريب انه كان لا بدّ ، عند بحث مسألة الترشيحات **في المؤتمر** ، ان يتناول الكلام ايضا بعض الصفات الشخصية ، ولم يكن في مستطاع

www.kassioun.org

المتكلم الا ان يعرب عن استحسانه او عدم استحسانه * ، ولا سيما في اجتماع خاص وغير رسمي . **وقد سبق ان حذرت في مؤتمر العصبة** من انه من الخراقة اعتبار عدم استحسان ترشيح من الترشيحات امرا «مشينا» (ص ٤٩ من محاضر العصبة) ؛ من الخراقة «الصياح والعتب واللوم» والوقوع في نوبة هستيرية بصدد ما يؤلف واجبا مباشرا على عضو الحزب : اختيار الموظفين الحزبيين بكل وجدان واحتراس . والحال ، هنا بالضبط ، بالنسبة لاقليتنا ، اشتعلت النار في البارود ؛ فشرعوا يصيحون ويزعقون ، **عقب المؤتمر** ، حول «تحطيم السمعة» (ص ٧٠ من محاضر العصبة) ، وراحوا يؤكدون **في الصحافة للجمهور الواسع** ان الرفيق شتين كان «الشخصية الرئيسية» في اللجنة التنظيمية السابقة ، وانه يُتّهم باطلا «بخطط جهنمية ما» (ص ٦٩ «حالة الحصار») . طيب ، أليست هذه نوبة هستيرية ، حين يتعالى الزعيق «بتحطيم السمعة» ، لدن استحسان المرشحين او عدم استحسانهم ؟ أليس هذا مماحكة حين يعمد بعضهم ، بعد ان مني بهزيمة في اجتماع خاص لمنظمة «الايسكرا» وفي الاجتماع الرسمي ، في الاجتماع الاعلى للحزب ، في المؤتمر ، ويطلق الشكاوى في الشارع ويوصي الجمهور المحترم بمرشحين

---

* في العصبة ، تذمر الرفيق مارتوف بمرارة من عنف استهجاني ، ولم يلاحظ ان من تذمره تنبع حجة ضده . ان لينين قد سلك – على حد قوله – سلوكا جنونيا (ص ٦٣ من محاضر العصبة) . هذا صحيح . لقد صفق الباب . هذا صحيح . وقد اثار سلوكه (في الجلسة الثانية او الثالثة لمنظمة «الايسكرا») غضب الاعضاء الباقين في الاجتماع . هذه هي الحقيقة . ولكن ماذا يجب الاستنتاج منها ؟ شيء واحد ، هو ان حججي حول اساس القضايا المختلف عليها كانت مقنعة وتأكدت صحتها بسير اعمال المؤتمر . بالفعل ، اذا كان تسعة اعضاء من اصل اعضاء منظمة «الايسكرا» الستة عشر ، قد انضموا الي مع ذلك في آخر الامر ، فمن الواضح ان هذا الانضمام تم **بغض النظر** عن التصرفات العنيفة المؤذية ، **رغم** هذه التصرفات العنيفة . فلو لم تقع اذن «تصرفات عنيفة» ، فلربما وقف الى جانبي حتى اكثر من تسعة اعضاء . وعليه ، فان الحجج والوقائع كانت اشد اقناعا بقدر ما كان «الغضب» الذى اضطررت الى تذليله اقوى واعنف .

www.kassioun.org

مرفوضين ، على انهم «الشخصيات الرئيسية» ؟ – حين يفرض بعضهم فيما بعد مرشحيهم على الحزب بواسطـــة الانشقاق ، وبالمطالبة **بالتعيين الداخلي** ؟ ان المفاهيم السياسية ، عندنا ، قد امتزجت في الجو الخانق في الخارج ، الى حد ان الرفيـــق مارتوف لم يعد يعرف كيف يميّز بين واجب عضو الحزب من جهة والروح الحلقي والمحسوبية من جهة اخرى ! ولا ريب انه من باب الدواوينية والافراط في التقيد بالشكليات ان يظن المرء انه من المناسب بحث قضية الترشيحات وتسويتها في المؤتمرات **فقط** ، حيث يجتمع المندوبون للتداول قبل كل شيء بقضايا مبدئية هامة ، حيث يلتقي ممثلو الحركة القادرون على بحث قضية الاشخاص دون تحيّز ، القادرون (والملزمون) على **المطالبة** بجميع المعلومات عن المرشحين وجمعهـــا قبل اعطاء صوت تقريري ، حيث النصيب المخصص للمناقشات حول عصا قائد الاوركسترا طبيعي وضروري . وبدلا من وجهة النظر الدواوينية والشكلية هذه ، طبّقت عندنا الآن اخلاق اخرى : بعد المؤتمرات سننثر الكلام جزافا ، يمينا وشمالا ، حول جنازة ايفـــان ايفانوفيتش السياسيـــة ، حول تحطيـــم سمعة ايفان نيكيفوروفيتش (٢٠) ؛ وسيوصي هؤلاء او اولئك من المتأدبين بالمرشحين في كراريس وسيؤكدون رياء ونفاقا لاطمين على صدورهم : ليس هذا بحلقة ، هذا حزب . . . واولئك القراء المتعطشون الى الفضائح ، سيسكرون من نشوة هذا النبأ المثير : فلان كان الشخصية الرئيسية في اللجنة التنظيمية ، كما يؤكد مارتوف نفسه * . ان هؤلاء القرّاء لأقدر بكثير على بحث المسألة وتسويتها من المؤسسات الشكلية من طراز المؤتمرات بقراراتها الميكانيكية الفظة حسب الاغلبية . . . اجل ، سيترتب على مناضلينـــا الحزبيين الحقيقيين ان ينظفوا اسطبلات اوجياس الواسعة المليئة بمماحكات الخارج !

---

* لقد حاولت من جهتي ، في منظمة «الايسكرا» ، ان امرر ، ولكن عبثا ، شأني شأن مارتوف ، مرشحا الى اللجنة المركزية ، كان في مستطاعي ان اتحدث بدوري عن سمعته الرائعة المدعومة بوقائع فائقة

www.kassioun.org

تصويت آخر لمنظمة «الايسكرا» : «الموافقة ، بعشرة اصوات ضد صوتين واربعة استنكافات ، على لائحة الخمسة (الى اللجنة المركزية) ، حيث ، بناء على اقتراحي ، أدخل زعيم من العناصر غير الايسكرية وزعيم من الاقلية الايسكرية» * . ان هذا التصويت بالغ الاهمية لانه يبين بوضوح وبما لا يقبل الجدل كل نفاق الاقاويل التي شاعت فيما بعد في هذا الجو من المماحكات والتي زعمت اننا اردنا ان نقذف غير الايسكريين من الحزب او ان نفصلهم عنه ؛ وان الاغلبية اختارت من نصف واحد من المؤتمر بواسطة نصف واحد فقط ، الخ . . كل هذا ليس سوى نسيج من الاكاذيب . فالتصويت الذي اشرت اليه آنفا يبين اننا لم نفصل غير الايسكريين من الحزب وليس هذا وحسب ، بل لم نفصلهم ايضا حتى من اللجنة المركزية ، ولكننا اعطينا مجادلينا **اقلية** كبيرة جدا . والحقيقة انهم **شاؤوا الحصول على الاغلبية** ، وبما ان هذه الرغبة المتواضعة لم تتحقق ، فقد اثاروا **فضيحة** وعدلوا تماما عن الاشتراك في المركزين . واما ان الحال هكذا كان على وجه الضبط ، رغم تأكيدات الرفيق مارتوف للعصبة ، فهذا ما يتبين من **الرسالة** التالية التي وجهتها اقلية منظمة «الايسكرا» الينا نحن اغلبية الايسكريين (واغلبية المؤتمر بعد انسحاب المندوبين السبعة) ، بعيد اقرار الفقرة الاولى من النظام الداخلي في المؤتمر (وتجدر الاشارة الى ان اجتماع منظمة «الايسكرا» الذي تحدثت عنه ، كان **الاخير** : فبعد هذا الاجتماع ، انقسمت المنظمة **عمليا** وحاول كل من القسمين ان يقنع سائر مندوبي المؤتمر بصحة موقفه) . وفيما يلي نص الرسالة :

« بعد ان استمعنا الى ايضاحات المندوبين سوروكين وسابلينا ، حول رغبة اغلبية هيئة التحرير وفرقة «تحرير العمل» في الاشتراك في الاجتماع

العادة ، ــ قبل المؤتمر وفي بدايته . ولكن هذا لم يرد في خاطري . فان هذا الرفيق **يحترم نفسه بما يكفي فلا يسمح** لاحد ان يقترح ترشيحه ، بعد المؤتمر ، عن طريق الصحافة ، او ان يتذمر من الجنازة السياسية ، وتحطيم السمعة ، الخ . .

* راجع مقال لينين : «لماذا خرجت من هيئة تحرير «الايسكرا» ؟» . **الناشر** .

www.kassioun.org

(في الموعد المعين *) ، واتضح لنا ، بواسطة هذين المندوبين ان لائحة المرشحين الى اللجنة المركزية قد عرضت في الاجتماع السابق ، هذه اللائحة التي زعم انها صادرة عنا ، والتي استخدمت لوصف كل موقفنا **السياسي** وصفا خاطئا ؛ ونظراً لأن هذه اللائحة قد نسبت الينا دون بذل اي جهد للتثبت من مصدرها ، اولا ؛ ولأن هذا الظرف مرتبط ارتباطا لا شك فيه بتهمة الانتهازية ، المروجة على المكشوف ضد اغلبية هيئة تحرير «الايسكرا» وفرقة «تحرير العمل» ، ثانيا ؛ ولأن الصلة بين هذه التهمة وخطة محددة تماما **لتعديل قوام هيئة تحرير «الايسكرا»** تبدو لنا واضحة كليا ، ثالثا ، لكل ما سبق ، نجد الاسباب المذكورة لمنع اشتراكنا في الاجتماع غير كافية والرغبة في رفض قبولنا في الاجتماع تثبت انه لا يراد السماح لنا بتبديد التهم الباطلة المشار اليها اعلاه .

اما فيما يخص امكان عقد اتفاق بيننا حول لائحة مشتركة بالمرشحين الى اللجنة المركزية ، فاننا نعلن ان اللائحة الوحيدة التي نستطيع قبولها اساسا للتفاهم ، هي التالية : بوبوف ، تروتسكي ، غليبوف . ونحن نشير الى طابع هذه اللائحة على انها لائحة **مساومة** ، نظرا لأن ادخال الرفيق غليبوف فيها ليس سوى تنازل لرغبة الاغلبية ؛ اذ اننا ، بعد ان اتضح لنا الدور الذي لعبه الرفيق غليبوف في المؤتمر ، **لا نعتبر الرفيق غليبوف** يستجيب للمتطلبات التي يجب تطلبها من مرشح الى اللجنة المركزية .

ونشير من جهة اخرى الى اننا ، اذ نتفاوض بشأن الترشيحات الى اللجنة المركزية ، انما نفعل ذلك بصرف النظر تماماً عن قوام هيئة تحرير الجريدة المركزية ، ـ لأننا لا نقبل اي نقاش حول هذه النقطة (حول قوام هيئة التحرير) .

عن الرفاق : مارتوف وستاروفر»

---

* بحسابي ان الموعد المعين في الرسالة يقع يوم الثلاثاء . فقد انعقد الاجتماع يوم الثلاثاء مساء ، اي **بعد** جلسة المؤتمر الثامنة والعشرين . ان هذا التفصيل الزمني بالغ الاهمية . فهو **يدحض ، بالاستناد الى الوثائق** ، رأي الرفيق مارتوف القائل اننا افترقنا حول قضية تشكيل المركزين ، لا حول قضية قوامهما . وهو **يبين بالاستناد الى الوثائق** صحة عرضي في مؤتمر العصبة وفي «رسالة الى هيئة التحرير» . **وبعد** جلسة المؤتمر **الثامنة والعشرين** ، يتحدث الرفيقان مارتوف وستاروفر مطولا عن التهمة الباطلة بالانتهازية **ولا ينبسان ببنت شفة** عن الخلاف الناجم حول قوام المجلس او التعيين الداخلي في المركزين (وهذا ما تناقشنا به في الجلسات الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين والسابعة والعشرين) .

www.kassioun.org

ان هذه الرسالة ، التي تعكس بامانة المزاج الذي شمل الطرفين المتجادلين وتعكس كذلك حالة المناقشة ، تدخلنا دفعة واحدة الى «قلب» الانشقاق الذي ذر قرنه وتبيّن اسبابه الحقيقية . فان اقلية منظمة «الايسكرا» ، برفضها الاتفاق مع الاغلبية وتفضيلها الدعاوة الحرة في المؤتمر (وكان لها ، بالطبع ، ملء الحق في ذلك) ، تحاول مع ذلك ان تحصل من «مندوبي» الاغلبية على قبولها في اجتماعهم الخاص ! ومفهوم ان يكون هذا المطلب الطريف لم يثر في اجتماعنا (وبالطبع ، تليت الرسالة في الاجتماع) غير الابتسام وهز الاكتاف ؛ اما الصيحات التي انقلبت الى نوبة هسيرية ، بصدد «الاتهامات الباطلة بالانتهازية» ، فقد كانت ، بكل بساطة ، مدعاة للضحك . ولكن سنحلل اولا ، نقطة نقطة ، شكاوى مارتوف وستاروفر المريرة .

تنسب اليهما اللائحة خطأ ؛ ويوصف موقفهما السياسي وصفا خاطئا . — ولكني مع ذلك ، كما يعترف مارتوف نفسه (ص ٦٤ من محاضر العصبة) ، لم يخامرني الشك في انه ليس واضع اللائحة . وبوجه عام ، لا علاقة هنا لمسألة معرفة من هو واضع اللائحة ، وسواء وضع اللائحة احد الايسكريين أم وضعها احد ممثلي «الوسط» ، الخ . ، فليس لهذا اي اهمية على الاطلاق . فالمهم ان هذه اللائحة ، المؤلفة كليا من اعضاء الاقلية الحالية ، قد كانت موضع تداول في المؤتمر ، وان من باب الحزر او الافتراض . **والأهم** اخيرا ان الرفيق مارتوف **قد اضطر** الى بذل قصارى جهده للدفاع عن نفسه في المؤتمر ضد لائحة **كهذه** ، **ينبغي** له ان يستقبلها الآن بحماسة . وليس في المستطاع ان نبرز بمزيد من الوضوح التردد في تقدير الرجال والتلاوين ، الا بهذه القفزة التي تمت في بضعة اشهر من الصياح والزعيق بصدد «الاشاعة المشينة» ، الى فرض هؤلاء المرشحين انفسهم الواردة اسماؤهم في هذه اللائحة ، التي يزعم انها مشينة ، الى فرضهم على الحزب ، في المركز ! *

* كانت الاسطر السابقة قد صفت حين تلقينا نبأ حادثة الرفيق غوسيف والرفيق دويتشن . وسنبحث هذه الحادثة على حدة ، في **الملحق** . (راجع هذا الكتاب ، ص ٢٤٠ . **الناشر**) .

www.kassioun.org

هذه اللائحة ، كما قال الرفيق مارتوف **في مؤتمر** العصبة ، «كانت تعني سياسيا ائتلافنا وائتلاف «يوجني رابوتشي» مع البوند ، ائتلافا بمعنى **الاتفاق المباشر**» (ص ٦٤) . هذا خطأ ، اولا ، لأن البوند ما كان قبل ابدا «اتفاقا» حول لائحة لم يرد فيها اسم اي بوندي ؛ ثانيا ، لانه لم ترد **ولم يكن من الممكن ان ترد مسألة** عقد اي اتفاق مباشر (يبدو لمارتوف مشينا) ، لا مع البوند وحسب ، بل حتى مع فرقة «يوجني رابوتشي» ايضا . فلم يكن المقصود على وجه الضبط عقد اتفاق ، بل اجراء ائتلاف ؛ ولم يكن المقصود ايضا ان يعقد الرفيق مارتوف صفقة ، بل انه **كان لا بدّ ان يلقى التأييد حتما** من جانب نفس العناصر المترددة والمخاصمة للايسكريين ، التي ناضل ضدها طوال النصف الاول من المؤتمر ، والتي تشبثت بخطئه في الفقرة الاولى من النظام الداخلي . والرسالة التي اوردتها اعلاه تبين بما لا يقبل الجدل ابدا ان **اصل** «الاهانة» يكمن بالضبط في **التهمة بالانتهازية ، في هذه التهمة الصريحة والباطلة ايضا** . ان هذه «الاتهامات» ، التي اشعلت النار في البارود ، والتي يجهد **الآن** الرفيق مارتوف باقصى العناية لتجنبها رغم تذكيري بها في «رسالة الى هيئة التحرير» ، كانت على نوعين : اولا ، اثناء مناقشة الفقرة الاولى من النظام الداخلي ، قال بليخانوف صراحة ان مسألة الفقرة الاولى تبتغي «فصل» «جميع ممثلي الانتهازية» عنّا ، وانه «لمجرد هذا السبب وحده يترتب على جميع اخصام الانتهازية ان يصوتوا» (ص ٢٤٦ من محاضر المؤتمر) بالموافقة على مشروعي ، بوصفه حصنا ضد اجتياح ممثلي الانتهازية لصفوف الحزب . ان هذه التعابير الحازمة ، رغم التخفيف الطفيف الذي ادخلته عليها (ص ٢٥٠) * ، قد دوت دويا ، وهذا ما يظهر بوضوح في خطابات الرفاق روسوف (ص ٢٤٧) وتروتسكي (ص ٢٤٨) واكيموف (ص ٢٥٣) . وفي «اروقة برلمان»نا كانت مقولة بليخانوف هذه

---

* راجع لينين . «الخطاب الثاني اثناء مناقشة النظام الداخلي للحزب ، ٢ (١٥) آب (اغسطس)» . **الناشر** .

www.kassioun.org

هدف تعليقات حادة وعرض متنوع الاشكال ، في المناقشات التي لا نهاية لها حول الفقرة الاولى . واذا رفاقنا الاعزاء ، بدلا من ان يدافعوا عن انفسهم من حيث الاساس ، يدّعون بصورة سخيفة مضحكة بانهم متكدرون الى حد انهم انحطوا الى تحرير الشكاوى على «التهمة الباطلة بالانتهازية» !

ان ذهنيـــة الروح الحلقية وانعدام النضوج السياسي الصارخ ، التي لا تستطيع احتمال الريح الطرية تهب من نقاش علني امام الملأ ، تبدو هنا بكل وضوح . انها هي هذه الذهنية الاليفة للانسان الروسي ، التي تجد تعبيرا لهـا في قول مأثور قديم : اما لكمة على الفك واما اليد للتقبيل من فضلك ! لقد اعتاد الناس صندوق الاخوية الضيقة والحميمية الزجاجي الى حـد انهم غابوا عن الرشد ، منذ اول مسعى لهم ، تحت مسؤوليتهم الخاصة ، في ميدان حر ومفتوح . ثم التهمة بالانتهازية ، ولكن من ذا الذي يُتهم ؟ فرقة «تحرير العمل» ، بل اغلبيتها ، — فهل في وسعكم تصوّر هذه الفظاعة ! اما الانشقاق في الحزب بسبـب من هذه الاهانة الهزيلة ، واما تمويـه هذا «الازعاج المنزلي» باعادة «روح الاستمرار» في هذا الصندوق الزجاجي ، — ان هذا الاحراج يبدو بوضوح كاف في الرسالة المشار اليها . ان ذهنية الروح الحلقي وفردية المثقفين قد اصطدمت بمطلب الكلام علنا امام الحزب . تصوروا لحظـــة ان مثل هذه الخراقة ، ان مشاحنة كالشكوى من «تهمة **باطلة** بالانتهازية» قد حدثت في الحزب الالماني ! ان التنظيم البروليتاري والطاعة البروليتارية قد أنسيا هناك منذ زمن بعيد هذه الميوعة الخليقة بالمثقفين . فليس ثمة احد يتصرف ازاء ليبكنخت ، مثلا ، الا باعظـــم الاحترام ، ولكن كيف كانوا سخروا هناك من **الشكاوى** الزاعمة انه «اتهم علنا بالانتهازية» (مع بيبل) في مؤتمر ١٨٩٥ (٢١) حين وجد نفسه ، في المسألة الزراعية ، مع رفقة سوء ، مـــع الانتهازي المعروف فولمار واصدقائه . ان اسم ليبكنخت مرتبط اوثق ارتباط بتاريخ الحركة العمالية الالمانية ويقينا لا لأنه حدث لليبكنخت ان انزلق نحو الانتهازية في مسألة تفصيليـــة تافهة نسبيا ، بل رغم ذلك . كذلك فان اسم الرفيق اكسلرود ،

www.kassioun.org

مثلا ، رغم كل ضراوة الصراع ، يوحي وسيوحى دائما بالاحترام لكل اشتراكي-ديموقراطي روسي ، ولكن لا لأنه حدث للرفيق اكسلرود ان دافع عن فكَيْرة انتهازية في المؤتمر الثاني لحزبنا ، وان نبش وعرض كل الكلاكيش الفوضوية القديمة في المؤتمر الثاني للعصبة ، بل رغم هذا . ان الروح الحلقي الاكثر نمطية ، مع منطقه القائل : اما لكمة على الفك واما تقبيل اليد من فضلك ، هو وحده الذي استطاع ان يثير هذه النوبة من الهستيريا وهذه المماحكة وهذا الانشقاق في الحزب حول «تهمة باطلة بالانتهازية ضد اغلبية فرقة «تحرير العمل»» .

هناك حجة اخرى في هذه التهمة الرهيبة مرتبطة بالحجة السابقة اوثق ارتباط (وعبثاً حاول الرفيق مارتوف في مؤتمر العصبة (ص ٦٣) ، ان يتجنب ويطمس **احد** مظاهر هذه الحادثة) . هذه الحجة تتعلق على وجه الضبط **بالائتلاف** بين العناصر المترددة والمخاصمة للايسكريين والرفيق مارتوف ، بهذا الائتلاف الذي **ارتسمت خطوطه** فيما يخص الفقرة الاولى من النظام الداخلي . وغني عن البيان انه لم يحصل ولم يكن من الممكن ان يحصل اي اتفاق لا مباشر ولا غير مباشر بين الرفيق مارتوف واخصام الايسكريين ، وما من احد كان يظن به ذلك : كان هذا تأثيرا بسيطا من تأثيرات الخوف . ولكن خطأه تجلى **سياسيا** في كون الناس الذين يميلون بلا مراء الى الانتهازية ، قد شرعوا يشكلون حوله اغلبية «متراصة» مكثفة اكثر فاكثر ، (وقد غدت الآن الاقلية بفضل انسحاب المندوبين السبعة «العرضي» ، بفضل هذا الانسحاب **فقط لا غير**) . وعن هذا «الائتلاف» تحدثنا ، بالطبع ، **على المكشوف** ايضاً ، بعد الفقرة الاولى فورا ، في المؤتمر (راجع ملاحظة الرفيق بافلوفيتش المذكورة اعلاه ، ص ٢٥٥ من محاضر المؤتمر) وكذلك في منظمة «الايسكرا» (ان بليخانوف على الاخص هو الذي اشار الى هذا ، حسبما اذكر) . اننا هنا ، حرفيا ، امام نفس الاشارة ونفس السخر اللذين قصدا بيبل وليبكنخت في عام ١٨٩٥ عندما قالت لهما تسيتكين «Es tut mir in der Seele weh, dass ich dich in der Gesellschaft seh'»

www.kassioun.org

(انا آسفة لأن اراك – اي بيبل – مع هذه الرفقة – اي مع فولمار وشركاه) (٢٢) . وانه لغريب حقا ان بيبل وليبكنخت لم يرسلا آنذاك الى كاوتسكي وتسيتكين رسالة هستيرية حول تهمة باطلة بالانتهازية . . .

اما فيما يخص لائحة المرشحين الى اللجنة المركزية ، فان هذه الرسالة تبين خطأ الرفيق مارتوف الذي زعم في العصبة ان الامتناع عن التفاهم معنا ليس نهائيا بعد ، – وهذا ما يثبت مرة اخرى الى اي حد من الرعونة ينزلق المرء في الصراع السياسي اذا شاء ان يورد **الاحاديث** عن ظهر قلب ، بدلا من الاستشهاد بالوثائق . وفي الواقع ، كانت «الاقلية» متواضعة الى درجة انها قدمت «للاغلبية» هذا الانذار : أخذ اثنين من «الاقلية» وواحد (من باب المساومة **وفقط** من باب التنازل !) من «الاغلبية» . هذا فظيع ، ولكنه واقع . وهذا الواقع يبين بجلاء مدى خراقة الاقاويل الشائعة اليوم والزاعمة ان «الاغلبية» اختارت ، بواسطة نصف المؤتمر ، ممثلي نصف واحد فقط . **هذا هو العكس تماما** : فان انصار مارتوف لم يقترحوا علينا واحدا من ثلاثة الا من باب التنازل ، راغبين على هذا النحو ، في ادخال جماعتهم **فقط** ، اذا لم نقبل هذا «التنازل» الغريب ! لقد ضحكنا ، في اجتماعنا الخاص ، من تواضع المارتوفيين ووضعنا لائحتنا : غليبوف ، ترافينسكي (الذي انتخب فيما بعد الى اللجنة المركزية) ، **بوبوف** . وقد استعضنا عن هذا الاخير (وايضا في اجتماع خاص عقده الـ٢٤) بالرفيق فاسيلييف (الذي انتخب فيما بعد الى اللجنة المركزية) ، وذلك **فقط لأن** الرفيق بوبوف رفض ان يرد اسمه على لائحتنا ، رفض اولا في حديث خاص ، ثم علنا في المؤتمر (ص ٣٣٨) .

هذا ما جرى .

كانت «الاقلية» المتواضعة ترغب رغبة متواضعة في ان تصبح اغلبية . وحين لم تتحقق هذه الرغبة المتواضعة ، فضّلت «الاقلية» ان تتخلى عن كل شيء وتبدأ بفضيحة . وهناك الآن من يتحدثون بتنازل جليل عن «عناد» «الاغلبية» !

وقد قدمت «الاقلية» انذارات غريبة الى «الاغلبية» مندفعة

www.kassioun.org

الى معركة الدعاوة الحرة في المؤتمر . وما ان مني **ابطالنـــا** بالهزيمة ، **حتى فاضت عيونهم بالدموع وزعقوا بحالة الحصار** . *Voilà tout. .

اما التهمة الرهيبة الزاعمة ان في نيتنا تعديل قوام هيئـــة التحرير ، فقد استقبلناهـــا نحن (الاجتماع الخاص الذي عقده الـ ٢٤) بالابتسام ايضا : فان الجميع كانوا يعرفون جيدا جـــدا منذ افتتاح المؤتمر وحتى قبل افتتاحه ، خطة **تجديد** هيئة التحرير بانتخاب فريق اول من ثلاثة (سأتناول هذه النقطة بمزيد من التفصيل حين اتناول قضية اختيار هيئة التحرير في المؤتمر) . اما ان تكون هذه الخطة قد اخافت «الاقلية» ، **بعد** ان تبين لهذه الاقلية ان ائتلاف «الاقلية» مع اخصام الايسكريين كان برهانا ممتازا على صحة هذه الخطة ، فان هذا لم يدهشنا قط ، وكان طبيعيا تماما . يقينا انه لم يكن في مقدورنا ان نحمل على محمـــل الجدّ الاقتراح القائل بتحولنا ، بملء اختيارنا ، قبل الصراع في المؤتمر ، الى اقلية ؛ ولم يكن في مقدورنا ان نحمل على محمـــل الجدّ كل هذه الرسالة التي بلغ واضعوها درجة من الغيظ لا تصدق بحيث راحوا يتحدثون عن «تهم باطلة بالانتهازية» . لقـــد كنا على امل راسخ بان واجب عضو الحزب سيحرز الغلبة بسرعة على الرغبة الطبيعية في «صب جام الحقد والغضب» .

ك ــ مواصلة المناقشات حول النظام الداخلي . قوام المجلس

استثارت النقاط التالية من النظام الداخلي من المناقشات حول المسائل التفصيليـــة اكثر بكثير ممـــا حول المبادئ التنظيمية . وقد خصصت جلسة المؤتمر الرابعة والعشرون بكليتها لبحث قضية التمثيل في مؤتمرات الحزب ؛ وهذه المرة ايضا ، لم يشن احد معركة حاسمة وواضحة ضد الخطط المشتركـــة بين جميـــع الايسكريين ، غيـــر البونديين (غولدبـــلات وليبر ،

---

* ــ هذا كل شيء . بالفرنسية في النص الاصلي . **الناشر** .

www.kassioun.org

ص ٢٥٨ – ٢٥٩) والرفيـــق اكيموف الذي اعترف بدوره في المؤتمر بصراحة تستحق الثناء : «في كل مرة اتكلم ، ادرك تمام الادراك اني لن اؤثر في الرفاق بحججي ، بـل اني ، بالعكس ، سأسيء الى القضية التي ادافع عنها» (ص ٢٦١) . هذه الملاحظة الصحيحة جاءت في حينها على الاخص فور مناقشة الفقرة الاولى من النظام الداخلي ؛ الا ان تعبير «بالعكس» لم يرد هنا صحيحاً كل الصحة ، اذ ان الرفيق اكيموف لم يكن يعرف كيف يسيء الى هذه القضايا او تلك وحسب ، بل كان يعرف ايضا في الوقـت نفسه وبالتالي كيف «يؤثر في الرفاق» . . . من بين الايسكريين ذوي التفكير القليل الانسجام ، الميّالين الى الجملة الانتهازية .

وفي الاجمال ، تمت الموافقة على الفقرة الثالثة من النظام الداخلي ، التي تحدد شروط التمثيل في المؤتمر ، باغلبيـــة الاصوات مع سبعة استنكافات (ص ٢٦٣) – هي بلا شك مـــن عداد اخصام الايسكريين .

اما النقاش حول تركيب المجلس ، وقد استغرق القســـم الاكبر من جلسة المؤتمر الخامسة والعشرين ، فقد عكس الحـد الاقصى من انقسام الفرق حول عدد كبير جدا من المشاريع . آبرامسون وتساريف يرفضان خطة المجلس بلا تحفظ . بانين يصر على جعل المجلس مجرد هيئة تحكيم ؛ ولذا يقترح بتفكير منطقي تماماً رفض التعريف القائل ان المجلس هيئة عليا وانـــه يمكن ان يدعو الى عقده اي عضوين من اعضائه * . ويدافـــع هرتس وروسوف عن طرائق مختلفة لتشكيل المجلس علاوة على الطرائق **الثلاث** التي اقترحها **خمسة** اعضاء لجنة النظام الداخلي .

كانت القضايا المختلف عليها تنحصر بالدرجة الاولى في تعريف مهام المجلس : هيئة تحكيم ام هيئة عليا للحزب ؟

---

* كان الرفيق ستاروفر ، على ما يبدو ، يميل هو ايضا الى مفاهيم الرفيق بانين ، مع فارق وحيد هو ان بانين كان يعرف ما يريد ويقدم ، بتفكير منطقي تماماً ، مشروعات قرارات تجعل من المجلس مجرد هيئة تحكيم ، هيئة توفيق ، بينا كان الرفيق ستاروفر لا يعرف ما يريد حين قال ان المجلس يلتئم ، وفق المشروع ، حسب «رغبـة الاطراف فقط» (ص ٢٦٦) . هذا ، بكل بساطة ، خطأ .

www.kassioun.org

كان الرفيق بانين ، كما سبق ان قلت ، يؤيد دائما الحل الاول . ولكنه كان وحده . اما الرفيق مارتوف ، فقد اعلن بحزم عن معارضته : «اقترح رفض الاقتراح الهادف الى شطب كلمات : «المجلس هيئة عليا» : ان صيغتنا» (اي الصيغة التي تتعلق بمهام المجلس ، والتي اتفقنا بشأنها في لجنة النظام الداخلي) «تفسح المجال للمجلس عن قصد لكي يتحول الى هيئة عليا للحزب . ان المجلس ، بنظرنا ، ليس فقط هيئة توفيق» . بيد ان تركيب المجلس ، وفقا لمشروع الرفيق مارتوف ، كان يستجيب كليا وبوجه الحصر لطابع «هيئات التوفيق» او هيئات التحكيم : عضوان من كل من المركزين وعضو خامس يدعوه هؤلاء الاربعة . غير ان مثل هذا التركيب للمجلس لم يكن وحده يستجيب بوجه الحصر لاغراض التوفيق او الوساطة ، بل ان التركيب الذي اقره المؤتمر ، بناء على اقتراح الرفيقين روسوف وهرتس (العضو الخامس يعينه المؤتمر) كان ايضا يستجيب بوجه الحصر للاغراض نفسها . وبين هذا التركيب للمجلس والقصد منه ان يصبح هيئة عليا للحزب ، يتجلى التناقض مستعصيا لا حل له . ان هيئة الحزب العليا يجب ان تكون دائما بكامل اعضائها ، ولا تكون رهنا بتغييرات عرضية (احيانا من جرّاء ضربات قوية تنزل بها) في الهيئات المركزية . يجب ان تكون الهيئة العليا على صلة مباشرة مع مؤتمر الحزب ، فتتلقى منه صلاحياتها المطلقة ، لا من هيئتين حزبيتين اخريين تابعتين للمؤتمر . يجب ان تتألف الهيئة العليا من اشخاص معروفين من مؤتمر الحزب . واخيرا لا يمكن **تنظيم** الهيئة **العليا** بشكل يتوقف معه **وجودها بالذات** على الصدفة : اذا لم تتفق الهيئتان على هذا ، وردت الاعتراضات التالية : ١) اذا استنكف احد الخمسة وانقسم الاربعة الباقون الى زوجين ، فمن الممكن ايضا ان يبدو الوضع لا مخرج منه (ايغوروف) . ان هذا الاعراض لا اساس له من الصحة ، لأن استحالة **اتخاذ قرار** هي احيانا امر محتم لا مناص منه على **كل** هيئة ، ولكن استحالة **تشكيل** هيئة شيء آخر تماما . الاعتراض الثاني : «اذا كانت هيئة مثل المجلس لا تستطيع ان تختار عضوا خامسا ، فهذا يعني اذن ان هذه الهيئة هي ، بوجه

www.kassioun.org

عام ، غير اهل للعمل» (زاسوليتش) . ولكن المسألة هنا ليست مسألة اهلية ، بل مسألة انعدام الهيئة **العليا** ، لأنه بدون عضو خامس ، **ان يكون ثمة** ابـــدا مجلس ، لن يكون **ثمة ابدا اي «هيئة»** ، ولن يمكن حتى الحديث عن الاهلية للعمل . واخيرا ، اذا كان يمكن ان تقع حالات تتشكل فيها هيئة من هيئات الحزب هذه ، تابعة لهيئة اخرى ، لهيئة عليا ، على ان يكون في مستطاع هذه الاخيرة ، عند الاقتضاء ، ان تسد النقص بشكل او بآخر ، فان هذا سيكون شرا يمكن اصلاحه . ولكن المجلس **لا يتبع** اي هيئة ، الا المؤتمر ، وعليه ، اذا تركنا في النظام الداخلي هذا **الاحتمال** ، وهـــو اننا سنعدم **حتى من وسيلة لتشكيـــل** المجلس ، فاننا بالطبع نكون فاقدي المنطق .

ان خطابيّ الوجيزين في المؤتمر حول هذه المسألة ، قـد خصصتهما لتحليل **هذين** الاعتراضين **فقط** (ص ٢٦٧ و٢٦٩) غير الصحيحين اللذين دافع بهما مارتوف وكذلك غيره من الرفاق عن مشروع مارتوف . اما هيمنة الجريدة المركزية او اللجنـــة المركزيـــة في المجلس ، **فلم اتطرق اليها باي كلمة** . فان هذه المسألة ، انما اثارها **الرفيق اكيموف** في جلسة المؤتمر الرابعة عشرة (ص ١٥٧) ، وذلك **للمرة الاولى** بمعنى التحذير من خطر هيمنة الجريدة المركزية ، وعلى اثر اكيموف **فقط** ، شرع الرفاق مارتوف واكسلرود والآخرون يعملون ، **بعد المؤتمر** ، على تلفيق خرافة سخيفة ومضللة ، تزعم ان «الاغلبية» ترغب في تحويل اللجنة المركزية الى اداة لهيئة التحرير . وحين تناول الرفيق مارتوف هذه المسألة في مؤلفه «حالة الحصار» ، لزم الصمت بكل تواضع حول واضعها الحقيقي !

ان كل من يود ان يعرف **عن كثب** الطريقة التي وضعت بها في مؤتمر الحزب مسألة هيمنة الجريدة المركزية على اللجنة المركزية ، ولا يكتفي باستشهادات منتزعة من النص الكامل ، سيدرك بسهولة ان الرفيق مارتوف قد حوّر الامور . ففي الجلسة الرابعة عشرة ، بدأ **الرفيق بوبوف نفسه** الجدال **ضد نظرات الرفيق اكيموف** الراغب «في قمة الحزب في الدفاع «عن المركزية الاشد صرامة» **من اجل اضعاف تاثير الجريدة المركزية**» (ص

www.kassioun.org

١٥٤ ، اشارة التأكيد مني) ، «وهذا هو بالضبط كل معنى هذا النظام (نظام اكيموف)» . واضاف الرفيق بوبوف قائلا : «ان مثل هذه المركزية ، لا ادافع عنها ، بل اني مستعد لمحاربتها بكل الطرق ، لأنها **راية الانتهازية**» . هذا هو **جذر** هذه المسألة الشهيرة ، مسألة هيمنة الجريدة المركزية على اللجنة المركزية . فلا غرابة اذن اذا **اضطر** الرفيق مارتوف الآن الى لزوم الصمت حول مصدر هذه المسألة الحقيقي . **حتى الرفيق** بوبوف لم يكن بوسعه ألاّ يلحظ الطابع **الانتهازي** الذي اتسمت به اقاويل اكيموف بصدد هيمنة الجريدة المركزية * ، واعلن الرفيق بوبوف **قطعا** لفصل نفسه على نحو افضل عن الرفيق اكيموف : «ليشترك في هذا المركز (المجلس) ثلاثة اعضاء من هيئة التحرير وعضوان من اللجنة المركزية . **هذه مسألة ثانوية** (اشارة التأكيد مني) ، فالمهم ، هو ان تنبثق القيادة ، قيادة الحزب العليا ، من مصدر واحد» (ص ١٥٥) . ويعترض الرفيق اكيموف قائلا : «المشروع يضمن للجريدة المركزية المقام الاول في المجلس ، وان لسبب واحد ، هو ان قوام هيئة التحرير دائم بينا قوام اللجنة المركزية متغير» (ص ١٥٧) ، وهذه حجة لا تتعلق الا «باستمرار» القيادة **المبدئية** (وهذا امر عادي ومرغوب فيه) ، ولكنها لا تتعلق اطلاقاً «بالمقام الاول» بمعنى التدخـــل او المساس بالاستقلال الذاتي . واذا الرفيق بوبوف ، الذي لم يكن

---

* لم يرتبك الرفيق بوبوف ولا الرفيق مارتوف في وصف الرفيق اكيموف انه انتهازي ؛ ولم يبدأ الاستياء والغضب يتملكانهما الا حين طبق هذا الوصف **عليهما بالذات** ، وبصواب ؛ لمناسبة «المساواة بين اللغات» او لمناسبة الفقرة الاولى . غير ان الرفيق اكيموف ؛ الذي كان الرفيق مارتوف يحتذي حذوه ، عرف مع ذلك ان يسلك في مؤتمـــر الحزب سلوكا اوفر كرامة ورجولة من سلوك الرفيق مارتوف وشركاه في مؤتمر العصبة . فقد قال الرفيق اكيموف في مؤتمـــر الحزب : «ينعتونني هنا بأني انتهازي . اني اعتبر ، من جهتي ، ان هذا التعبير تعبير مسبة واهانة ، واعتقد اني لم استحقه اطلاقا ؛ ولكني لا احتج عليه» (ص ٢٩٦) . ترى ، هل دعا الرفيقان مارتوف وستاروفر الرفيق اكيموف الى التوقيع في اسفل احتجاجهما على التهمة الباطلة بالانتهازية ، فرفض الرفيق اكيموف ان يوقع ؟

www.kassioun.org

بعد في تلك اللحظة قد انتسب الى «الاقلية» ، التي تغطي استياءها من تركيب المركزين وراء نمائم حول عدم تمتع اللجنة المركزية بالاستقلال ، يرد على الرفيق اكيموف بكثير من الصواب : «اني اقترح اعتباره (اي المجلس) المركز القيادي للحزب ، واذ ذاك فان **مسألة ما اذا كان المجلس سيتألف من عدد اكبر من ممثلي الجريدة المركزية ام من ممثلي اللجنة المركزية ، لن تتسم باي اهمية**» . (ص ١٥٧ – ١٥٨ . اشارة التأكيد مني) .

وعند استئناف النقاش حول قوام المجلس في الجلسة الخامسة والعشرين ، واصل الرفيق بافلوفيتش المناقشات القديمة ، وأيّد هيمنة الجريدة المركزية على اللجنة المركزية ، «نظرا لاستقرار الاولى» (ص ٢٦٤) ، قاصدا بذلك الاستقرار **المبدئي** بالضبط ، كما فهمه الرفيق مارتوف ، الذي اخذ الكلام بعد الرفيق بافلوفيتش فورا ، فاعتبر ان لا فائدة من «تحديد رجحان مؤسسة على اخرى» واشار الى احتمال اقامة احد اعضاء اللجنة المركزية في الخارج : «على هذا النحو يحتفظ الى حد ما باستقرار اللجنة المركزية المبدئي» (ص ٢٦٤) . هنا ، لا ظلّ بعد لاي **خلط** تضليلي بين مسألة الاستقرار **المبدئي** وصيانته وبين صيانة استقلال اللجنة المركزية وحريتها . وهذا الخلط ، الذي اضحى **بعد المؤتمر** الورقة الرابحة الرئيسية او يكاد بيد الرفيق مارتوف ، انما حققه بعناد ، **في المؤتمر ، الرفيق اكيموف وحده** ، وقد قال **آنذاك** ان «النظام الداخلي مشبع بروح اراكتشييف» (٢٣) (ص ٢٦٨) ، ان «**اللجنة المركزية ستتحول الى مجرد منفذ لارادة هيئة التحرير ، اذا ضم مجلس الحزب ثلاثة من اعضاء الجريدة المركزية** (اشارة التأكيد مني) . فان ثلاثة اشخاص يقيمون في الخارج سيكون من حقهم الاشراف كلياً (!!) على عمل الحزب كله (!!) . فهم مضمونون من ناحية السلامة ، ولذا يعطون السلطة لمدى الحياة» (ص ٢٦٨) . ضد هذه الجمل الخرقاء والتضليلية اطلاقا ، ضد هذه الجمل التي تحل **التدخل في عمل الحزب كله** محل **القيادة الفكرية** (والتي قدّمت بعد المؤتمر شعاراً رخيصاً للرفيق اكسلرود ، بخطاباته حول

www.kassioun.org

«التيوقراطية») ، – **ضد هذه الجمل** على وجه الضبط ، وقف الرفيق بافلوفيتش من جديد ، مشيراً الى انه «من انصار صلابة ونقاوة المبادئ التي تمثلها «الايسكرا» . واني اذ اولي هيئة تحرير الجريدة المركزية الارجحية ، اوطّد بذلك هذه المبادئ» (ص ٢٦٨) .

هكذا توضع في الواقع مسألة الهيمنة المزعومة ، هيمنة الجريدة المركزية على اللجنة المركزية . وان هذا «الخلاف المبدئي» الشهير الذي يبديه الرفيقان اكسلرود ومارتوف ليس سوى **ترديد لاقاويل الرفيق اكيموف الانتهازية والتضليلية** ، لهذه الاقاويل التي لحظ حتى الرفيق بوبوف طابعها الحقيقي بكل وضوح ، حين لم يكن قد مني بعد بالهزيمة فيما يخص قوام المركزية !

* * *

حصيلة المناقشة حول قوام المجلس : رغم الجهود التي بذلها الرفيق مارتوف ليثبت في كتابه «حالة الحصار» ان عرضي في «رسالة الى هيئة التحرير» متناقض وخاطىء ، تبين محاضر المؤتمر بجلاء ان هذه المسألة ليست فعلا سوى **تفصيل بالنسبة** للفقرة الاولى ، وان التصريح الوارد في مقال «مؤتمرنا» (العدد ٥٣ من «الايسكرا») ، والزاعم اننا تجادلنا «بوجه الحصر تقريبا» حول تنظيم هيئات الحزب المركزية لم يكن سوى **تشويه كلي للحقيقة** ، تشويه صارخ خصوصا وان كاتب المقال **قد لزم الصمت تماما حول المناقشات بصدد الفقرة الاولى** . ثم ان المحاضر تثبت ايضا انه لم يحصل اي تكتل معين من الايسكريين ، حول قضية قوام المجلس : لا تصويتات بالمناداة على الاسماء ، مارتوف يختلف مع بانين ، انا اوافق مع بوبوف ، ايغوروف وغوسيف يقفان على حدة ، الخ . . اخيرا ، ان تصريحي الاخير (في مؤتمر «عصبة الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الروسية في الخارج») ، الذي أكدت فيه ان الائتلاف بين انصار مارتوف واخصام الايسكريين يتوطد ويرسخ ، **يؤكده ايضا** الانعطاف الذي يراه الجميع جيدا اليوم ، والذي قام به الرفيقان مارتوف واكسلرود الى جانب الرفيق اكيموف ، في هذه المسألة ايضا .

www.kassioun.org

ل – نهاية المناقشات حول النظام الداخلي . التعيين الداخلي في المركزين . انسحاب مندوبي «رابوتشييه ديلو»

فيما يخص المناقشات اللاحقة حول النظام الداخلي (جلسة المؤتمر السادسة والعشرون) ، يجدر بنا ألا نتناول غير المسألة المتعلقة بتحديد صلاحيات اللجنة المركزية ، وهي المسألة التي توضح طابع هجمات المارتوفيين **الحالية** على المركزية المتضخمة . فقد حاول الرفيقان ايغوروف وبوبوف الحد من المركزية بمزيد ما من قوة الاقناع ، بصرف النظر عن ترشيحهما او عن الترشيح الذي اقترحاه . وفي لجنة النظام الداخلي ، اقترحا تعليق حق اللجنة المركزية في حل اللجان المحلية ، على موافقة المجلس ، وفضلا عن ذلك ، في حالات معينة على حدة (ص ٢٧٢ ، ملاحظة ١) . فعارض ثلاثة من اعضاء لجنة النظام الداخلي (غليبوف ومارتوف وانا) ، ودافع الرفيق مارتوف عن رأينا في المؤتمر (ص ٢٧٣) ، رادا على ايغوروف وبوبوف «بان اللجنة المركزية ستبحث الامر في كل حال قبل ان تقدم على خطوة جدية كحل منظمة» . وهكذا ، كما ترون ، كان الرفيق مارتوف **في ذلك الحين** ، لا يزال يصم اذنيه عن **جميع** الدعوات المنافية للمركزية ، ورد المؤتمر اقتراح ايغوروف وبوبوف ، – ولكن المحاضر ، مع الاسف ، لا تقول لنا باي عدد من الاصوات .

وفي مؤتمر الحزب ، وقف الرفيق مارتوف ايضا «ضد الاستعاضة عن كلمة «تنظم» (اللجنة المركزية تنظم لجانا ، الخ . – في الفقرة ٦ من النظام الداخلي للحزب) بكلمة «تصادق» . «يجب ايضا تخويل حق التنظيم» ، قال الرفيق مارتوف **آنذاك** ، ولم تكن قد خطرت في باله بعد تلك الفكرة الرائعة ، التي لم يكتشفها الا في مؤتمر العصبة ، والتي تقول ان مفهوم «التنظيم» لا ينطوي على المصادقة .

واذا وضعنا جانبا هاتين النقطتين ، فان سائر المناقشات ، الضئيلة جدا ، حول مسائل تفصيلية تتعلق بالفقرات ٥–١١ من النظام الداخلي (ص ٢٧٣–٢٧٦ من المحاضر) ، لا تتسم ، على

www.kassioun.org

الارجح ، باي اهمية وفائدة . والفقرة ١٢ تتعلق بالتعيين الداخلي بالنسبة لجميع هيئات الحزب بوجه عام والمركزين بوجه خاص . وتقترح اللجنة زيادة الاغلبية الصالحة الضرورية للتعيين الداخلي ، من ٢/٣ الى ٤/٥ . ويقترح المقرر (غليبوف) تعيينا داخليا **اجماعيا** بالنسبة للجنة المركزية . ويعتبر الرفيق ايغوروف **الخشونة** امرا غير مرغوب فيه ،فيطالب باغلبية بسيطة اذا لم يكن هناك veto* معلل . ولا يوافق الرفيق بوبوف لا مع اللجنة ولا مع الرفيق ايغوروف ، ويطلب اما اغلبية بسيطة ، (دون حق الـ veto) ، واما الاجماع . ولا يوافق الرفيق مارتوف لا مع اللجنة ، ولا مع غليبوف ، ولا مع ايغوروف ، ولا مع بوبوف ، ويقف ضد الاجماع ، ضد الـ٤/٥ (مع الـ٢/٣) ، **ضد «التعيين الداخلي المتبادل» ، اي ضد حق هيئة تحرير الجريدة المركزية في الطعن في التعيين الداخلي بالنسبة للجنة المركزية والعكس بالعكس** («حق الرقابة المتبادلة على التعيين الداخلي») .

فنحن هنا اذن ، كما يرى القارئ ، امام تكتل مبرقش جدا ، والخلافات تكاد تنقسم الى خصائص «اجماعية» في آراء كل مندوب !

يقول الرفيق مارتوف : «اني اقر بالاستحالة النفسانية في العمل مع اشخاص غير مستحبين . ولكنه يهمنا ايضا ان تكون منظمتنا قابلة للحياة وصالحة للعمل . . . ففي حال التعيين الداخلي ، لا حاجة لحق الرقابة المتبادلة من جانب اللجنة المركزية وهيئة تحرير الجريدة المركزية . واذا كنت اعارض ، فليس لأني اعتقد ان احداهما لا صلاحية لها في ميدان الاخرى . كلا ! فان هيئة تحرير الجريدة المركزية ، مثلا ، يمكنها ان تعطي اللجنة المركزية نصيحة طيبة ، لمعرفة ما اذا كان ينبغي ، مثلا ، قبول السيد ناديجدين في اللجنة المركزية ؛ اني اثور لأني لا اريد ان اخلق مماطلات دواوينية مزعجة للجانبين» .

وارد عليه : «هناك مسألتان . الاولى ، فيما يخص الاغلبية الصالحة ، وانا ضد الاقتراح القائل بالتخفيض من الـ٤/٥ الى

---

* — نقض . باللاتينية في النص الاصلي . **الناشر** .

www.kassioun.org

الـ٣/٢ . ومن غير المعقول ادراج طعن معلل ، وانـا ضده . المسألة الثانية المتعلقة بحق الرقابة المتبادلة من جانب اللجنة المركزية والجريدة المركزية على التعيين الداخلي ، أهم بما لا حد له . موافقة المركزين المتبادلة هي الشرط الضروري لحسن الانسجام . والمقصود هنا القطيعة بين المركزين . ان كل من لا يرغب في الانشقاق ، انما يتعين عليه ان يحرص على استتباب الانسجام . ان حياة الحزب تعلمنا انه كان ثمة من الرجال صانعي الانشقاق . وهذي مسألة مبدئية ، مسألة هامة ، قد يتوقف عليها كل مستقبل الحزب» (ص ٢٧٦–٢٧٧) . هذا هو النص الكامل للموجز المسجل في المؤتمر عن خطابي الذي يوليه الرفيق مارتوف اهمية كبرى . ولكنه مع ايلائه خطابي هذه الاهمية ، لم يجهد نفسه ، مع الاسف ، ليربط بينه وبين جميع المناقشات وكامل الوضع السياسي في المؤتمر حيث أُلقي هذا الخطاب .

اولا ، يوضع السؤال التالي : لماذا اقتصرت في مشروعي الاولي (راجع ص ٣٩٤ ، الفقرة ١١) على الـ٣/٢ ولم اطلب الرقابة المتبادلة على التعيين الداخلي بالنسبة للمركزين ؟ ان الرفيق تروتسكي ، الذي تكلم بعدي (ص ٢٧٧) قد طرح هذا السؤال فورا .

ان خطابي في مؤتمر العصبة يجيب عن هذا السؤال ، وكذلك رسالة الرفيق بافلوفيتش عن المؤتمر الثاني . فالفقرة الاولى من النظام الداخلي «قد حطمت المركب» ، وكان ينبغي ربطه «بعقدة مزدوجة» ، هكذا قلت في مؤتمر العصبة . وكان هذا يعني ، اولا ، ان مارتوف قد تكشف عن انتهازي في قضية نظرية صرفة ، وعن خطئه **حامي** ليبر واكيموف . وكان هذا يعني ، ثانيا ، ان ائتلاف المارتوفيين (اي اقلية الايسكريين الضئيلة) مع اخصام الايسكريين اعطاهم **الاغلبية في المؤتمر** ، لدن التصويت على قوام المركزين . وقد تكلمت هنا على وجه الضبط عن **قوام** المركزين ، مشيرا الى ضرورة الانسجام **ومحذرا من «الرجال صانعي الانشقاق»** . وبالفعل ، اكتسب هذا التحذير اهميـــة مبدئية ، لأن منظمة «الايسكرا» (وهـــي بلا ريب اوفر كفاءة

www.kassioun.org

وصلاحية في مسألة قوام المركزين اذ انها تعرف عن كثب جميع الشؤون العملية وجميع المرشحين) ، قد اعطت صوتها الاستشاري في هذه المسألة ، واتخذت القرار الذي نعرف بصدد الترشيحات التي استثارت مخاوفها . ومعنويا وكذلك من حيث جوهر الامور (اي من حيث صلاحية ذاك الذي يقرر) ، كان على منظمة «الايسكرا» ان تقوم بدور حاسم في هذه المسألة الدقيقة ، ولكن ، **من حيث الشكل** ، كان للرفيق مارتوف ، بلا ريب ، كامل الحق في الرجوع **ضد** اغلبية منظمة «الايسكرا» **الى** الليبريين والاكيموفيين . والواقع ان الرفيق اكيموف ، في خطابه الباهر حول الفقرة الاولى ، قال بتعابير رائعة الجلاء والذكاء ، انه ، حين يلاحظ بين الايسكريين انعدام الاتفاق حول بلوغ هدفهم المشترك ، الايسكري ، يصوت عن علم ومعرفة ، وقصدا وعمدا ، **الى جانب شر وسيلة** ، لأن اهدافه ، هو اكيموف ، تتعارض كليا مع اهداف الايسكريين . ولذا كان **لا سبيل الى الشك** في ان **شر قوام للمركزين على وجه الضبط هو** الذي سيحصل على تأييد الليبريين والاكيموفيين ، بصورة مستقلة حتى عن ارادة الرفيق مارتوف وادراكه . **ففي مستطاعهم ان يصوتوا** ، ومن واجبهم ان يصوتوا (اذا لم نحكم على اقوالهم ، بل على **افعالهم** ، على تصويتهم على الفقرة الاولى) ، ويصوتوا بالضبط في صالح اللائحة التي في مقدورها ان تؤمّل بحضور «الرجال صانعي الانشقاق» ، يصوتوا بالضبط **من اجل** «ان يحل الانشقاق» . فهل من داع للاستغراب اذا كنت ، ازاء وضع كهذا ، قد تحدثت عن مسألة مبدئية هامة (انسجام المركزين) قد يتوقف عليها كل مستقبل الحزب ؟

ان احدا من الاشتراكيين-الديموقراطيين ، كان يلم بعض الالمام بالافكار الايسكرية ، وخطط الحركة وتاريخها ، ويشاطر هذه الافكار بهذا الحد او ذاك من الاخلاص ، لم يكن في وسعه ان يشك لحظة بان تسوية الليبريين والاكيموفيين المنقاش في داخل منظمة «الايسكرا» حول قوام المركزين ، كانت صحيحة من حيث الشكل ، ولكنها كانت تؤمن **شرّ** النتائج الممكنة . فكان لا بدّ من **النضال** ضد شر النتائج الممكنة هذه .

www.kassioun.org

وهنا يوضع السؤال التالي : كيف النضال ؟ اننا لم نناضل طبعا ، لا عن طريق الهستيريا ولا عن طريق الفضائح التافهة ، بل بوسائل **شريفة تماما وشرعية تماما** : فاننا اذ شعرنا باننا اقلية (كما في الفقرة الاولى) ، **طلبنا من المؤتمر ان يصون حقوق الاقلية** . اما المزيد من الصرامة فيما يخص الصلاحية لدن قبول الاعضاء (الـ٥/٤ بدلا من الـ٣/٢) ، والاجماع فيما يخص التعيين الداخلي ، والرقابة المتبادلة حول التعيين الداخلي بالنسبة للمركزين – فاننا اخذنا ندافع عن كل ذلك **حين غدونا اقلية في مسألة قوام المركزين** . وهذا الواقع يجهله دائما زيد وعمرو ، اللذان يطيب لهما ابداء حكمهما وقرارهما على المؤتمر بكل خفة وطيش ، بعد حديثين او ثلاثة بين الاصدقاء ، دون دراسة جدية **لجميع** المحاضر وجميع «شهادات »ذوي العلاقة . وكل من يريد ان يدرس هذه المحاضر وهذه الشهادات بوجدان ، سينتهي حتما الى الواقع الذي اشرت اليه ، وهو ان **محور** النقاش كان ، **في هذه اللحظة من المؤتمر** ، في مسألة **قوام المركزين** بوجه الضبط ، واننا سعينا وراء شروط للرقابة اشد صرامة لاننا كنا ، على وجه الضبط ، اقلية ، واننا شئنا ان «نربط بعقدة مزدوجة المركب» الذي حطمه مارتوف وسط حماسة اضراب ليبر واكيموف وباشتراكهم المتحمس .

قال الرفيق بافلوفيتش عن تلك اللحظة في المؤتمر : «لو صار غير ما صار ، لبقي ان نفترض اننا ، اذ صغنا النقطة المتعلقة بالاجماع في التعيين الداخلي ، انما حرصنا على اخصامنا ، لأن الاجماع ، بالنسبة لحزب مهيمن في هذه المؤسسة او تلك ، ليس بلا جدوى وحسب ، بل حتى ضار» (ص ١٤ من «الرسالة عن المؤتمر الثاني») . ولكنه غالبا جدا ما ينسى الآن تسلسل الاحداث التاريخي ، ينسى ان الاقلية الحالية كانت الاغلبية **طوال فترة كاملة من المؤتمر** (بفضل اشتراك الليبريين والاكيموفيين) ، وان الى هذه الفترة بالذات يعود النقاش حول التعيين الداخلي في المركزين ، هذا النقاش الذي نجم عن الخلاف في منظمة «الايسكرا» حول قوام المركزين . وكل من يدرك هذا الواقع ، سيدرك ايضا حرارة مناقشاتنا ،

www.kassioun.org

ولن يأخذه العجب ايضا من هذا التناقض **الظاهر** ومفاده ان خلافات تفصيلية صغيرة تثير قضايا هامة حقا ، قضايا مبدئية .

والرفيق دويتش ، الذي اخذ الكلام في الجلسة نفسها (ص ٢٧٧) ، كان على كثير من الصواب حين قال : «لا سبيل الى الريب في ان هذا الاقتراح يعتمد على اللحظة الراهنة» . وبالفعل ، لا يمكن فهم اهمية النقاش الحقيقية الا بعد فهم **اللحظة الراهنة** بكل تعقدها . وانه لعلى جانب عظيم من الاهمية ألا يغيب عن البال ، اننا ، حين كنا **نحن** اقلية ، دافعنا عن حقوق الاقلية **باساليب** يعتبرها كل اشتراكي-ديموقراطي اوروبي مشروعة ومقبولة : اي اننا طلبنا من المؤتمر رقابة اشد صرامة على قوام المركزين . كذلك كان الرفيق ايغوروف على جانب كبير من الحق حين قال في المؤتمر ايضا ، ولكن في جلسة اخرى : «ان ما يثير في نفسي اقصى الدهشة ، هو اني اسمع من جديد ، في المناقشات ، ذكر المبادئ» . . . (هذا بصدد الانتخابات الى اللجنة المركزية ، في جلسة المؤتمر الحادية والثلاثين ، اي صباح الخميس ، ان لم اكن على خطأ ؛ بينا جرت الجلسة السادسة والعشرون التي نتحدث عنها الآن ، مساء الاثنين) . . . «كان واضحا للجميع ، على ما يبدو ، ان جميع المناقشات قد دارت ، في الايام الاخيرة ، لا حول هذا الموقف المبدئي او ذاك ، بل بوجه الحصر حول مسألة ما العمل لتمكين او لمنع هذا الشخص او ذاك من بلوغ المؤسسات المركزية . ولنعترف ان المبادئ قد ضاعت منذ زمن بعيد في هذا المؤتمر ولنسمّ الاشياء باسمائها الحقيقية . (**ضحك عام . مورافييف** : «اطلب ان يسجّل في المحضر ان الرفيق مارتوف قد ابتسم»)» (ص ٣٣٧) . ولا غرابة اذا كان الرفيق مارتوف ونحن جميعا قد ضحكنا على شكاوى الرفيق ايغوروف ، المضحكة حقا . اجل ، «**في الايام الاخيرة**» ، **دارت** اشياء كثيرة وكثيرة حول مسألة قوام المركزين . هذا صحيح . وبالفعل ، كان الامر **واضحا للجميع** في المؤتمر (**والآن** فقط تحاول الاقلية **تعمية** هذا الظرف الواضح) . وصحيح اخيرا انه من المهم تسمية الاشياء باسمائها الحقيقية . ولكن ، وحق الرب ، ما شأن «ضياع المبادئ» **هنا** ؟؟

www.kassioun.org

ألم نجتمع في هذا المؤتمر (راجع الصفحة ١٠ ، جدول اعمال المؤتمر) **لكي** نتحدث ، **في الايام الاولى** ، عن البرنامج ، والتكتيك ، والنظام الداخلي ، وتسوية هذه القضايا ، ولكي نتحدث ، **في الايام الاخيرة** (النقطتان ١٨–١٩ من جدول الاعمال) ، عن قوام المركزين ونبت في **هذه** المسائل . وحين يضحي الناس **بالايام الاخيرة** من المؤتمرات بغية الظفر بعصا قائد الاوركسترا ، فهذا امر طبيعي ومشروع تماما . (ولكنهم حين يتخاصمون **بعد المؤتمرات** بغية الظفر بعصا قائد الاوركسترا ، فليس هذا الا مماحكة حقيرة) . واذا مني احدهم في **المؤتمر** بالهزيمة في مسألة قوام الهيئات المركزية (مثل الرفيق ايغوروف) ، فانه من **المضحك بكل بساطة** التحدث **بعد ذاك** عن «ضياع المبادئ» . ولذا من المفهوم ان يكون الجميع قد ضحكوا من الرفيق ايغوروف . ومن المفهوم ايضا لماذا طلب الرفيق مورافييف ان يسجّل في المحضر اشتراك الرفيق مارتوف في هذا الضحك : **فان الرفيق مارتوف ، اذ ضحك من الرفيق ايغوروف ، انما ضحك من نفسه . . .**

واكمالا لسخرية الرفيق مورافييف ، قد لا يكون من نافل الكلام ان نورد الواقعة التالية . **بعد المؤتمر** ، زعم الرفيق مارتوف ، يمينا وشمالا ، كما هو معروف ، ان الدور الرئيسي في خلافنا يعود بالضبط الى التعيين الداخلي بالنسبة للمركزين وان «اغلبية هيئة التحرير القديمة» قد عارضت قطعا الرقابة المتبادلة على التعيين الداخلي بالنسبة للمركزين . **وقبل** المؤتمر ، وافق الرفيق مارتوف على مشروعي لانتخاب فريقين كل فريق من ثلاثة ، مع تعيين داخلي متبادل بنسبة ٢/٣ ، **وكتب لي بهذا الصدد ما يلي : «عند قبول هذا الشكل من التعيين الداخلي المتبادل** ، تجدر الاشارة الى ان تكميل قوام كل هيئة بعد المؤتمر سيجري على اسس مختلفة بعض الشيء (**وقد اوصي بما يلي** : كل هيئة تضم اليها اعضاء جددا ، وتعلن عن نواياها للهيئة الاخرى : **وفي مستطاع هذه الاخيرة ان تحتج ، وحينذاك يفصل المجلس في الخلاف** . واجتنابا للمماطلات الدواوينية ، يجب ان تجري هذه المعاملة بالنسبة **لمرشحين معيَّنين سلفا** ،

www.kassioun.org

للجنة المركزية على الاقل ، ويمكن من بينهم ضم الاعضاء بمزيد من السرعة) . واشارة الى ان التعيين الداخلي اللاحق يجري وفق اصول نص عليها النظام الداخلي للحزب ، يجب ان يضاف الى الفقرة ٢٢ * : «. .. الذي يصادق على القرارات المتخذة»» (اشارة التأكيد مني) .

هذا لا يحتاج الى تعليق .

بعد ان اوضحنا اهمية الفترة التي جرت فيها المناقشات حول التعيين الداخلي بالنسبة للمركزين ، يجب ان نتوقف بعض الشيء عند **التصويتات** المتعلقة بها ؛ ولا جدوى من التوقف عند **المناقشات** ، لأن ما اشرت اليه من خطابي الرفيق مارتوف وخطابي لم يستتبع غير ردود قصيرة من جانب عدد ضئيل من المندوبين (راجع ص ص ٢٧٧ – ٢٨٠ من المحاضر) . وبصدد التصويتات ، زعم الرفيق مارتوف في مؤتمر العصبة اني لجأت في عرضي الى «تشويه كبير جدا» (ص ٦٠ من محاضر العصبة) «عندما عرضت الصراع حول النظام الداخلي» . . . (لقد نطق الرفيق مارتوف ، صدفة ، بحقيقة كبيرة : فبعد الفقرة الاولى ، قامت مناقشات حادة **حول** النظام الداخلي بالضبط) . . . «على انه صراع «الايسكرا» ضد المارتوفيين الذين كانوا قد ائتلفوا مع البوند» .

لنر عن كثب الى هذه المسألة الطريفة المتعلقة «بالتشويه

---

* المقصود هنا مشروعي الاول ا Tagesordnung (جدول الاعمال – **الناشر** .) المؤتمر وشروحه ، وهو مشروع يعرفه جميع المندوبين . وقد كانت الفقرة ٢٢ من هذا المشروع تتحدث بالدقة عن اختيار فريقين ، كل فريق من ثلاثة ، للجريدة المركزية وللجنة المركزية ، وعن «التعيين الداخلي المتبادل» من قبل هذا الفريق من ستة باغلبية الثلثين ، وعن موافقة المؤتمر على هذا التعيين الداخلي المتبادل ، وعن التعيين الداخلي اللاحق المستقل بالنسبة للجريدة المركزية واللجنة المركزية .

www.kassioun.org

الكبير جدا» . ان الرفيق مارتوف يجمع التصويتات على تركيب المجلس مع التصويتات على التعيين الداخلي ويورد **ثمانيـــة** تصويتات : ١) الانتخاب الى المجلس بنسبة اثنين من الجريدة المركزية واثنين من اللجنة المركزية : ٢٧ (م) مع ، ١٦ (ل) ضـــد ، الاستنكافات ٧ * . (ونلاحظ بين هلالين ان عدد الاستنكافات ، كما ورد في المحاضر ، ص ٢٧٠ ، كان ثمانية ، ولكن هذا تفصيل .) – ٢) انتخاب عضو خامس للمجلس مـن قبل المؤتمر : ٢٣ (ل) مع ، ١٨ (م) ضد ، الاستنكافات ٧ . – ٣) محل الاعضاء الخارجين من المجلس ، المجلس نفسه يعين الاعضاء الجدد : ٢٣ (م) ضـــد ، ١٦ (ل) مع ، الاستنكافات ١٢ . – ٤) الاجماع في اللجنة المركزية : ٢٥ (ل) مع ، ١٩ (م) ضد ، الاستنكافات ٧ . – ٥) مطلب طعن معلل **واحد** لعدم قبول عضو من الاعضاء : ٢١ (ل) مع ، ١٩ (م) ضد ، الاستنكافات ١١ . – ٦) الاجماع في التعيين الداخلي بالنسبـــة للجريدة المركزيـــة : ٢٢ (ل) مـــع ، ٢١ (م) ضـــد ، الاستنكافـات ٧ . – ٧) قبول التصويت حول حق المجلس في فسخ قرار الجريدة المركزية واللجنة المركزية بشأن عدم قبول عضو جديد : ٢٥ (م) مع ، ١٩ (ل) ضد ، الاستنكافات ٧ . – ٨) الاقتراح نفسه بهذا الصدد : ٢٤ (م) مع ، ٢٣ (ل) ضد ، الاستنكافات ٤ . «**هنا ، بالطبع ، صوت مندوب واحد من البوند مـــع الاقتراح ، واستنكف الآخرون**» ، هكذا استنتج الرفيق مارتوف (ص ٦١ من محاضر العصبة) (اشارة التأكيد مني) .

واننا لنتساءل لماذا يعتبر الرفيق مارتوف ان من **الطبيعي** ان يكون البوندي قد صوت **له** ، **هو مارتوف** ، حين لم يكـــن ثمة تصويتات بالمناداة على الاسماء ؟

لأنه يأخذ بالحسبان **عدد المصوتين** ، وحين يشير هذا العدد الى **اشتراك** البوند في التصويت ، لا يشك الرفيق مارتوف ، من جهته ، في ان **هذا الاشتراك** كان في صالحه .

---

* الحرفان م و ل بين هلالين يبينان الى اي جانب كنت انا (ل) والى اي جانب كان مارتوف (م) .

www.kassioun.org

فهل هذا «تشويه كبير جدا» من جهتي ؟

بالاجمال ٥١ صوتا ؛ بدون اصوات البونديين ، ٤٦ ؛ بدون اصوات «رابوتشييه ديلو» ، ٤٣ . في **سبعة** تصويتات من اصل الثمانية التي ذكرها الرفيق مارتوف اعلاه ، اشترك ٤٣ ، ٤١ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٤ مندوبا ؛ في تصويت **واحد** اشترك ٤٧ مندوبا (بالاحرى ، صوتا) وهنا يعترف الرفيق مارتوف نفسه ان بونديا أيده . وهكذا يبدو ان اللوحة التي رسمها مارتوف (ورسمها بصورة غير كاملة ، كما سنرى الآن) ، **لا تفعل غير ان تؤكد وتعزز صحة عرضي عن الصراع** ! ويبدو اذن ان عدد الاستنكافات كان **كبيرا جدا** في كثرة من الحالات : وهذا ما يبين بالضبط اهتمام عموم المؤتمر اهتماما ضعيفا **نسبيا** ببعض **التفاصيل** ، وعدم وجود تكتل واضح المعالم من الايسكريين في هذه المسائل . وحين زعم مارتوف ان البونديين «يقدمون باستنكافهم مساعدة جلية للينين» (ص ٦٢ من محاضر العصبة) فان زعم مارتوف هذا **ينطق بالضبط ضد مارتوف** : اذن ، لم يكن في مستطاعي احيانا توقع النصر **الا** في حال عدم وجود البونديين او في حال استنكافهم . البونديون يدعمون الرفيق مارتوف في كل مرة **يعتبرون انه يجدر** الاشتراك في الصراع ؛ غير ان هذا التدخل **لم يحدث فقط** في الحالة المذكورة سابقا عندما اشترك ٤٧ مندوبا . فمن شاء ان يراجع محاضر المؤتمر ، يدرك ان لوحة الرفيق مارتوف **ناقصة بشكل غريب جدا** . فان الرفيق مارتوف قد **اغفل ايضا بكل بساطة ثلاث حالات بأكملها اشترك** فيها البوند في التصويت وجاء الرفيق مارتوف ، **بالطبع** ، ظافرا **في جميع هذه الحالات** . وها هي ذي الحالات المذكورة : ١) اقرار تعديل الرفيق فومين ، الذي يخفض الاغلبية الصالحة من ٤/٥ الى ٢/٣ : ٢٧ مع ، ٢١ ضد (ص ٢٧٨) . اذن ، ٤٨ صوتا اشتركت في التصويت . ٢) الموافقة على اقتراح الرفيق مارتوف ، الرامي الى الغاء التعيين الداخلي المتبادل . ٢٦ مع ، ٢٤ ضد (ص ٢٨٩) . اذن ٥٠ صوتا اشتركت في التصويت . اخيرا ، ٣) رفض اقتراحي الرامي الى عدم قبول التعيين الداخلي بالنسبة للجريدة المركزية واللجنة

www.kassioun.org

المركزية الابموافقة جميع اعضاء المجلس (ص ٢٨٠) . ٢٧ ضد ، ٢٢ مع (حتى ان التصويت جرى بالمناداة على الاسماء ، ولكنه مع الاسف غير محفوظ في المحاضر) . اذن : ٤٩ مصوّتا .

النتيجة : فيما يخص التعيين الداخلي بالنسبة للمركزين ، لم يشترك البونديون **الا في اربعة تصويتات** (التصويتات **الثلاثة** التي ذكرتها للتو ، باشتراك ٤٨ ، ٥٠ ، ٤٩ مصوّتا ، **وتصويت آخر** ذكره الرفيق مارتوف ، باشتراك ٤٧ مصوّتا) . **وفي جميع هذه التصويتات** ، جاء الرفيق مارتوف ظافرا . **وتبين ان عرضي صحيح من كل النقاط** ، حين تحدثت عن الائتلاف مع البوند ، ولاحظت طابع المسائل التفصيلي نسبيا (حالات عديدة كانت فيها الاستنكافات كثيرة) ، واشرت الى عدم وجود تكتل معين من الايسكريين (لا تصويتات بالمناداة على الاسماء ، عدد ضئيل جدا من الكلمات في المناقشات) .

ان الجهد الذي بذله الرفيق مارتوف لايجاد تناقض في عرضي ، لم يكن الا محاولة تمت بوسائل هزيلة ، لأن الرفيق مارتوف قد انتزع كلمات منفردة دون ان يحاول اعادة اللوحة بكليتها .

ان الفقرة الاخيرة من النظام الداخلي ، المخصصة للمنظمة القائمة في الخارج ، قد اثارت مرة اخرى مناقشات وتصويتات كبيرة الدلالة من حيث التكتلات في المؤتمر . فقد كان المقصود الاعتراف بالعصبة منظمة الحزب في الخارج . وبالطبع ، ثار الرفيق اكيموف على الفور ،وذكّر «بالاتحاد» في الخارج ، الذي ثبّته المؤتمر الاول ، واشار الى الاهمية المبدئية التي تتسم بها هذه المسألة . وصرّح قائلا : «اريد ان اوضح بادئ ذي بدء اني لا اعلق اهمية عملية خاصة على هذا الحل او ذاك للقضية . ولا ريب ان الصراع الفكري الذي احتدم حتى الآن في حزبنا لم ينته ؛ ولكنه سيستمر في ميادين اخرى ، ومع تكتل آخر في القوى . . . وان الميل الى تحويل مؤتمرنا من مؤتمر حزبي الى مؤتمر تكتلي قد كان له صداه ، مرة اخرى ، وبكل

www.kassioun.org

وضوح ، على الفقرة ١٣ من النظام الداخلي . وبدلا من اجبار جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيا على الانحناء امام قرارات مؤتمر الحزب باسم وحدة الحزب ، ورص جميع منظمات الحزب يقترح على المؤتمر الغاء منظمة الاقلية ، اجبار الاقلية على الزوال» (ص ٢٨١) . وهكذا يرى القارئ ان «روح الاستمرار» ، الذي اصبح عزيزا جدا على قلب الرفيق مارتوف بعد هزيمته في مسألة قوام المركزين ، لم تكن معزّته اقل على قلب الرفيق اكيموف . اما في المؤتمر ، فان اولئك الذين ليس لديهم ميقاس واحد لانفسهم وللآخرين ، قد هبوا بكل قوة ضد الرفيق اكيموف . اما في المؤتمر ، فان اولئك الذين ليس لديهم مقياس النظام الداخلي بكليته تقريبا ، يتذرعون «بالمبدأ» الذي كان يفصل العصبة «مبدئيا» عن الاتحاد . ويهتف الرفيق مارتوف : «اذا شاء الرفيق اكيموف ان يطرح المسألة على صعيد المبادئ ، فلسنا ضد ذلك ؛ خصوصا وان الرفيق اكيموف قد تحدث عن تنسيقات ممكنة في الصراع ضد التيارين . وليس من اجل توجيه تحية اجلال اخرى الى «الايسكرا» **يجب تثبيت انتصار ميل واحد** (لاحظوا ان هذا قيل في جلسة المؤتمر **السابعة والعشرين !**) ، بل من اجل **توجيه تحية الوداع الاخير الى جميع التنسيقات الممكنة التي تحدث عنها الرفيق اكيموف**» (ص ٢٨٢ . اشارة التأكيد مني) .

اللوحة : الرفيق مارتوف ، **بعد** ان انهى المؤتمر جميع المناقشات بصدد البرنامج ، يواصل ايضا **توجيه تحيات الوداع الاخير** الى جميع التنسيقات الممكنة . . . طالما لم يمن بعد بهزيمة في قضية قوام المركزين ! الرفيق مارتوف «يوجه تحية الوداع الاخير» في المؤتمر الى «التنسيق» **الممكن** الذي يحققه بكل طمأنينة **غداة المؤتمر** . ولكن الرفيق اكيموف تكشف **حتى في ذلك الحين** ابعد نظرا بكثير من الرفيق مارتوف ؛ فقد ذكر الرفيق اكيموف عمل خمس سنوات قامت به «منظمة الحزب القديمة التي تحمل ، بارادة المؤتمر الاول ، اسم لجنة» ، وانتهى بوخزة دبوس **من وحي العناية الالهية** ومن اشد الوخزات سمّا : «وفيما يخص رأي الرفيق مارتوف القائل ان آمالي باطلة في ان

www.kassioun.org

ارى ولادة تيار آخر في حزبنا ، لا بدّ لي ان اقول انه **هو نفسه يبعث في نفسي هذا الأمل**» (ص ٢٨٣ . اشارة التأكيد مني) .

وبالفعل ، لا بد من الاعتراف بان الرفيق مارتوف قد حقق بروعة آمال الرفيق اكيموف !

فقد سار الرفيق مارتوف وراء الرفيق اكيموف ، اذ اقتنع بصواب رأي الرفيق اكيموف بعد ان قطع «استمرار» هيئة الحزب القديمة التي كانت تعتبر على انها تعمل منذ ثلاثة اعوام . وهكذا فان انتصار الرفيق اكيموف لم يكلفه غاليا .

ومع ذلك ، لم يقف في المؤتمر الى جانب الرفيق اكيموف الا الرفيقان مارتينوف وبروكر والبونديون (ثمانية اصوات) ، وقد وقفوا بروح منطقي منسجم بينا الرفيق ايغوروف ، اشبه بزعيم حقيقي «للوسط» ، يقف في وسط رائع : فهو ، كما ترون ، متفق مع الايسكريين ، و«يعطف» عليهم (ص ٢٨٢) **ويثبت** هذا العطف **باقتراحه** (ص ٢٨٣) التهرب تماما من المسألة المبدئية المطروحة ، **ولزوم الصمت** سواء عن العصبة ام عن الاتحاد . ويرفض الاقتراح بـ٢٧ صوتا ضد ١٥ . وواضح ان كل «الوسط» تقريبا (١٠) ، علاوة على اخصام الايسكريين (٨) ، يصوّت الى جانب الرفيق ايغوروف (بالاجمال ٤٢ مصوتا بحيث ان عددا كبيرا قد استنكف او كان **غائبا** ، كما كان الحال غالبا لدن التصويتات غير الطريفة ، والتي **لا مراء** في نتيجتها) . **وما ان يكون المقصود** تطبيق **المبادئ الايسكرية فعلا** ، حتى يتبين فورا ان «عطف» «الوسط» **شفوي** محض ، وانه لا يتبعنا اكثر من ثلاثين صوتا او ثلاثين صوتا ونيفا . وهذا ما يثبته بمزيد من الوضوح النقاش والتصويت بشأن اقتراح روسوف (اعتبار العصبة المنظمة **الوحيدة** القائمة في الخارج) . فهذه المرة ، يقف اخصام الايسكريين و«المستنقع» مباشرة موقفا **مبدئيا** يدافع عنه الرفيقان ليبر وايغوروف اللذان يعلنان ان اقتراح الرفيق روسوف غير مقبول للتصويت ، وغير مشروع : «فهو يقتل جميع المنظمات الاخرى في الخارج» (ايغوروف) . والخطيب الذي لا يريد الاشتراك في «قتل المنظمات» لا يكتفي بالامتناع عن التصويت ، بل يغادر القاعة ايضا . ومع ذلك يجب الاقرار بمزايا

www.kassioun.org

زعيم «الوسط» : فقد برهن (في مبادئه الخاطئـة) على اقتناع وشجاعة سياسية أثبت عشر مرات مما لدى الرفيق مارتوف وشركاه ؛ وقد تشفع للمنظمة «التي يقتلونها» **ليس فقط حين كان المقصود الدفاع عن حلفته الخاصة التي** كانت منيت بهزيمة في صراع سافر .

و بـ٢٧ صوتا ضد ١٥ ، اعتبر اقتراح الرفيق روسوف مقبولا للتصويت عليه ؛ ثم أقر بـ٢٥ صوتا ضـد ١٧ . واذا اضفنا الرفيق ايغوروف الغائب الى هؤلاء الـ١٧ ، حصلنـا **على مجموعة كاملة (١٨) من اخصام الايسكريين ومن «الوسط»** .

ويتم اقرار كامل الفقرة ١٣ من النظام الداخلي المتعلقـة بالمنظمة القائمة في الخارج بـ **٣١ صوتا** فقط ضد ١٢ ، وستـة استنكافات . ان هذا الرقم ، ٣١ ، الذي يبين لنا تقريبا عدد الايسكريين في المؤتمر ،اي عدد اولئك الذين يدافعون بانسجام عن مفاهيم «الايسكرا» ويطبقونها **فعلا** ، انما نجده **للمرة السادسة** على الاقل عند تحليل تصويتات المؤتمر (مكان مسألة البوند ، حادثة اللجنة التنظيمية ، حل فرقة «يوجني رابوتشي» ، تصويتان على البرنامج الزراعي) . والحال ، يريد الرفيق مارتوف جديا ان يحملنا على الاعتقاد بانه ليس ثمة اي سبب يدعو الى ابراز فرقة من الايسكريين بمثل هذا «الضيق» !

ولا بد من الاشارة ايضا الى ان اقرار الفقرة ١٣ من النظام الداخلي قد استثار مناقشات بليغة الدلالة بصدد تصريح الرفيقين اكيموف ومارتينوف حول «الامتناع عن الاشتراك في التصويت» (ص ٢٨٨) . وقد بحث مكتب المؤتمر هذا التصريح وقرر – بكل عدل وصواب – ان حتى حل الاتحاد حلا حقيقيا ليس مـن شأنه اطلاقا ان يخوّل مندوبيه حق الامتناع عن الاشتراك في اعمال المؤتمر . ان الامتناع عن التصويت هو ، بلا ريب ، امر غير عادي وغير مقبول على الاطلاق ، – هذه هي وجهـة النظر التي تبناها المؤتمر كله مع المكتب ، بما فيه ايسكريو الاقلية الذين **شجبوا بقوة** ، في الجلسة الثامنة والعشرين ، **مـا فعلوه هم انفسهم في الجلسة الواحدة والثلاثين** ! وحين راح الرفيـق مارتينوف يدافـع عن تصريحـه (ص ٢٩١) ، راح

www.kassioun.org

بافلوفيتش وتروتسكي وكارسكي ومارتوف يهبون ضده . وقد ادرك الرفيق مارتوف بجلاء خاص الواجبات المترتبة على الاقلية المستاءة (طالما انه نفسه لم يكن بحالة اقلية !) ، فشرع يخطب بصددها بلهجة واعظة جدا . وصاح مخاطبا الرفيقين اكيموف ومارتينوف : «اما انكما عضوان في المؤتمر ، وفي هذه الحال ، **يجب** عليكما الاشتراك في **جميع** اعماله (اشارة التأكيد مني ؛ في تلك اللحظة ، لم يكن الرفيق مارتوف ليلحظ في خضوع الاقلية للاغلبية اي دواوينية واي اغراق في الشكليات !) ، «واما لستما عضوين ، وفي هذه الحال ، لا يمكن لكما البقاء في الجلسة . . . ان مندوبي الاتحاد يجبرانني ، بتصريحهما ، على طرح سؤالين : هل هما عضوان في الحزب وعضوان في المؤتمر ؟» (ص ٢٩٢) .

ان الرفيق مارتوف يعلّم الرفيق اكيموف الواجبات المترتبة على اعضاء الحزب ! ولكن الرفيق اكيموف لم يقل عبثا انه يعلق بعض الآمال على الرفيق مارتوف . . . بيد ان هذه الآمال كتب لها ألا تتحقق الا **بعد** هزيمة مارتوف في الانتخابات . ان الرفيق مارتوف ، حين لم يكن الامر يتعلق به بل بالآخرين ، كان يصم اذنيه حتى عن التعبير الرهيب «القانون الاستثنائي» **الذي اطلقه للمرة الاولى** (ان لم اكن على خطأ) **الرفيق مارتينوف** . ويجيب الرفيق مارتينوف اولئك الذين حاولوا اقناعه بسحب تصريحه ، قائلا : «ان الشروح التي أعطيناها لم توضح مسألة ما اذا كان في الامر قرار مبدئي ام **تدبير استثنائي** ضد الاتحاد . وفي هذه الحال ، نعتبر ان هناك اهانة للاتحاد وقد شعر الرفيق ايغوروف ، مثلنا ايضا ، ان في الامر **قانونا استثنائيا** (اشارة التأكيد مني) ضد الاتحاد ، ولهذا ذهب الى حد الانسحاب من قاعة الجلسات» (ص ٢٩٥) . وبحزم ، يهب الرفيق مارتوف وكذلك الرفيق تروتسكي ، مع بليخانوف ، ضد الفكرة السخيفة ، **السخيفة فعلا** ، القائلة ان في تصويت المؤتمر **اهانة** ؛ ويدافع الرفيق تروتسكي عن القرار (القائل بان في وسع الرفيقين اكيموف ومارتينوف اعتبار نفسيهما مرتاحين كليا) الذي اتخذه المؤتمر بناء على اقتراحه ، ويؤكد ان «القرار يرتدي طابعا مبدئيا ، لا

www.kassioun.org

طابعا تافها ضيق الافق ، وانه **قلّما يهمنا ان نعرف ما اذا كان احدهم قد استاء منه**» (ص ٢٩٦) . ولكنه سرعان ما تبين ان الروح الحلقي والتفاهة وضيق الافق كانت لا تزال قوية جدا في حزبنا ، وان الكلمات الابيّة التي اشير اليها باشارة التأكيد تكشفت عن جملة طنانة جوفاء .

ورفض الرفيقان اكيموف ومارتينوف سحب تصريحهما وغادرا المؤتمر ، والمندوبون يهتفون بالاجماع : «انتما على خطأ تام !» .

م – الانتخابات . اختتام المؤتمر

بعد اقرار النظام الداخلي ، وافق المؤتمر على قرار حول المنظمات المنطقية وعدة قرارات بشأن مختلف منظمات الحزب ؛ وبعد مناقشات في اقصى الدلالة حللتها اعلاه وتناولت فرقة «يوجني رابوتشي» ، انتقل المؤتمر الى الانتخابات لهيئتي الحزب المركزيتين .

ونحن نعرف ان منظمة «الايسكرا» التي كان المؤتمر كله يتوقع منها توصية صالحة معللة ، قد انقسمت حول هذه النقطة ، اذ ارادت **اقلية** المنظمة ان تحاول الظفر **بالاغلبية** في المؤتمر ، عبر صراع حر وسافر . ونحن نعرف ايضا ان جميع المندوبين قد اطلعوا قبل المؤتمر بزمن طويل وخلال المؤتمر ، على خطة **تجديد** هيئة التحرير بانتخاب فريقين ، كل فريق من ثلاثة ، للجريدة المركزية وللجنة المركزية . لنتناول هذه الخطة بمزيد من التفصيل لايضاح المناقشات في المؤتمر .

فيما يلي النص الحرفي لتعليقي على مشروع Tagesordnung (جدول اعمال . **الناشر** .) المؤتمر ، حيث عرضت هذه الخطة * : «ينتخب المؤتمر ثلاثة اشخاص لهيئة تحرير الجريدة المركزية وثلاثة آخرين للجنة المركزية . وهؤلاء الاشخاص الستة **معا** ،

---

* راجع «رسالة الى هيئة تحرير «الاسكرا»» (وهي من وضعي) ، ص ٥ ، ومحاضر العصبة ، ص ٥٣ .

www.kassioun.org

يكمّلون ، عند الاقتضاء ، باغلبية الـ ٢/٣ ، تركيب هيئة تحرير الجريدة المركزية واللجنة المركزية ، عن طريـــق التعيين الداخلي ، ويقدمون تقريرا مناسبا للمؤتمر . وبعد موافقـــة المؤتمر على هذا التقرير ، يجري التعيين الداخلي اللاحق بالنسبة لكل من الجريدة المركزية واللجنة المركزية على حدة» .

من هذا النص ، تبدو الخطة كاملة الدقة ، لا لبس فيهـا ولا ابهام : وقوامها **تجديد** هيئة التحرير **باشتراك** اكثر قادة النشاط العملي تأثيرا . والسمتان اللتان اشرت اليهما في هذه الخطة تظهران من الوهلة الاولى لكل من يبذل جهده ويقرأ ببعض الانتباه النص المذكور اعلاه . ولكنه لا بد في ايامنا هذه مـن شرح حتى الفباء الامور . ان الخطة تقوم بالضبط في **تجديد** هيئة التحرير ، فليس المقصود توسيع تركيبها بصورة الزامية ولا تخفيضه بصورة الزامية ، بل المقصود بالضبط تجديده ، لأن مسألة احتمال التوسيع او التخفيض قد بقيت **معلقة** ؛ ان التعيين الداخلي ليس منصوصـــا عنـــه الا **عند الاقتضاء** . وفي عداد الفرضيات التي تقدم بها مختلف الاشخاص حول مسألـة هذا التجديد ، كان ثمة ايضا مشاريع تنص على امكان تخفيض او توسيع تركيب هيئة التحرير حتى سبعة اعضاء (اما انا فقـــد اعتبرت دائما فريقا سباعيا افيد بما لا حد له من فريق سداسي) وحتى على زيادة هذا العدد الى احد عشر (وقد اعتبرت هذا ممكنا في حال اتحاد سلمي مع جميع المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية بوجه عام ، ومع البوتد والاشتراكية-الديموقراطية البولونية بوجه خاص) . ولكن الامر الاساسي الذي يغيب عادة عن بال اولئك الذين يتحدثون عن «فريق من ثلاثة» ، هو **مطلب اشتراك اعضاء اللجنة المركزية في حل مسألة التعيين الداخلي اللاحق بالنسبة للجريدة المركزية** . ان رفيقا واحدا من كل مجموع اعضـــاء المنظمة ومندوبي «الاقلية» ، ممن كانوا يعرفون هذه الخطـــة ويوافقون عليها (اما بالاعراب خصيصا عن موافقتهم واما بلزوم الصمت) ، لم يحاول ايضاح معنى هذا المطلب . اولا ، لماذا على وجه الضبط اتخذ فريق من ثلاثة ومن ثلاثة فقط نقطـــة انطلاق لتجديد هيئة التحرير ؟ لو كان المقصود **بوجه الحصر** ،

www.kassioun.org

او على الاقل ، بصورة رئيسية ، **توسيع** الهيئة ، ولو ان هذه الهيئة اعتبرت «متجانسة» حقا ، لكان ذلك ، بلا ريب ، امراً **اخرق اطلاقا** . ولكان من الغريب ان **يتخذ نقطة انطلاق** لتوسيع هيئة «متجانسة» ، لا مجمل هذه الهيئة ، بل **احد اقسامها** فقط . وبديهي ان **ليس جميع** اعضاء الهيئة كانوا يُعتبرون صالحين تماما لمناقشة **وحل** قضية تجديد قوامها ، قضية تحويل الحلقة التحريرية القديمة الى **هيئة من هيئات الحزب** . وبديهي ان حتى ذاك الذي كان يرغب من جهته في التجديد بمعنى التوسيع ، كان هو نفسه يعتبر القوام السابق غير متجانس ولا يتفق مع نموذج الهيئة الحزبية ، والا لكان من غير المفيد ، لو أريد توسيع فريق الستة ، تخفيضه ، **بادئ بدء** الى **ثلاثة** . اكرر : هذا امر بديهي ، وان توسيخا موقتا للمسألة بـ«الشخصيات» هو وحده الذي امكن له ان ينسّي هذا .

ثانيا ، ينجم من النص المذكور آنفا ان حتى **اتفاق اعضاء الجريدة المركزية الثلاثة جميعهم** ما كان كفى ايضا لتوسيع فريق الثلاثة . وهذا ايضا ما يغيب عن البال دائما . فلتأمين التعيين الداخلي ، يجب ٢/٣ **الستة** ، اي **اربعة** اصوات ؛ اذن كان يكفي ان يستعمل اعضاء اللجنة المركزية الثلاثة المنتخبون حق الـ «veto» **حتى يستحيل كل توسيع لفريق الثلاثة** . وبالعكس ، حتى لو كان عضوان من اعضاء هيئة تحرير الجريدة المركزية الثلاثة ضد التعيين الداخلي اللاحق ، لأمكن مع ذلك ان يتحقق هذا التعيين ، اذا ما اعرب جميع اعضاء اللجنة المركزية الثلاثة عن موافقتهم . لا ريب انه كان ثمة نيّة ، لدن تحويل الحلقة القديمة الى هيئة حزبية ، منح قادة النشاط العملي ، الذين ينتخبهم المؤتمر ، الصوت **الفاصل** . اما من هم ، على وجه التقريب ، الرفاق الذين كنا نفكر بتقديمهم ، فهذا ما يبينه واقع ان هيئة التحرير كانت ، عشية المؤتمر ، قد اختارت بالاجماع الرفيق بافلوفيتش عضوا سابعا ، تحسبا لحالة اذا ما اقتضت الضرورة التكلم في المؤتمر باسم الهيئة ؛ وعلاوة على الرفيق بافلوفيتش ، اقترح مكان العضو السابع ، عضو قديم من

www.kassioun.org

منظمة «الايسكرا» وعضو من اللجنة التنظيمية ، **انتخب فيما بعد عضوا للجنة المركزية** .

وهكذا ، فان خطة انتخاب فريقين كل فريق من ثلاثة كانت ترمي ، بكل وضوح ، الى : ١) تجديد هيئة التحرير ؛ ٢) القضاء في داخلها على بعض سمات الروح الحلقي القديم ، غير المناسب في هيئة حزبية (لو لم يكن ثمة ما يستدعي القضاء عليه ، فلماذا اقترح الفريق الاول من ثلاثة !) ؛ اخيرا ، ٣) القضاء على السمات «التيوقراطية» في الهيئة الادبيـــة (وذلك باجتذاب ذوي الخبرة الافذاذ الى **تسوية** مسألة توسيع فريق الثلاثة) . ان هذه الخطة ، التي أطلع عليها جميع المحررين ، كانت ترتكز ، بلا ريب ، على **خبرة ثلاثة اعوام** في العمل وتستجيب **تماما** للمبادئ التي طبقناها نحن بانسجام ودأب في حقل التنظيم الثوري : في عهد **التشتت** الذي ظهرت فيه «الايسكرا» ، كانت غالبا ما تتشكل الفرق بصورة عفوية وعرضية ، – فكانت تشوبها حتمـا بعض ظاهرات الروح الحلقي الضارة . وكان انشاء الحزب يفترض ويتطلب القضاء على هذه السمات ؛ وكان اشتراك ذوي الخبرة الافذاذ في هذا القضاء **ضروريا** ، لأن بعضا من اعضاء هيئة التحرير قد اهتموا **دائما** بالمسائل التنظيمية ولم يكن المقصود ان تدخل في منظومة هيئات الحزب هيئة ادبية وحسب ، بل ايضا هيئة من القادة السياسيين . كذلك كان تكليف المؤتمـر بانتخاب الفريق الثلاثي الاول طبيعيا ايضا من وجهة نظر السياسة التي انتهجتها «الايسكرا» على الدوام : فقد حضّرنا المؤتمر باقصى **الاحتراس** ، بانتظار ان تتضح **كليا** القضايا المبدئية المختلف عليها بشأن البرنامج والتكتيك والتنظيم ؛ ونحن **لم نشك** في ان يكون المؤتمر **ايسكريا** بمعنى تضامن الاغلبية الساحقة في هذه القضايا الاساسية (وهذا ما كانت تشهد عليه جزئيا القرارات باعتبار «الايسكرا» هيئة قيادية) ؛ **فكان من واجبنا** اذن ان نترك للرفاق الذين حملوا على كواهلهم جميع اعباء العمل في نشر افكار «الايسكرا» واعداد تحويلها الى حزب ، امر البت **بانفسهم** في قضية اصلح المرشحين للهيئة الحزبية الجديدة . **وفقط** بالسمة الطبيعية التي كانت تتسم بها خطة «الفريقين كل

www.kassioun.org

فريق من ثلاثة» ، **فقط بتوافقها التام** مع كل سياسة «الايسكرا» ومع كل ما كان يعرفه عن «الايسكرا» الناس القريبون من الامر الى حد ما ، **يمكن تفسير** التحبيذ العام الذي لاقته هذه الخطة ، وعدم وجود اي خطة اخرى منافسة .

واذا الرفيق روسوف يقترح في المؤتمر بان يُختار قبل كل شيء **فريقان ، كل فريق من ثلاثة** . غير ان انصار مارتوف الذي **كان قد ابلغنا خطيا عن علاقة هذه الخطة مع الاتهام الباطل بالانتهازية ، لم يفكروا** ، مع ذلك ، في حصر النقاش حول فريق الستة وفريق الثلاثة في مسألة ما اذا كانت هذه التهمة صحيحة ام لا . **حتى ان احدا منهم لم ينبس ببنت شفة حول هذا الامر ! ان احدا منهم لم يجرؤ على قول كلمة واحدة** حول الفرق المبدئي بين التلاوين المرتبطة بفريق الستة وفريق الثلاثة . وقد فضلوا وسيلة اكثر رواجا واقل كلفة : استدرار **الشفقة** ، التذرع **باساءة محتملة** ، التظاهر بان **قضية هيئة التحرير قد حلّت** بتعيين «الايسكرا» الجريدة المركزية . ان هذه الحجة الاخيرة التي ساقها الرفيق كولتسوف ضد الرفيق روسوف ، **هي كذب سافر** . ففي جدول اعمال المؤتمر وردت – لا عرضا ، بالطبع – نقطتان خاصتان (راجع ص ١٠ من المحاضر) : النقطة ٤ – «جريدة الحزب المركزية» والنقطة ١٨ – «انتخاب اللجنة المركزية وهيئة تحرير الجريدة المركزية» . هذا اولا . ثانيا ، عند تعيين الجريدة المركزية ، صرّح **جميع** المندوبين بصورة قاطعة ان هذا **لا يعني** تثبيت هيئة التحرير ، بل تثبيت الاتجاه فقط * ، ولم يقم **اي احتجاج** على هذه التصريحات .

---

* راجع ص ١٤٠ من المحاضر ، خطاب **اكيموف** : . . . «يقال لي اننا فيما يخص الانتخابات الى الجريدة المركزية ، سنتحدث عنها في الاخير» ؛ خطاب **مورافييف** ضد اكيموف ، «الذي تعز عليه كثيرا مسالة هيئة التحرير المقبلة للجريدة المركزية» (ص ١٤١) ؛ خطاب **بافلوفيتش** الذي يقول اننا ، بتعيين الجريدة ، حصلنا على «مواد ملموسة ، يمكننا فيها اجراء العمليات التي يهتم بها الرفيق اكيموف فائق الاهتمام» ، وانه لا يمكن ان يكون ثمة اي ظل لشك فيما يخص «خضوع» «الايسكرا» «لقرارات الحزب» (ص ١٤٢) ؛ خطاب **تروتسكي** : «ما دمنا لا نثبت هيئة التحرير ، فما عسانا ان

www.kassioun.org

وهكذا فان التصريح الزاعم ان المؤتمر ، اذ يثبّت جريدة معينة ، انما يثبّت بالتالي هيئـــة التحرير بالذات ، – هذا التصريح الذي كرره مرارا عديدة انصار الاقلية (كولتسوف ، ص ٣٢١ ، بوسادوفسكي ، الصفحة نفسها ، بوبوف ، ص ٣٢٢ وكثيرون غيرهم) ، كان **بكل بساطة ، تصريحا خاطئا مـن حيث الوقائع** . وكانت تلك **مناورة** واضحة للجميع ، تستـــر **التخلي** عن الموقف المتخذ في حين كان لا يزال بمستطاع **الجميع** ان ينظروا الى قضيـــة قوام المركزين نظرة **غير متحيزة حقا** . ولم يكن من الممكن تبرير التخلي لا بدوافع مبدئية (لأن اثارة مسألة «الاتهام الباطل بالانتهازية» **في المؤتمر** كان يمكن لها ان تكون جسيمة **الضرر** بالنسبة للاقلية ، **ولذا لم يشر اليها باي كلمة**) ، ولا بالرجوع الى وقائع **ملموسة** لها علاقة بحقيقة اهلية فريق الستة او فريق الثلاثة للعمـــل (لأن مجرد التذكير بهذه المعطيات كان من شأنه ان يقدم اكواما من المعلومات ضد الاقليـــة) . ولذا كان لا بدّ من التخلص **بجملة** حول «كل متراصّ» ، حول «جماعة منسجمة» ، حول «كل منسجم ومتراص كالبلور» ، الخ . . فلا غرابة اذا كانت مثل هذه الذرائع قد أسميت على الفور باسمها الحقيقي : «**اقوال يرثى لها**» (ص ٢٢٨) . ان خطة فريق الثلاثة نفسها كانت تشهد بكل جلاء على نقصان «الانسجام» ، ولا ريب ان انطباعات المندوبين خلال الاعمال المشتركة التي استمرت اكثر من شهر ، قد قدمت للمندوبين كثرة من المواد اتاحت لهم الحكم على الامور **بكل استقلال** . وحين المح الرفيق بوسادوفسكي (بدون احتراس ولا تفكير حسب وجهة نظره : راجع ص ٣٢١ و٣٢٥ حول استعماله

نثبت في «الايسكرا» ؟ . . ليس الاسم ، بل الاتجـــاه . . . ليس الاسم ، بل الراية» (ص ١٤٢) ؛ خطاب **مارتينوف** : . . . «اعتبر ، شأني شان الكثيرين غيري من الرفاق ، اننا اذ نبحث امـــر الاعتراف «بالايسكرا» بوصفها جريدة ذات اتجاه معين ، جريدتنا المركزيـــة ؛ لا يترتب علينا التطرق الآن الى اسلوب انتخاب هيئة تحريرها او الى اسلوب تثبيت هيئة تحريرها ؛ فسنتحدث عن ذلك فيما بعد ، في مكان ملائم من جدول الاعمال» . . . (ص ١٤٣) .

www.kassioun.org

«الاصطلاحي» لكلمة «الخشونات») الى هذه المواد ، صرح الرفيق مورافييف بكل وضوح : «برأيي ، يبدو جليا جدا في الوقت الحاضر ، بالنسبة لاغلبية المؤتمر ، ان وجود مثـــل هذه * الخشونات لا مراء فيه»(ص ٣٢١) . وقد شاءت الاقلية ان تفهم كلمة «خشونات» (التي اطلقها بوسادوفسكي ، لا مورافييف) بمعنى شيء شخصي على وجه الحصر ، دون ان تجسر على مجابهة تحدي الرفيق مورافييف ، دون ان تجسر على تقديم **أي** حجـة **من حيث الاساس** ، دفاعا عن فريق الستة . وقد قام جدال مضحك للغاية لعقمه : الاغلبية (بلسان الرفيق مورافييف) تعلن انها **ترى بجلاء تام** الدور الحقيقي العائد لفريق الستة وفريق الثلاثة ، بينما تصرّ الاقلية على عدم الاستماع الى هذا وتزعم انه «**لا تتوافر لنا امكانية** القيام بهذا البحث» . الاغلبية لا تعتبر ان في الامكان القيام بهذا البحث وحسب ، بل «تقوم به» فعلا ، وتتحدث عن نتائج هذا البحث **الواضحة تماما** بالنسبة لها ، بينما الاقلية ، على ما يبدو ، **تخشى البحث** ، محتمية وراء «اقوال يرثى لها» فقط . الاغلبية توصي«بان يؤخذ بالحسبان ان جريدتنا المركزية ليست فرقة ادبية وحسب» ؛ الاغلبية «تريد ان يكون على رأس الجريدة المركزية **اناس محددون تماما** ، **معروفون من المؤتمر ، ويستجيبون للمتطلبات** التي تحدثت عنها» (أي لا للمتطلبات الادبية وحسب ، ص ٣٢٧ ، خطاب الرفيق لانغه) . الاقلية لا تجرؤ هي ايضا على مجابهة التحدي ولا تقول البتة من ذا الذي ، برأيها ، يستطيع ان يكون عضوا لا في الهيئة الادبية وحسب ، ولا من ذا الذي هو شخصيـــة «محددة تماما ومعروفة من المؤتمر» . الاقلية تحتمي كما في

---

* اما الى أي «خشونات» بالضبط ألمح الرفيق بوسادوفسكي ، فهذا ما لم نعرفه في المؤتمر . ولكن الرفيق مورافييف انكر في الجلسة نفسها (ص ٣٢٢) ان تكون فكرته قد عرضت بامانة ، وعند الموافقة على المحاضر ، صرح بجلاء انه «تحدث عن الخشونات التي ظهرت في مناقشات المؤتمر حول مختلف النقاط ، وهي خشونات ترتدي طابعا مبدئيا ، ويشكل وجودها في الوقت الحاضر ، مع الاسف ، واقعا لن يرتأي احد انكاره» (ص ٣٥٣) .

www.kassioun.org

السابق وراء «الانسجام» المزعوم . وعلاوة على ذلك ، تأتي الاقلية حتى بحجج خاطئة اطلاقا من حيث المبدأ ، وتستتبع بالتالي ، بكل حق ، الرد العنيف . «ان المؤتمـــــر ، – من فضلكم ، – لا يملك الحق ، لا المعنوي ولا السياسي ، في تعديل هيئة التحرير» (تروتسكي ، ص ٣٢٦) ، «هذه مسألة شائكة جدا» (كذا !) (المرجع نفسه) ، «**اي موقف يجب ان يقفه اعضاء هيئة التحرير غير المنتخبين من ان المؤتمر لم يعد يريد ان يراهم اعضاء في هيئة التحرير ؟**» (تساريف ، ص ٣٢٤) * .

ان حججا كهذه كانت تنقل المسألة الى ميدان **الشفقة والاستياء** ، بوصفها اعترافا مباشرا بالافلاس في مضمار الحجج المبدئية حقا ، السياسية حقا . وسرعان ما عرّفت الاغلبية هذه الطريقة في طرح المسألة باسمها **الحقيقي : التفاهة وضيق الافق** (الرفيق روسوف) . وقد قال الرفيق روسوف بصواب : «نسمع من افواه الثوريين خطبا غريبة تختلف اختلافا بيّنا مع فكرة عمل الحزب ، مع فكرة اخلاق الحزب . ان الحجة الرئيسية التي يتقدم بها اخصام اختيار الفريقين الثلاثيين ، تنحصر في **وجهة نظر تافهة ضيقة الافق تماما حول شؤون الحزب**» (كل اشارات التأكيد مني) . . . «واذا اخذنا بوجهة النظر هذه التي ليست وجهة نظر حزبية ، بل وجهة نظر تافهة **ضيقة الافق** ، لوجدنا انفسنا عند كل انتخاب امام مسألة ما اذا كان عمرو لن يستاء متى ما رأى ان زيدا قد انتخب لا هو ، ما اذا كان هذا العضو او ذاك من اعضاء اللجنة التنظيمية لن يستاء متى ما رأى ان غيره ، لا هو ، قد انتخب الى اللجنة المركزية . فالى اين سيقودنا هذا اذن ايها الرفاق ؟ اذا كنا اجتمعنا هنا ، لا **لنتبادل الخطب الناعمة ، او اللطافات المبتذلة** ، بل لننشئ حزبا ، فاننا لا نستطيع في اي حال من الاحوال ان نقبل وجهة النظر هذه . علينا ان **نختار**

---

* راجع خطاب الرفيق بوسادوفسكي : . . . «انكم اذ تختارون ثلاثة اشخاص من الستة في هيئة التحرير القديمة ، تقررون بالتالي ان الثلاثة الآخرين لا فائدة منهم ، انهم زائدون . ولكنكم لا تملكون لذلك لا الحق ، ولا اي اساس» .

www.kassioun.org

موظفين ، ولا يمكن ان يكون الموضوع هنا انعدام الثقة بهذا الشخص غير المنتخب او ذاك ؛ **فالمسألة ان نعرف فقط ما اذا كان هذا مفيدا للقضية وما اذا كان الشخص المختار أهـــلا للمنصب الذي يُختار له**» (ص ٣٢٥) .

وقد نوصي جميع اولئك الذين يريدون ان يستوضحوا بانفسهم الاسباب التي ادت الى انشقاق الحزب ، وان يستجلوا **اصوله** في المؤتمر **بان يقرأوا ويعيدوا قراءة** خطاب الرفيـــق روسوف الذي لم تدحض الاقلية حججه ، وحتى لم تنكرهـا . ناهيك بانه يستحيل انكار حقائق اولية ، حقائق بديهية ، فسّر الرفيق روسوف نفسه نسيانها تفسيرا صائبا اذ عزاه الى «**التهيج العصبي**» فقط . وهذا التفسير هو فعلا بالنسبة للاقلية التفسير الاقل ازعاجا للمسألة التالية : كيف استطاعت هذه الاقلية ان تتخلى عن وجهة نظر الحزب وتتبنى وجهة نظر التفاهة وضيق الافق والروح الحلقي * .

ولكنه قلما كان في مستطاع الاقلية ان تجد حججا معقولة وجدية ضد الانتخابات ، بحيث انها ، علاوة على ادخال عناصر

---

* لقد وقف الرفيق مارتوف ، في مؤلفه «حالة الحصار» ، من هذه المسألة كما وقف من جميع المسائل الاخرى التي عالجها . فهو لم يكلف نفسه عناء رسم لوحة كاملة عن النقاش . بل تهرب ، بطرف خفي ، من المسألة الوحيدة **المبدئية** حقا ، التي طافت على سطح هذا النقاش : اللطافات المبتذلة ام اختيار الموظفين ؟ وجهة نظر الحزب ام استياء زيد ؟ وهذه المرة ايضا ، اكتفى الرفيق مارتوف بانتزاع مقاطع منفردة وغير مترابطة من هذا الحادث ، واضاف اليها شتائم شتى وجهها الي . هذا قليل جدا ، ايها الرفيق مارتوف !

ان الرفيق مارتوف يتمسك **بي انا** ؛ ويسألني على الاخص **لماذا** لم ينتخب الرفاق اكسلرود وزاسوليتش وستاروفر في المؤتمر ؟ ان وجهة النظر المبتذلة التي يتبناها تمنعه من رؤية **قلة ادب** هذا السؤال (لماذا لا يطرحه على زميله في هيئة التحرير ، الرفيق بليخانوف ؟) . انه يرى تناقضا في ان اعتبر سلوك الاقلية في المؤتمر في مسألة الستة «خالية مـــن اللياقة» وان ألح في الوقت نفسه على ان يغدو الامر معروفا في الحزب . ليس هنا اي تناقض ؛ كما يمكن ان يرى ذلك مارتوف نفسه بكل يسر ، اذا كلف نفسه عناء تقديـــم عرض متصل **لجميع** اطوار

www.kassioun.org

من التفاهة وضيق الافق في شؤون الحزب ، بلغت حد اللجوء الى **اساليب** تتسم بكل بساطة بطابع **فاضح** . وبالفعـــل ، كيف لا نطلق هذا النعت على اسلوب الرفيق بوبوف ، الذي اوصى الرفيق مورافييف «بان لا يأخذ على عاتقه **مهمات** دقيقة» (ص ٣٢٢) ؟ فما معنى هذا اذن ان لم يكن يعني الرغبة في «الدخول في روح الغير» ، حسب التعبير الصحيح الذي اطلقه الرفيق سوروكين (ص ٣٢٨) ؟ وما معنى هذا اذن ان لم يكن يعني الرغبـة في استغلال «**الشخصية**» نظراً لانعدام الحجج **السياسية** ؟ أقال الرفيق سوروكين الحقيقة ام لا ، حين قال «اننا احتججنا دائما على مثل هذه الاساليب» ؟ «**هل سلوك الرفيق دوبتش مقبول** ، وهو الذي

المسألة ، لا لاقسام منها . ولقد كان من قلة اللياقة طرح المسألة من وجهة نظر مبتذلة ، مع استدرار الشفقة والتذرع بالاساءة ؛ ان مصلحة ابلاغ الحزب تتطلب تقديرا ، **من حيث الاساس** ، للمزايا التي يتفوق بها فريق الستة على فريق الثلاثة ، وتقدير المرشحين الى منصب ما ؛ وتقدير التلاوين : **والحال ان الاقلية لم تنبس حتى ببنت شفة في المؤتمر حول كل هذا** .

ولو ان الرفيق مارتوف تمعن في دراسة المحاضر ، لاستطاع ان يتبين في خطابات المندوبين **مجموعة كاملة** من الحجج ضد الستة . وفيما يلي خلاصات من هذه الخطابات : اولا ، فريق الستة القديم تبرز منـــه بوضوح بعض الخشونات من حيث التلاوين المبدئية ؛ ثانيا ، من المرغوب فيه اجراء تبسيط تكنيكي في عمل هيئة التحرير ؛ ثالثا ، ان مصالـــح القضية تعلو على اللطافات المبتذلة ؛ ان الانتخاب وحده هـــو الذي سيؤمن الموافقة بين المنتخبين ووظائفهم ؛ رابعا ، لا يمكن تحديد حرية الانتخاب من قبل المؤتمر ؛ خامسا ، الحزب لا يحتاج الآن الى فرقـــة ادبية فقط في الجريدة المركزية ؛ والجريدة المركزية لا تحتاج فقط الى ادباء ، بل ايضا الى اداريين ؛ سادسا ، يجب ان يكون في الجريدة المركزية اشخاص محددون تماما ، معروفون من **المؤتمر** ؛ سابعا ، ان هيئة من ستة غالبا ما لا تكون صالحة للعمل ، وعملها لا يتم **بفضـــل** نظام داخلي مغاير للاصول ، **ولكن رغم** ذلك ؛ ثامنا ، ان ادارة الجريدة من شأن الحزب (لا من شأن حلقة) ، الخ . . — ليحاول الرفيق مارتوف اذا كان يهتم هذا الاهتمام البالغ باسباب عدم **الانتخاب** ، ان يفهم كلا من هذه الاعتبارات وان يدحض **واحدا منها على الاقل** .

www.kassioun.org

حاول ، بطبل وزمر ، ان يصم بالعار الرفاق الذين لم يكونوا على اتفاق معه ؟» * (ص ٣٢٨) .

لنستخلص حصيلة المناقشات حول مسألة هيئة التحرير . الاقلية لم تدحض (ولم تحاول ان تدحض) الاشارات العديدة التي ادلت بها الاغلبية ، ومفادها ان مشروع فريق الثلاثـــة كان معروفا من **المندوبين** منذ افتتاح المؤتمر **وقبل المؤتمر** ؛ وان هذا المشروع كان بالتالي ناجما عن **اعتبارات ومعطيات مستقلة عن الاحداث والمناقشات في المؤتمر** . وقد شغلت الاقلية ، اثناء دفاعها عن الستة ، موقفا **غير مقبول ، وخاطئاً من الناحيـــة المبدئية** ، هو موقف اعتبارات **تافهة ضيقة الافق.** . وتناست الاقلية تماما وجهة نظر **الحزب** فيما يتعلق باختيار **الموظفين** ؛ حتى انها لم تحاول **ابداء رأي** بصدد كل مرشح لهذا المنصب المعني . **وتهربت** الاقلية من بحث المسألة من حيث الاساس ، متذرعة بالانسجام المزعوم ، «ساكبة الدموع» ، «ساقطة في بحران العواطف» (ص ٣٢٧ ، خطاب لانغه) ، كأنما «يراد قتل» انسان ما . حتى ان الاقلية ذهبت الى حد «**الدخول في روح الغير**» ، الى

---

* هكذا فهم الرفيق سوروكين ، **في الجلسة نفسها** ، كلمات الرفيق دويتش (راجع ص ٣٢٤ – «حوار عنيف مع اورلوف» . ويوضـح الرفيق دويتش (ص ٣٥١) انه «لم يقل شيئا مماثلا» ، ولكنه يعترف **على الفور** انه قال شيئا «مماثلا» **جدا ، جدا** . ويوضح الرفيـــق دويتش : «انا لم اقل : من يعتزم ، – انما قلـت : اني متشوق الى رؤية اولئك الذين يعتزمون (كذا ! الرفيق دويتش يصلح خطاه ، منتقلا من الدلف الى ما تحت المزراب !) دعم اقتراح اجرامي (كذا !) مثل انتخاب فريق من ثلاثة» (ص ٣٥١) . ان الرفيق دويتش لم يدحض اقوال الرفيق سوروكين ، **بل أكد صحتها** . ان الرفيق دويتش قد أكـد صحة لوم الرفيق سوروكين ، حين قال ان «جميع المفاهيم قد تشوشت واختلطت هنا» (في حجج الاقلية دفاعا عن الستة) . ان الرفيق دويتش قد اكد صحة مناسبة اقدام الرفيق سوروكين على التذكير بهذه الحقيقة **الاولية** ، وهي «اننا اعضاء الحزب ويجب علينا ان نعمل على هدى الاعتبارات السياسيـة بوجه الحصر» . ان من يزعق **بطابع** الانتخابات **الاجرامي** ، انما ينحط ، لا الى التفاهة وضيق الافق وحسب ، بـــل ايضا بكل بساطة **الى الفضيحة** !

www.kassioun.org

حد التأوه والعويل حول «الطابع الاجرامي» للاختيار والى حد غير ذلك من الاساليب المماثلة **غير المسموح بها** ، ذهبت الى هذا الحد تحت تأثير «**تهيج عصبي**» (ص ٣٢٥) .

صراع **التفاهة وضيق الافق** ضد **الروح الحزبي** ، صراع شّر «**الاعتبارات الشخصية**» ضد **الاعتبارات السياسية** ، صراع **الاقوال التي يرثى لها** ضد مفاهيم **الواجب الثوري** الاولية ، هذا ما كانـــه الصراع حول الستـة والثلاثـة في جلسـة مؤتمرنا الثلاثين .

كذلك في الجلسة الواحدة والثلاثين ، حين **رد** المؤتمر بأغلبية ١٩ صوتا ضد ١٧ و٣ استنكافات ، الاقتراح الهادف الى تثبيت هيئة التحرير القديمة كلها (راجع ص ٣٣٠ **وجدول الخطأ والصواب**) ، وحين عاد **المحررون الفدامى** الى قاعـــة الجلسات ، ابدى الرفيق مارتوف ، في «بيان باسم اغلبية هيئة التحرير القديمة» (ص ٣٣٠–٣٣١) ، وبمقاييس اكبر ايضا ، نفس الترددات ونفس التذبـــذب من حيث الموقف السياسي **والمفاهيم السياسية** . لنبحـث بالتفصيـل كـلا من نقاط **البيان** الجماعي وجوابي (ص ٣٣٢–٣٣٣) على هذا البيان .

قال الرفيق مارتوف بعد عدم تثبيت هيئـــة التحرير القديمة : «من الآن وصاعدا ، زالت «الايسكرا» القديمة من الوجود ، وقد يكون من الاصوب منطقيا تغيير اسمها . ونحن نرى ، على كل حال ، في قرار المؤتمر الجديد تضييقا كبيرا على الثقة «بالايسكرا» ، التي تم التصويت بالموافقة عليها في احدى جلسات المؤتمر الاولى» .

ان الرفيق مارتوف يثير مع زملائه مسألة طريفة ومفيدة حقا من نواح كثيرة ، هي مسألة **روح المنطق السياسي** . وقد سبق لي ان اجبت عن هذا مستشهدا بما تحدث عنه **الجميـــع** لدن تثبيت «الايسكرا» (ص ٣٤٩ من المحاضر ؛ قارن مع ما ورد اعلاه ، ص ٨٢) * . من المؤكد اننا امام مثال صارخ

---

* راجع هذا الكتاب . ص ١٢٠ ــ ١٢١ . **الناشر** .

www.kassioun.org

على فقدان المنطق السياسي . من جانب من ؟ أمن جانب اغلبية المؤتمر ام من جانب اغلبية هيئة التحرير القديمة ؟ اننا نترك للقارئ امر الحكم . وللقارئ ايضا نعهد بالفصل في سؤالين آخرين طرحهما الرفيق مارتوف وزملاؤه في حين مناسب جدا :

١) أوجهة نظر **مبتذلة** ام وجهة نظر **الحزب** هي التي تعكسها الرغبة في رؤية «تضييق على الثقة «بالايسكرا»» في قرار **المؤتمر باختيار الموظفين لهيئة تحرير الجريدة المركزية** ؟ ٢) ابتداء من اي لحظة **زالت** «**الايسكرا**» **القديمة من الوجود** في الواقع : ابتداء من العدد ٤٦ ، حين شرعنا نحن الاثنين ، بليخانوف وانا نشرف على ادارتها ، ام ابتداء من العدد ٥٣ ، حين تسملت ادارتها اغلبية هيئة التحرير القديمة ؟ اذا كان السؤال الاول **سؤالا مبدئيا** من اطرف الاسئلة ، فان الثاني **سؤال عملي** من اطرف الاسئلة .

ويواصل الرفيق مارتوف كلامه قائلا : «وبما انه تقرر الآن اختيار هيئة تحرير من ثلاثة اشخاص ، فاني اعلن باسمي وباسم رفاقي الثلاثـــة الآخرين ، ان احدا منا لن يشترك في هيئة التحرير الجديدة هذه . واضيف من جهتي انه ، اذا كان صحيحا ان بعض الرفاق قد شاؤوا تسجيـــل اسمـــي في عداد المرشحين لهذا «الفريق الثلاثي» ، فلا بدّ لي ان ارى في هذا التسجيل اهانة لم استحقها (كذا !) . واقول هذا بسبب من الملابسات التي تقرر فيها تغيير هيئة التحرير . لقد تقرر هذا بسبب من بعض «الاحتكاكات» * ، من عدم اهلية هيئة التحرير

---

* اغلب الظن ان الرفيق مارتوف يقصد تعبير الرفيـــق بوسادوفسكي «الخشونات» . اكرر : ان الرفيق بوسادوفسكي لم يوضح مع ذلك في المؤتمر ماذا يقصد **هو بالذات** ؛ بينا الرفيق مورافييف ، الذي استخدم التعبير نفسه ، اوضح انه تحدث عن الخشونات **المبدئية التي برزت في مناقشات المؤتمر** . ان القراء سيتذكرون ان المثال **الوحيد** على المناقشات **المبدئية** حقاً التي اشترك فيها المحررون الاربعـــة (بليخانوف ومارتوف واكسلرود وانا) يتعلق بالفقرة الاولى من النظام الداخلي ، وان الرفيقين مارتوف وستاروفر اشتكيا **خطيا** من «الاتهام الباطل بالانتهازية» ، بوصفه احدى الحجج ا«تغيير» هيئة التحرير .

www.kassioun.org

القديمة للعمل . ويحل المؤتمر هذه المسألة بمعنى معين ، دون ان يسأل هيئة التحرير بصدد هذه الاحتكاكات ودون ان يعين على الاقل لجنة لطرح قضية عدم اهليتها للعمل» . . . (غريب ان احدا من الاقلية لم تخطر في باله فكرة الاقتراح على المؤتمر ان «يسأل هيئة التحرير» او ان يعين لجنة ! أفليس السبب انه ، لو اقترح احدهم هذا الاقتراح ، بعد انشقاق منظمة «الايسكرا» وفشل المفاوضات ، اللذين كتب عنهما الرفيقان مارتوف وستاروفر ، لكان الاقتراح عديم الجدوى ؟) . . . «وفي هذه الظروف ، لا بدّ لي ان اعتبر فرضية بعض الرفاق بأني سأقبل العمل في هيئة تحرير اعيد تشكيلها بهذه الطريقة ، لطخة عار على سمعتي السياسية» . . . *

واني ، قصدا وعمدا ، قد اوردت هذه المحاكمة بنصها الكامل لكي اعرض للقارئ نموذجا ، وبداية ما ازدهر بوفرة

وفي هذه الرسالة ، رأى الرفيق مارتوف صلة **واضحة** بين «الانتهازية» وخطة تغيير هيئـــة التحرير ؛ ولكنه اكتفى **في المؤتمر** بتلميح غامض الى «**بعض الاحتكاكات**» . وهكذا غدا «الاتهام الباطل بالانتهازية» في عالم النسيان !

* ويضيف الرفيـــق مارتوف ايضا : «هذا الدور ، ليس غير ريازانوف من قد يقبله ، لا مارتوف الذي تعرفونه ، كما اعتقد ، من عمله» . وبما ان في الامر حملة **شخصية** على ريازانوف ، فقد عدل عنها الرفيق مارتوف . ولكن ريازانوف ظهر في المؤتمر بوصفه اسما نكرة ، لا لهذه او تلك من خصاله الشخصية (ومن غير اللائق التحدث عنها) بل **للسيماء السياسية** لفرقة «بوربا» ، **لاخطائها السياسية** . وقد كان الرفيق مارتوف على تمام الحق حين رجع عن الاهانات الشخصية ، المخمنة او المنفذة فعلا ، ولكنه يجب لنا ان لا ننسى بسبب ذلك **الاخطاء السياسية** التي ينبغي لها ان تكون بمثابة **درس للحزب** . لقد اتهمت فرقة «بوربا» في مؤتمرنا بانها قد حملت «الفوضى التنظيميـــة» و«التشتت الذي لا يستدعيـــه اي اعتبار مبدئي» (ص ٣٨ ، خطاب الرفيق مارتوف) . يقينا ان سلوكا سياسيا **كهذا** يستحق لومه لا عندما نراه في داخل فرقة صغيرة قبل مؤتمر الحزب في فترة من الفوضى **العامة** وحسب ، بل ايضا عندما نراه **بعد** مؤتمر الحزب ؛ في فترة ازالـــة الفوضى ، وان كان ذلك حتى من جانب «اغلبية هيئة تحرير «الايسكرا» واغلبية فرقة «تحرير العمل»» .

www.kassioun.org

وفيض **بعد المؤتمر** وما لا يمكن وصفه الا بكلمة **مماحكات** . وقد سبق لي ان استعملت هذا التعبير في «رسالة»ي «الى هيئة تحرير «الايسكرا»» ، واني مضطر الى تكراره رغم استياء هيئة التحرير ، لأن صحته لا جدال فيهـــا . ومن الخطأ الظن ان المماحكة تفترض «دوافع دنيئة» (كما استنتجت هيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة) : فمن المؤكد ان كل ثوري يلم بعض الالمام بجالياتنا في المنفى والمهجر ، قد استطاع ان يرى عشرات الامثلة من المماحكات ، التي تصاغ فيها وتلاك اسخف الاتهامات والشكوك ، والاتهامات الذاتيـــة ، ومسائـــل «الاشخاص» ، الخ . ، من جرّاء «تهيج عصبي» وشروط حياة غير عادية ، تفوح منها رائحة العزلة والعفونة . وليس ثمة انسان سليم التفكير يسعى ، مهما كلف الامر ، الى البحث عن **دوافع** دنيئة في هذه المماحكات ، **مهما كانت ظاهراتها منحطة** . «فبالتهيج العصبي» وحده بالضبط يمكن تفسير هذه الكبة المتشابكة من الحماقات ، والاعتبارات الشخصية ، والفظائع الغريبة ، والدخول الى روح الغير ، والاهانات واللطخات التي رافقت ولادتها الآلام ، هذه الكبة المعروضة في الفقرة التي اوردتها من خطاب الرفيق مارتوف . ان شروط الحياة التي تفوح منها رائحة العزلة والعفونة تولد عندنا هذا النوع من المماحكات بالمئات ، وان حزبا سياسيا لن يستحق اي اعتبار اذا لم يجرؤ على ان يسمي المرض الذي يشكو منه باسمه الحقيقي ، ويشخصه تشخيصا صارمـا لا هوادة فيه ، ويبحث عن الوسائل اللازمة لشفائه .

واذا أمكننا استخلاص شيء مبدئي من هذه الكبة ، توصلنا **حتما** الى هذا الاستنتاج ، وهو «ان الانتخابات لا تمـت باي صلة الى المساس بالسمعة السياسية» ؛ وان «انكار حق المؤتمر في اجراء انتخابات جديدة ، في كل تغيير للموظفين ، في اعادة تشكيل الهيئات التي يمنحها ثقته» ، انما يعني اشاعة **البلبلة** في المسألة ، وان «آراء الرفيق مارتوف حول قبول

www.kassioun.org

انتخاب قسم من الهيئة السابقة تنم عن **اكبر البلبلة في المفاهيم السياسية**» (كما قلت في المؤتمر ، ص ٣٣٢) * .

اني اغفل ملاحظة الرفيق مارتوف «الشخصية» بصدد معرفة عمن تصدر خطة الفريق الثلاثي ، وانتقل الى التعريف «السياسي» الذي يعطيه لعدم تثبيت هيئة التحرير القديمة : . . . «ان ما جرى الآن هو الفصل الاخير من الصراع الذي احتدم في النصف الثاني من المؤتمر» . . . (صحيح ! وهذا النصف الثاني يبدأ من الفترة التي وقع فيها الرفيق مارتوف ، فيما يخص معضلة الفقرة الاولى من النظام الداخلي ، في معانقة الرفيق اكيموف الشديدة) . . . «ليس سرا على احد ان المقصود فيما يخص هذا الاصلاح ، ليس «الاهلية للعمل» ، بل الصراع من اجل التأثير في اللجنة المركزية» . . . (اولا ، ليس سرا على احد ان المقصود هنا **هو على السواء** الاهلية للعمل والخلاف بصدد **قوام** اللجنة المركزية ، اذ ان خطة «الاصلاح» قد قدّمت حين **لم يكن بعد من الممكن وضع** مسألة الخلاف الثاني ، وحين اخترنا ، بالاتفاق مع الرفيق مارتوف ، الرفيق بافلوفيتش عضوا سابعا في هيئة التحرير ! ثانيا ، لقد سبق لنا ان بيّنا ، استنادا الى **الوثائق** ، ان المقصود كان **قوام** اللجنة المركزية ، وان الامور اقتصرت à la fin des fins * * على التمييز بين اللائحتين التاليتين : غليبوف – ترافينسكـــــي – بوبوف ، وغليبوف – تروتسكي – بوبوف .) . . . «لقد بينت اغلبية هيئة التحرير انها لا تريد ان تتحول اللجنة المركزية الى اداة لهيئـــــة التحرير» . . . (ها هي ذي الاغنية الاكيموفية تبدأ : مسألة النفوذ الذي تناضل من اجله كل اغلبية في كل مؤتمر حزبي ، دائما وفي كل مكان ، بغية **توطيد** هذا النفوذ **باغلبية** في الهيئات المركزية ، تنتقل الى ميدان **النمائم الانتهازية** حول «اداة» **هيئة التحرير** ، حول «**الذيل** البسيط» لهيئة التحرير كما سيقول هذا الرفيق مارتوف نفسه بعد قليل ، ص ٣٣٤) . . . «ولهذا

---

* راجع لينين . «خطاب اثناء انتخابات هيئـــــة تحرير «الايسكرا» في ٧ (٢٠) آب (اغسطس)» .

* * ــ في آخر الامر ، في النهاية . **الناشر** .

www.kassioun.org

اقتضى الامر تخفيض عدد اعضاء هيئة التحرير (!!) . ولهذا السبب لا استطيع الاشتراك في هيئة تحرير كهذه» . . .
(انظروا بمزيد من الانتباه الى «لهذا السبب» : كيف **كان في مستطاع** هيئة التحرير ان تحول اللجنة المركزية الى ذيل او الى اداة ؟ **فقط** في حالة واحدة ، اذا ما نالت ثلاثة اصوات في المجلس **واساءت استعمال** هذا التفوق ؟ أليس هذا واضحا ؟ أوليس واضحا ايضا ان الرفيق مارتوف ، الذي انتخب ثالثا ، كان في مستطاعه دائما ان يحول دون كل اساءة استعمال ويقضي **بصوته وحده** على كل هيمنة من جانب هيئة التحرير في المجلس ؟ ان الامور تقتصر اذن ، بالضبط ، على قوام اللجنة المركزية ، بينا الاقاويل عن الاداة والذيل تتكشف فوراً عن **نمائم خبيثة**) . . . «مع اغلبية هيئة التحرير القديمة ، كنت اعتقد ان المؤتمر سيضع حدا نهائيا «لحالة الحصار» في قلب الحزب ويضع الامور في مجراها الطبيعي . اما في الواقع ، فان حالة الحصار ، بقوانينها الاستثنائية ضد مختلف الفرق ، تُمَدّد وحتى تؤزم . ولن نستطيع الا بقوام هيئة التحرير القديمة كله ، ان نضمن ان لا تكون الحقوق التي يمنحها النظام الداخلي لهيئة التحرير ، مضرة بالحزب» . . .

هذا هو بنصه الكامل المقطع من خطاب الرفيق مارتوف الذي **اطلق فيه لاول مرة شعار «حالة الحصار» المعروف** .
واليكم الآن جوابي :

. . . «اني اذ اصلح بيان مارتوف بصدد الطابع الخاص الذي تتسم به خطة الفريقين الثلاثيين ، لا اعتزم اطلاقا مع ذلك ان اتناول بالتالي مزاعم مارتوف ذاته حول «الاهمية السياسية» للخطوة التي خطوناها حين لم نثبّت هيئة التحرير القديمة . بل بالعكس . فاني على اتفاق تام ومطلق مع الرفيق مارتوف ، حين قال ان لهذه الخطوة اهمية سياسية كبرى ، — ولكنهـــا ليست تلك الاهمية التي يوليها اياها مارتوف . لقد قال ان هذه الخطوة كانت بمثابة عمل نضالي من اجل تأمين النفوذ في اللجنة المركزية في روسيا . واني لامضي ابعد من مارتوف . فان كامل نشاط «الايسكرا» ، بوصفها فرقة خاصة ، قد كان

www.kassioun.org

حتى الآن نضالا من اجل النفوذ ، اما الآن ، فالمقصود اكثر من ذلك ، المقصود تثبيت هذا النفوذ تنظيميا ، لا مجرد النضال من اجله . اما الى اي حد ننفصل هنا ، من الناحية السياسية ، عن الرفيق مارتوف ، فهذا ما يبيّنه كونه يتهمني بهذه الرغبة في ممارسة النفوذ على اللجنة المركزية ، بينا انا افتخر لكوني اجتهدت ولا ازال اجتهد لتثبيت هذا النفوذ عن طريق التنظيم . وهكذا يظهر اننا انما نتكلم حتى لغتين . فالى اي فائدة كان آل كل عملنا ، كانت آلت كل جهودنا ، لو ان هذا النضال العريق نفسه من اجل النفوذ كان خاتمتها، بدلا من ان تكون هذه الخاتمة الفوز التام بهذا النفوذ وتثبيته المطلق ؟ اجل ، ان الرفيق مارتوف لعلى تمام الحق : يقينا ان الخطوة المحققة خطوة سياسية كبيرة تشهد على اختيار اتجاه من الاتجاهين اللذين ارتسما الآن في عمل حزبنا اللاحق . **واني لست خائفا ابدا من الكلمات الرهيبة عن «حالة الحصار في الحزب» ، عن «القوانين الاستثنائية ضد مختلف الفرق والاشخاص» ، الخ** . . اما فيما يخص العناصر المتذبذبة والمتهافتة ، فاننا لا نستطيع وحسب ، بل يجب علينا ايضا ان نعلن «حالة الحصار» ، وليس كل نظامنا الداخلي في الحزب ، كل المركزية التي وافق عليها المؤتمر منذ الآن ، غير «حالة الحصار» بالنسبة لمصادر عديدة جدا من الميع السياسي . فضد الميع ينبغي على وجه الضبط قوانين خاصة ، حتى ولو كانت قوانين استثنائية ، وان الخطوة التي خطاها المؤتمر قد حددت الاتجاه السياسي تحديدا صحيحا ، اذ ار مت مثل هذه القوانين ومثل هذه التدابير على اساس مكين» * .

لقد اشرت في هذا الموجز لخطابي في المؤتمر الى **الجملة التي فضّل الرفيق مارتوف اغفالها في مؤلفه «حالة الحصار»** (ص ١٦) ؛ فلا غرابة اذا كانت هذه الجملة لم تعجبه ، واذا لم يشأ ان يفهم معناها الجلي الواضح .

---

* راجع لينين . «خطاب اثناء انتخابات هيئـــــة تحرير «الايسكرا» في ٧ (٢٠) آب (اغسطس)» .

www.kassioun.org

فماذا يعني تعبير : «الكلمات الرهيبة» ، ايها الرفيق مارتوف ؟

انه يعني **السخر** ، السخر من اولئك الذين يسمّون الاشياء الصغيرة باسماء كبيرة ، ويشوشون مسألة بسيطة بجمل وتعابير دعيّة طنانة .

ثمة حدث صغير وبسيط ، امكن له **وحده** ان يكون وكان فعلا ذريعة «لتهييج» الرفيق مارتوف «العصبي» ، وهذا الحدث **ينحصر** في كون الرفيق مارتوف **قد مني بالهزيمة في المؤتمر** فيما يخص **قوام المركزين** . واهميـــة هذا الحدث البسيط السياسية انما تقوّمت في ان اغلبية مؤتمر الحزب ، بعد ان انتصرت ، ثبّتت نفوذها بادخال الاغلبية في قيادة الحزب ايضا ، ووضعت اساسا تنظيميا للنضال ، بواسطة النظام الداخلي ، ضد ما اعتبرته الاغلبية تأرجحا ، وميعا وعدم استقرار * . فان من تكلم بهذا الصدد عن «النضال من اجل النفوذ» بضرب من الرعب في العينين وراح يتشكى ويتذمر من «حالة الحصار» ، لم يكن كلامه غير **جمل وتعابير دعية** ، غير كلمات رهيبة .

ألا يوافق الرفيق مارتوف على هذا ؟ ألن يحاول ان يبين لنا انه انعقد في مكان ما من العالم مؤتمر لحزب ، وان في الامكان بوجه عام ان نتصور مؤتمراً حزبياً لا تثبت فيه الاغلبية التأثير المكتسب : ١) بادخال الاغلبية نفسها في الهيئات المركزية ؛ ٢) بتسليم السلطة لهذه الاغلبية ، بغية شـــل التأرجح والميع وعدم الاستقرار ؟

قبل الانتخابات ، كان على مؤتمرنا ان يحل مسألة ما اذا

---

* فيم تجلى في المؤتمر تأرجح الاقلية الايسكرية وميعها وعدم استقرارها ؟ اولا ، في الجمل الانتهازية حول الفقرة الاولى من النظام الداخلي ؛ ثانيا ، في الائتلاف مع الرفيقين اكيموف وليبر ، الذي تطور بسرعة في النصف الثاني من المؤتمر ؛ ثالثا ، في القدرة على الحط من قضية انتخاب الموظفين للجريدة المركزية الى مستوى التفاهة وضيق الافق ، الى كلمات يرثى لها ، وحتى الى الدخول في روح الغير . وان جميع هذه الصفات الجذابة قد نضجت بعد المؤتمر ، فتحولت من براعم الى ازهار وثمار .

www.kassioun.org

كان ينبغي ان يعود **ثلث الاصوات** في الجريدة المركزية واللجنة المركزية الى الاغلبية ام الى الاقلية في الحزب . كان فريق الستة ولائحة الرفيق مارتوف يعنيان ان الثلث الى جانبنا والثلثين الى جانب انصاره . كان فريق الثلاثة في الجريدة المركزية ولائحتنا يعنيان ان الثلثين الى جانبنا والثلث الى جانب انصار الرفيق مارتوف . وقد رفض الرفيق مارتوف ان يساوم معنا او يتنازل ، واستفزنا **خطيا** الى المعركة ، امام المؤتمر ؛ ولكنه ، بعد ان مني بالهزيمة امام المؤتمر ، اغرق في البكاء وشرع يتشكى من «حالة الحصار» ! طيب ، أليست هذه مماحكة ؟ أليست هذه ظاهرة جديدة لميوعة المثقفين ؟

ولا يمكننا الامتناع عن التذكير في هذا الصدد بالتعريف الاجتماعي النفساني الساطع الذي اعطاه كاوتسكي مؤخرا عن هذه الصفة الاخيرة . ان الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية في مختلف البلدان كثيرا ما تعاني في الوقت الحاضر الامراض نفسها . وقد يكون من جزيل الفائدة لنا ان نستعلم من الرفاق الاكثر تجربة عن التشخيص الصحيح والعلاج الصحيح . وهكذا فان التعريف الذي اعطاه كاوتسكي عن بعض المثقفين لن يكون بالتالي سوى استطراد ظاهري عن الموضوع الذي نعالج .

. . . «وفي الوقت الحاضر نهتم من جديد بالغ الاهتمام بمسألة **التناحر بين المثقفين* والبروليتاريا** . ان زملائي» (فكاوتسكي نفسه مثقف واديب ومحرر) «سيغتاظون دوما لكوني اعترف بهذا التناحر . ولكنه موجود فعلا ، وانه سيكون تكتيكا غير معقول اطلاقا (هنا كما في الحالات الاخرى) ان نحاول التخلص منه بنكران الواقع . ان هذا التناحر تناحر اجتماعي ، يتجلى في الطبقات ، لا في الافراد . ان كل رأسمالي على حدة ، ككل مثقف على حدة ، يستطيع ان يشترك كليا في نضال البروليتاريا الطبقي . فاذا حدث هذا ، يتغير ايضا طابع المثقف . وفي بقية عرضي ، سأتناول على الاخص ، لا مثقفين **من هذا**

---

* اترجم بكلمة مثقف ، مثقفين ، التعبيرين الالمانيين Literat, ، Literatentum : اللذين لا يشملان رجال الادب وحسب ، بل جميع الناس المتعلمين ، ممثلي المهن الحرة بوجه عام ، ممثلي العمل الفكري (brain worker كما يقول الانجليز) ، خلافا لممثلي العمل اليدوي .

www.kassioun.org

النوع ممن لا يزالون اليوم ايضا استثناء في قلب طبقتهم . وفي بقيـــة عرضي ، هذا اذا لم ابد بعض التحفظات ؛ **لن اقصد بالمثقف الا مثقفا عاديا يقف على صعيد المجتمع البرجوازي** ، ويكون ممثلا موصوفـــا **لطبقة** المثقفين . هذه **الطبقة** تجد نفسهـــا في بعض **التناحـــر** ازاء البروليتاريا .

ان هذا التناحر هو من نوع غير نوع التناحر بين العمـــل والرأسمال . فالمثقف ليس رأسماليا . صحيح ان مستوى حياته هـــو مستوى حياة البرجوازي ، وانه مضطر الى الاحتفاظ بهذا المستوى طالما لم يتحول الى صعلوك ، ولكنه مكره في الوقت نفسه الى بيع نتاج عمله ، وحتى قوة عمله احيانا كثيرة ؛ وهو احيانا كثيرة يستثمره الرأسمالي ، ويعاني بعض الاذلال الاجتماعي . وهكذا فان المثقف لا يجد نفسه في اي تناحر اقتصادي ازاء البروليتاريا . ولكن وضعه في الحياة ، وشروط عمله ، ليست وضع وشروط عمل البروليتاريا ؛ ومن هنا بعض التناحر في المزاج وطريقة التفكير .

ان البروليتاري لا يساوي شيئا طالما بقي فردا منعزلا . فكل قوته ، وكل قدرته على التقدم ، وكل آماله وأمانيه ، انما يستمدهـــا من **التنظيم** ، من النشاط المشترك والمنهجي مع رفاقه . انه يشعـــر بنفسه كبيرا وقويا حين يكون جزءا من هيئة كبيرة وقويـــة . وهذه الهيئة هي كل شيء بالنسبة له ؛ وبالمقارنة معها ، ليس الفرد المنعزل سوى شيء قليل جدا . ان البروليتاري يخوض نضاله باكبر ما يكون من روح التضحية ، بوصفه جزءا من الجمهور الغفل ، دون اي امل بالربح الشخصي ، والمجد الشخصي ، ويؤدي واجبه في كل مركز يعهـــد به اليه ، خاضعا بملء ارادته لنظام الطاعة الذي يفعم كل عواطفه ، كل تفكيره .

اما الحال فآخر تماما بالنسبة للمثقف . فهو لا يناضل باستعمال القوة بهذا الشكل او ذاك ، بل بالحجج . فسلاحه ، انما هو معرفته الشخصية ، مؤهلاته الشخصية ، معتقداته الشخصية . ولا يمكن له ان يضطلع ببعض الدور الا بخصاله الشخصية . وهكذا فان الحرية التامـــة في ابداء شخصيته تبدو له الشرط الاول للعمل الناجع . ولا يخضع لكل واحد ، بوصفه عنصرا ثانويا في هذا الكل الا بصعوبة ، انما يخضع بفعل الضرورة ، لا بفعل اندفاعه الخاص . ان ضرورة الطاعة ، انما لا يعترف بها الا للجمهور ، لا للنفوس النخبة . وهو ، بالطبع ، يصنف نفسه في عداد النفوس النخبة . . .

. . . ان فلسفة نيتشه ، مع تقديسها للانسان الخارق ، الذي ينحصر كل شيء بنظره في تأمين كامل تطور شخصيته ، والذي يبدو له كل اخضاع لشخصه لاي هدف اجتماعـــي كبيـــر كان ، امرا مبتذلا

www.kassioun.org

جديرا بالاحتقار والازدراء ، ان هذه الفلسفة هي بالنسبة للمثقف مفهومه الحقيقي عن العالم ؛ وهي تجعله غير اهل اطلاقا للاشتراك في نضال البروليتاريا الطبقي .

ان ايبسن ، الى جانب نيتشه ، هو الممثل البارز لمفهوم المثقفين عن العالم ، لهذا المفهوم الذي يستجيب لحالتهم الفكرية . فان الدكتور شتوكمان (بطل مسرحيته «عدو الشعب») ليس اشتراكيا ، كما تصوره الكثيرون ، بل نموذج المثقف الذي لا بد له بالضرورة من ان يدخل في نزاع مع الحركة البروليتارية ، ومع كل حركة شعبية بوجه عام ، ما ان يحاول العمل في داخلها . ذلك لأن اساس الحركة البروليتارية ، شأنها شان اساس كل حركة ديموقراطية * ، انما هو احترام اغلبية الرفاق . ان المثقف النموذجي à la * * شتوكمان يرى في «الاغلبية المتراصة» وحشا فظيعا يجب طرحه ارضا .

. . . ان النموذج المثالي للمثقف الذي تشبع كليا بالروح البروليتارية والذي كان كاتبا لامعا ، وفقد السمات النفسانية الخاصة بالمثقفين ، والذي سار في الصف دون تذمر ، وعمل في كل منصب عهد به اليه ، وخضع كليا لقضيتنا الكبرى وازدرى التهمعات الموهنة (weichliches Gewinsel) بصدد سحق شخصيته ، هذه التهمعات التي غالبا ما نسمعها من جانب المثقفين الذين تربوا بروح ايبسن ونيتشه ، متى ما حدث لهم ووجدوا انفسهم اقلية ، — ان النموذج المثالي لهذا المثقف الذي تحتاج اليه الحركة الاشتراكية ، انما كانه ليبكنخت . ومن الممكن ايضا ان نسمي هنا ماركس ، الذي لم يدفع نفسه يوما الى الامام وكان يخضع بصورة مثالية للطاعة الحزبية في صف الاممية ، حيث كان اكثر من مرة في وضع اقلية» * * * .

ان هذه التهمعات الموهنة التي تلازم المثقفين متى وجدوا انفسهم اقلية ، لا غيرها ، هي التي كانها تخلّي مارتوف

---

* ان ما يصف بالغ الوصف التشوش الذي يشيعه اصحابنا انصار مارتوف في جميع المسائل التنظيمية ، هو انهم ، اذ ينعطفون نحو اكيموف ونحو ديموقراطية **غير مناسبة** ، **يغتاظون** في الوقت نفسه ضد **الاختيار الديموقراطي لهيئة التحرير** ، الاختيار في **المؤتمر** ، المقرر سلفا من جانب الجميع ! ولربما هذا هو **مبدؤ**كم ، ايها السادة ؟

* * من طراز . **الناشر** .

* * * Karl Kautsky: «Franz Mehring», «Neue Zeit», XXII, I, S. 99-101, 1903, N° 4 (كارل كاوتسكي : «فرانز مهرينغ» ، «نوي زايت» ، ٢٢ ، ١ ، ص ٩٩—١٠١ ، السنة ١٩٠٣ ، العدد ٤ . **الناشر** .)

www.kassioun.org

وملازئه عن المنصب اثر مجرد الامتناع عن تثبيت الحلقـــة القديمة ، هي التي كانتها الشكاوى من حالة الحصار والقوانين الاستثنائية «ضد مختلف الفرق» التي لم تكن عزيزة على قلب مارتوف لدن حل «يوجني رابوتشي» و«رابوتشييه ديلو» ، ولكنها غدت عزيزة على قلبه لدن حل هيئته **هو** .

ان هذه التهمعات الموهنة التي تلازم المثقفين متى وجدوا انفسهم اقلية ، هي التي كانتها جميـــع هذه الشكاوى ، والملامات ، والتلميحات ، والولولات ، والنمائم ، والاشارات ، اللامتناهية بصدد «الاغلبية المتراصة» ، والتي سالت كالنهر في مؤتمر حزبنا * (واكثر ايضا بعد المؤتمر) ، بمبادرة موفقة من مارتوف .

لقد تذمرت الاقلية بمرارة من ان الاغلبية المتراصة كانت تعقد اجتماعات خاصة ؛ وبالفعل ، كان لا بدّ للاقلية من ذريعة لتغطية هذا الواقع المزعج لها ، وهو ان المندوبين الذين كانت تدعوهم الى اجتماعاتها الخاصة كانوا يرفضون حضور هذه الاجتماعات وان الذين كان من الممكن ان يلبوا الدعوة بملء الخاطر (الايغوروفيون والماخوفيون والبروكريون) لم يكن في مستطاع الاقلية ان تدعوهم بعد كل الصراع الذي احتدم بين هذين الطرفين في المؤتمر .

وقد تذمروا بمرارة من «الاتهام الباطل بالانتهازية» : وبالفعل ، كان لا بد من ذريعة لتغطية هذا الواقع المزعج وهو ان **الانتهازيين بالضبط الخاص** ، الذين ساروا وراء اخصام الايسكريين في حالات اكثر بكثير ، وجزئيا اخصام الايسكريين انفسهم ، كانوا يشكلون الاقلية المتراصة ، متشبثين بكلتي اليدين بالروح الحلقي في المؤسسات ، بالانتهازية في المحاكمات ، بالتفاهة وضيق الافق في العمل الحزبي ، بالميوعة وعـــدم الاستقرار الملازمين للمثقفين .

---

* راجع ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ وغيرها من محاضر المؤتمر .

www.kassioun.org

وسنبين في الفصـــل التالي قوام تفسير هذا **الواقع السياسي** الطريف في منتهى الطرافة ، ونعني به نشوء «اغلبية متراصة» عند نهاية المؤتمر ، كما سنبين لماذا **تتهرب** الاقلية باكبر العناية ، ورغم جميع الدعوات ، من مسألة **اسباب** نشوئها **وتاريخه** . ولكن لننته اولا من تحليل المناقشات في المؤتمر .

لدن الانتخابات الى اللجنة المركزية ، يتقدم الرفيق مارتوف بمشروع قرار في اقصى الدلالة (ص ٣٣٦) ، اسميت' فيما مضى سماته الاساسية الثلاث «موت الشاه بثلاث نقلات» . والكم هذه السمات : ١) التصويت على **لوائح** المرشحين الى اللجنة المركزية ، لا الترشيحات المنفردة ؛ ٢) بعد تلاوة اللوائح ، انتظار انقضاء جلستين (للمناقشات ، بالتأكيد) ؛ ٣) اذا لم تتوفر الاغلبية المطلقة ، تعتبر الدورة الثانية من الانتخاب نهائية . ان هذا القرار ستراتيجية مرسومة بمهارة (ويجب الاقرار بهذه المهارة حتى للخصم !) ، لا يوافق عليها الرفيق ايغوروف (ص ٣٣٧) ، ولكنه كان من شأنها ان تضمن **بكل تاكيد** النصر الكامل لمارتوف ، **فيما لو ان البونديين واعضاء «رابوتشييه ديلو» السبعة لم ينسحبوا من المؤتمر** . اما تفسير الستراتيجية فمفاده بالضبط ان الاقلية الايسكرية **لم يكن لها ولم يكن من الممكن ان يكون لها** اي «اتفاق مباشر» (وكان هذا الاتفاق موجودا عند الاغلبية الايسكرية) لا مع البوند وبروكر وحسب ، **بل ايضا مع الرفاق الايغوروفيين والماخوفيين** .

تذكروا ان الرفيق مارتوف قد ناح وولول في مؤتمر العصبة ، زاعما ان «الاتهام الباطل بالانتهازية» كان يفترض اتفاقه المباشر مع البوند . اني اكرر : ان الخوف هو الذي حمل الرفيق مارتوف على هذا الظن ، **وان امتناع الرفيـــق ايغوروف عن الموافقة على طرح اللوائح على التصويت** («لم يكن» الرفيق ايغوروف «قد اضاع مبادئه بعد» ، المبادئ التي دفعته بلا ريب الى التشارك مع غولدبلات في تقدير الدور المطلق للضمانات الديموقراطية) ، ان هذا الامتناع **على وجه الضبط.** يبين **بجلاء** الاهمية الهائلة التي يتسم بها هذا الواقع ، هو **انه لم يكن بالامكان ان يحدث اي «اتفاق مباشر» حتى مع**

www.kassioun.org

ايغوروف . ولكنه كان بالامكان ان يحدث **الائتلاف** وقد حدث مع ايغوروف كما مع بروكر ، بمعنى ان تأييدهما **كان مضمونا** للمارتوفيين كلما دخلوا في نزاع جدي معنا ، وكلما كان على اكيموف واصدقائه ان يختاروا **الشر الاهون** . ولم يقم ولا يقوم اي ظل لشك في ان **الرفيقين اكيموف وليبر** ، نظرا **للشر الاهون** ، ونظرا لما **كان اقل ما يمس الاهداف الايسكرية** (راجع خطاب اكيموف حول الفقرة الاولى و«الآمال» التي علّقها على مارتوف) ، **كانا بالضرورة اختارا سواء فريق الستة للجريدة المركزية ام لائحة مارتوف للجنة المركزية** . ان التصويت على اللوائح ، واغفال جلستين ، والتصويت الجديد ، ان كل هذا كان يستهدف بالضبط بلوغ هذه النتيجة بانضباط شبه آلي دون اي اتفاق مباشر .

ولكن ، بما ان اغلبيتنا المتراصة ظلت اغلبية متراصة ، فان السبيل المعوّج الذي اقترحه الرفيق مارتوف لم يكن الا مناورة للمماطلة والتأجيل ، ولم يكن في وسعنا الا رفضها . وقد اعربت الاقلية خطيا (في تصريحها ، ص ٣٤١) عن شكاواها بهذا الصدد ، **ممتنعة ، على غرار مارتينوف واكيموف ، عن التصويت** وعن الانتخابات للجنة المركزية «بسبب من الشروط التي يجرى فيها التصويت والانتخابات» . وبعد المؤتمر ، فاضت هذه الشكاوى من الشروط الشاذة التي جرت بها الانتخابات (راجع «حالة الحصار» ، ص ٣١) ، وتدفقت يمينا وشمالا بحضور المئات من الثرثارين في الحزب . ولكن ماذا كان قوام هذا **الشذوذ** ؟ أفي الاقتراع السري الذي نص عليه سلفا نظام المؤتمر (الفقرة ٦ ، ص ١١ من المحاضر) والذي كان مـــن المضحك ان يرى فيه احد «نفاقا» او «ظلما» ؟ أفي نشوء اغلبية متراصة ، اي هذا «الوحش الفظيع» بالنسبة للمثقفين المائعين ؟ أم في رغبة هؤلاء المثقفين الافاضل **الشاذة** في **الحنث بالعهد** الذي قطعوه على انفسهم قبل المؤتمر بالاعتراف بجميع انتخاباته (ص ٣٨٠ ، الفقرة ١٨ من النظام الداخلي للمؤتمر) ؟

يوم الانتخاب ، تكلم الرفيق بوبوف في المؤتمر ، فالمح تلميحا **ناعما** الى هذه الرغبة ، بطرحه السؤال مجابهة : «هل

www.kassioun.org

المكتب على ثقة بان قرار المؤتمر صالح ومشروع ، اذا رفض نصف المشتركين التصويت ؟» * . وقد اجاب المكتب بالطبع انه واثق من الامر ، واعاد الى الاذهان الحادث الذي وقع مع الرفيقين اكيموف ومارتينوف . وايّد الرفيق مارتوف المكتب وصرح بجلاء ان الرفيق بوبوف على خطأ ، وان «**قرارات المؤتمر مشروعة**» (ص ٣٤٣) . فليحكم القارئ بنفسه على روح الاستمرار السياسي هذه ، التي هي بلا ريب عادية ، الى اعلى حد ، والتي تظهر حين نقارن **هذا التصريح امام الحزب** بالسلوك بعد المؤتمر وبجملة «حالة الحصار» حول «**الانتفاضة التي بدأ بها نصف الحزب في المؤتمر بالذات**» (ص ٢٠) . ان الآمال التي كان يعلقها الرفيق اكيموف على الرفيق مارتوف ، قد تجاوزت نوايا الرفيق مارتوف نفسه الطيبة العرضية .

«**لقد انتصرت**» ، ايها الرفيق اكيموف !

* * *

ولكي نبين الى اي حد كانت «كلمةً رهيبة» الجملة السيئة الذكر بصدد «حالة الحصار» ، تلك الجملة التي اكتسبت اليوم معنى مضحكا مبكيا الى الابد ، يمكننا ان نذكر عدة سمات صغيرة ، تافهة المظهر ، ولكنها بالغة الاهمية من حيث الجوهر ، سمات مّيزت **نهاية** المؤتمر ، هذه النهاية التي جرت **بعد** الانتخابات . ان الرفيق مارتوف يطبل ويزمر الآن بصدد «حالة الحصار» المضحكة المبكية هذه ، مؤكدا جديا لنفسه وللقرّاء ان هذه الفزاعة التي تخيّلها كانت نوعا من اضطهاد غير عادي ، وحملة من المطاردة والركوب من «الاغلبية» ازاء «الاقلية» . وسنبين حالا كيف جرت الامور **بعد** المؤتمر . ولكن خذوا نهاية المؤتمر نفسها ، تروا ان «الاغلبية المتراصة» لم تعمد ، **بعد الانتخابات** ، الى اضطهاد المارتوفيين البؤساء ، المركوبين ، المظلومين ، الذين يكابدون عذاب الشهادة ويساقون الى

---

* ص ٣٤٢ . المقصود هنا اختيار عضو خامس للمجلس . بلغ عدد اوراق الاقتراع ٢٤ ورقة (٤٤ صوتا بالاجمال) ، منها ورقتان بيضاوان .

www.kassioun.org

الاعدام ، بل بالعكس ، فانها **تعرض** عليهم **بنفسها** (بلسان لیادوف) **مقعدين من اصل ثلاثة** في لجنة المحاضر (ص ٣٥٤) . خذوا القرارات المتعلقة بالقضايا التكتيكية وغيرها (ص ٣٥٥ وما يليها) ، تروا نقاشا عمليا صرفا من حيث الاساس ، حين نجد ان تواقيع الرفاق الذين تقدموا بمشاريع قرارات غالبا ما تبين ممثلي «الاغلبية» المتراصة الفظيعة وانصار «الاقليـــة» «المستذلة والمهانة» ، مختلطين بعضهم ببعض (ص ص ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ من المحاضر) . فهل يشبه هذا حقا «عزلا عن العمل» او اي «ركوب» آخر ؟

ان النقاش الطريف الوحيـــد – ولكن القصير جدا ، مع الاسف ، – في الاساس انما قام بصـــدد قرار ستاروفـــر بشأن الليبيراليين . ان المؤتمر قد وافق على هذا القرار ، كما يستفاد من التواقيع عليـه (ص ص ٣٥٧ و٣٥٨) ، لأن ثلاثـــة من انصار «الاغلبية» (براون واورلوف واوسيبوف) صوتوا في آن واحد بالموافقة **عليه** وعلى قرار بليخانوف ، دون ان يروا اي تناقض لا حل لـــه بين هذين القرارين . لاول وهلة ، لا يوجـــد تناقض لا حل له بينهمـــا ، اذ ان قرار بليخانوف يضع مبدأ عاما ، ويعرب عن موقف دقيق من وجهـة نظر المبادئ والتكتيك ازاء **الليبيرالية البرجوازية في روسيا** ، بينا يحاول قرار ستاروفر ان يحدد **الشروط الملموســـة لقبول «الاتفاقات الموقتـــة»** مـع «الميول الليبيراليـــة او الديموقراطية-الليبيراليـــة» . ان موضوعي هذين القرارين مختلفان . ولكن قرار ستاروفر يشكو بالضبط **من الميوعة السياسية** ؛ فهو اذن تافه وحقير . وهـــو لا **يحدد المحتوى الطبقي لليبيرالية الروسية** ؛ ولا يشير الى الميول السياسية **المعينة** التي تعكسها ، ولا يبين للبروليتاريا اهدافها **الاساسية** في الدعاية والتحريض ازاء هذه الميول المعينة ؛ ويخلط (بسبب من ميوعته) بين اشياء مختلفة كما هي عليه الحركة الطلابية و«الاوسفوبوجدينييه» (٢٤) ؛ ويفرض بصورة تافهـــة جداً ، متزمتة **ثلاثة** شروط ملموسة يمكن بموجبها قبول «الاتفاقات الموقتة» . وفي هذه الحالة كما في كثير غيرها ، تؤدي الميوعة

www.kassioun.org

السياسية الى التزمت . وانعدام المبدأ العام والرغبة في تعداد «الشروط» يؤديان الى تحديد تافه وبالاحرى – **خاطئ** لهذه الشروط . وبالفعل ، انظروا الى هذه الشروط الثلاثة التي وضعها ستاروفر : ١) ينبغي على «الميول الليبيرالية او الديموقراطية-الليبيرالية» ان «تؤكد بوضوح ، ودون لبس ولا ابهام ، انها ، في نضالها ضد الحكومة الاوتوقراطية تقف بحزم الى جانب الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» . فما هو الفرق بين الميول الليبيرالية والميول الديموقراطية-الليبيرالية ؟ ان القرار لا يقدّم اية معطيات للاجابة عن هذا السؤال . ألا يقوم هذا الفرق في كون الميول الليبيرالية تعبر عن موقف فئات البرجوازية الاقل تقدمية من الناحية السياسية بينما الميول الديموقراطية-الليبيرالية تميز موقف فئات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة الاكثر تقدمية ؟ اذا صح هذا ، فكيف يستطيع الرفيق ستاروفر ان يرى من الممكن ان الفئات البرجوازية الاقل تقدمية (ولكنها تقدمية مع ذلك ، والا لاستحال الحديث عن الليبيرالية) «ستقف بحزم الى جانب الاشتراكية-الديموقراطية ؟ ؟ هذا كلام باطل ، وحتى اذا كان ممثلو هذا الميل «**يؤكدون بوضوح ودون لبس ولا ابهام**» (وهي فرضية مستحيلة اطلاقاً) ، فان **واجبنا** ، نحن حزب البروليتاريا ، **ألاّ نصدق** تصريحاتهم . ان يكون المرء ليبيرالياً ويقف بحزم الى جانب الاشتراكية-الديموقراطية ، لأمران ينفي احدهما الآخر .

ثم ، لنفترض الحالة التالية : «الميول الليبيرالية او الديموقراطية-الليبيرالية» تعلن بوضوح ودون لبس ولا ابهام انها ، في نضالها ضد الاوتوقراطية ، ستقف بحزم الى جانب **الاشتراكيين-الثوريين** . وتلك فرضية اقل خرقاً بكثير (نظراً لطبيعة ميل الاشتراكيين-الثوريين الديموقراطية-البرجوازية) من فرضية الرفيق ستاروفر . فمن قراره ، نظراً لتزمته ولميوعته ، ينجم ان **الاتفاقات الموقتة** مع هذا النوع من الليبيراليين ، **غير مقبولة في هذه الحالات** . ومع ذلك ، فان هذا الاستنتاج الحتمي الذي ينجم من قرار الرفيق ستاروفر يؤدي الى موضوعة **واضحة الخطأ** . فالاتفاقات الموقتة مقبولة مع

www.kassioun.org

الاشتراكيين-الثوريين (انظر قرار المؤتمر بصددهم) ، **وبالتالي** ، مع الليبيراليين الذين يقفون الى جانب الاشتراكيين-الثوريين .

الشرط الثاني : اذا «لم تسجل» هذه الميول «في برامجها مطالب تخالف مصالح الطبقة العاملة والديموقراطية ، بوجه عام ، او تعمّي وعيهما» . هنا ايضاً الخطأ نفسه : فلم توجد قط ولا يمكن ان توجد ميول ديموقراطية-ليبيرالية لا تسجل في برامجها مطالب تخالف مصالح الطبقة العاملة وتعمّي وعيها (اي البروليتاريا) . حتى ان كتلة من اكثر ميلنا الديموقراطي-الليبيرالي ديموقراطية ، واغني بها كتلة الاشتراكيين-الثوريين ، تصوغ في برنامجها ، حيث تسود الفوضى كما في جميع البرامج الليبيرالية ، مطالب تخالف مصالح الطبقة العاملة وتعمي وعيها . من هذا الواقع ، ينبغي استخلاص **ضرورة** «كشف القناع عن ضيق الحركة التحريرية البرجوازية ونقصها» ، لا استحالة قبول الاتفاقات الموقتة .

اخيراً ، «الشرط» الثالث ، الذي عرضه الرفيق ستاروفر (والذي يطلب من الليبيراليين-الديموقراطيين ان يجعلوا من الاقتراع العام ، المتساوي ، المباشر ، السري ، شعار نضالهم) **خاطئ** هو ايضاً ، في الصيغة العامة التي ورد فيها : **فمن غير المعقول** ان نعلن ان الاتفاقات الموقتة والخاصة غير مقبولة في اي حال من الاحوال مع ميول ديموقراطية-ليبيرالية تتخذ شعاراً لها دستوراً يفرض قيوداً انتخابية ، دستوراً «مبتوراً» بوجه عام . وبين هذه الميول بالضبط يمكن من حيث الاساس ، تصنيف «ميل» هؤلاء السادة من «الاوسفوبوجدينييه» ؛ اما ان تقيد يديك ، بمنعك مسبقاً «الاتفاقات الموقتة» ، وإنْ مع اشد الليبيراليين وجلاً ، ففي ذلك دليل على قصر نظر سياسي لا يتلاءم مع مبادئ الماركسية .

الرصيد : القرار الذي عرضه الرفيق ستاروفر ، ووقعه ايضاً الرفيقان مارتوف واكسلرود ، **خاطئ** ؛ ويحسن المؤتمر الثالث صنعاً إن ابطله . وعيبه ، انما هو **الميوعة السياسية** في الموقف النظري والتكتيكي ، انما هو روح التزمت في

www.kassioun.org

«الشروط» العمليـــة التي يفرضها . وهو **يخلط مسألتين** : ١) فضح السمات «المناهضة للثورة وللبروليتاريا» في **كل** ميل ديموقراطي-ليبيرالي وواجب **محاربتها** و٢) **الشروط** التي يمكن بها عقد **اتفاقات** موقتة وخاصة مع اي من هذه الميول . ان هذا القرار لا يعطـــي مـــا يجب (تحليل المحتوى الطبقـــي لليبيرالية) ؛ انما يعطي ما لا يجب (فرض «الشروط») . فمـــن الخرق على وجه العموم ان توضع في مؤتمر للحزب «الشروط» الملموسة لاتفاقات موقتة ، في غياب طرف آخر معين ، هـــو موضوع هذه الاتفاقات المحتملة . وحتى لو كان هذا «الموضوع» موجوداً ، فمن الاصوب مائة مرة ان يترك امر تحديد «الشروط» لاتفاق موقت الى هيئات الحزب المركزية ، كما فعل المؤتمر بصدد «ميل» السادة الاشتراكيين-الثوريين (انظر التعديل الذي اجراه بليخانوف في نهاية قرار الرفيق اكسلرود ، ص ص ٣٦٢ و١٥ من المحاضر) .

اما فيما يخص الاعتراضات التي تقدمت بها «الاقلية» ضد قرار بليخانوف ، فاليكم الحجة الوحيدة التي تذرع بها الرفيق مارتوف : ان قرار بليخانوف «ينتهي باستنتاج حقير : ينبغي فضح متأدب . أفلا يعني هذا كأن «تتسلح بهراوة لتقتـــل ذبابة» ؟» (ص ٣٥٨) . ان هذه الحجة ، التي يُستر بهـــا فقدان التفكير وراء كلمة جارحة – «استنتاج حقير» ، – تقدم لنا مثالاً جديداً على الجملة الدعية الطنانة . اولاً ، ان قرار بليخانوف يتحدث عن «كشف القناع امام البروليتاريا عـــن ضيق الحركة التحررية البرجوازية ونقصها ، حيثمـــا يبدو هذا الضيق وهذا النقص» . ولذا كان من اللغو الصرف ان يزعم الرفيق مارتوف (في مؤتمر العصبة ، ص ٨٨ من المحاضر) انـــه «ينبغي توجيه كل الانتباه الى ستروفه وحده ، الى ليبيرالي واحد» . ثانياً ، ان مقارنة السيد ستروفه «بذبابة» ، حين يكون المقصود امكان عقد اتفاقات موقتة مع الليبيراليين الروس ، انما تعني التضحية بالبداهة السياسية الاولية من اجل كلمة جارحة . كلا ، ان السيد ستروفـــه ليس ذبابة ، انه قوة سياسية ؛ واذا كان كذلك ، فليس لأنه ، شخصياً ، وجـــه

www.kassioun.org

بارز . ان صفته كقوة سياسية ، انما يستمدها من موقفه بوصفه الممثل الوحيد لليبيرالية الروسية في العالم غير الشرعي ، وهي ليبيرالية أهل للعمل ومنظمة ، الى هذا الحد او ذاك . ولذا ، كان الكلام عن الليبيراليين الروس وموقف حزبنا منهم ، دون حسبان الحساب للسيد ستروفه بالضبط و«الاوسفوبوجدينييه» بالضبط يعني كأنك تتكلم لكي لا تقول شيئا . او ربما ان الرفيق مارتوف سيحاول ان يهدينا الى «ميل ليبيرالي او ديموقراطي-ليبيرالي» ، **واحد وحيد على الاقل** ، في روسيا ، يستطيع في الوقت الحاضر ان يضاهي ، ولو قليلاً ، ميل «الاوسفوبوجدينييه» ؟ وانه سيكون طريفاً حقاً ان نرى مثل هذه المحاولة ! * .

«ان اسم ستروفه لا يعني شيئاً بنظر العمال» ، هكذا قال الرفيق كوستروف لتأييد الرفيق مارتوف . ان هذه الحجة ، سواء طاب للرفيقين كوستروف ومارتوف ام لا ، مشبعة بروح اكيموف . فهي أشبه بالبروليتاريا في حالة المضاف (٢٥) .

---

* في مؤتمر العصبة ، ادلى الرفيق مارتوف بهذه الحجة ايضا ضد قرار الرفيق بليخانوف : «ان الاعتبار الرئيسي ضد هذا القرار ، نقصه الرئيسي ، انه يتجاهل تماما ان واجبنا ان لا نتهرب ، في النضال ضد الاوتوقراطية ، من التحالف مع العناصر الديموقراطية-الليبيرالية . ومن الممكن ان الرفيق لينين كان اسمى مثل هذا الميل بالميل المارتينوفي . وهذا الميل يتجلى الآن في «الايسكرا» الجديدة» (ص ٨٨) .

ان هذا المقطع لعقد من «الدرر» نادر الغنى . ١) ان الكلام بصدد **التحالف** مع الليبيراليين لفي اقصى التشوش . ان احدا لم يتحدث قط عن التحالف ، ايها الرفيق مارتوف ، بل عن اتفاقات موقتة او خاصة فقط . وهذا فرق كبير . ٢) اذا كان بليخانوف يتجاهل في القرار «التحالف» الذي لا يصدق ، ولا يتحدث ، بوجه عام ، الا عن «التأييد» ، فليس هذا بسيئة قراره بل حسنته . ٣) ألا يتفضل الرفيق مارتوف ويشرح لنا بماذا تتصف ، بوجه عام ، «الميول المارتينوفية» ؟ ألا يتفضل ويحدثنا عن علاقة هذه الميول بالانتهازية ؟ ألا يتفضل ويدرس علاقة هذه الميول مع الفقرة الاولى من النظام الداخلي ؟ ٤) اني حقا وفعلا اتحرق شوقا لكي اسمع من الرفيق مارتوف كيف تجلت «الميول المارتينوفية» في «الايسكرا» «الجديدة» . ارجوك ، ايها الرفيق مارتوف ، انقذني باسرع ما يمكن من عذابات الانتظار !

www.kassioun.org

من هم العمال الذين بنظرهم «لا يعني اسم ستروفه شيئاً» (وكذلك اسم «الاوسفوبوجدينييه» الوارد في قرار الرفيق بليخانوف الى جانب اسم السيد ستروفه) ؟ انهم العمال الذين قلما يعرفون او لا يعرفون ابداً «الميول الليبيرالية او الليبيرالية-الديموقراطية» في روسيا . ترى ، ما ينبغي ان يكون عليه موقف مؤتمرنا الحزبي من هؤلاء العمال ؟ أيجب عليه ان يكلف اعضاء الحزب باطلاع هؤلاء العمال على الميل الليبيرالي الواضح الوحيد في روسيا ، ام انه يجب عليه ان **يلزم الصمت** حول اسم قلّما يعرفه هؤلاء العمال بسبب من قلة معارفهم في السياسة ؟ اذا كان الرفيق كوستروف ، بعد ان خطا الخطوة الاولى اثر الرفيق اكيموف ، لا يريد ان يخطو الخطوة الثانية ، فانه سيحل هذه المسألة حتماً بالمعنى الاول . وحين يحلها بالمعنى الاول ، يلمس كل وهن حجته . **وفي كل حال** ، ان كلمتي : «ستروفه» و«الاوسفوبوجدينييه» ، في قرار بليخانوف ، **قد تعطيان** العمال اكثر بما لا حد له مما تعطيه كلمات : «الميل الليبيرالي او الديموقراطي-الليبيرالي» في قرار ستاروفر .

ففي الوقت الحاضر ، لا يستطيع العامل الروسي ان يطّلع عملياً على الميول السياسية الواضحة بعض الشيء لليبيراليتنا الا عن طريق «الاوسفوبوجدينييه» . وفي هذا الصدد ، لا تساوي المنشورات الليبيرالية المشروعة شيئاً ، لأنها ، على وجه الضبط ، غامضة جداً . وضد جماعة «الاوسفوبوجدينييه» يجب علينا ان نوجه سلاح نقدنا باشد ما يمكن من الحمية (وامام اوسع ما يمكن من جماهير العمال) لكي تتمكن البروليتاريا الروسية ، في ثورة الغد ، من ان تشل ، بنقد حقيقي بالسلاح ، المحاولات التي سيقوم بها حتماً هؤلاء السادة من «الاوسفوبوجدينييه» لتقليص طبيعة الانقلاب الديموقراطية .

www.kassioun.org

علاوة على «تعجب» الرفيق ايغوروف من «التأييد» الذي نمحضه نحن للحركة المعارضة والثورية ، – وهذا ما اشرت اليه اعلاه ، – لم تعط المناقشات حول القرارات اي مواد طريفة ، ناهيك بانه لم تحدث تقريبا اية مناقشات .

انهى المؤتمر اعماله بتذكير موجز من الرئيس حول الزامية قرارات المؤتمر بالنسبة لجميع اعضاء الحزب .

ن – لوحة عامة عن الصراع في المؤتمر . الجناح الثوري والجناح الانتهازي في الحزب

الآن وقد فرغنا من تحليل المناقشات والتصويتات في المؤتمر ، ينبغي لنا ان نلخص كل ما سبق لكي نجيب ، بالاستناد الى **جميع** وثائق المؤتمر ، عن السؤال التالي : من اية عناصر وكتل وتلاوين تكونت في النهاية الاغلبية والاقليـــة اللتان رأيناهما في التصويت واللتان شكلتا ، لفترة من الزمـن ، الانقسام الاساسي في حزبنا ؟ من الضروري ان نضع رصيـــد الوثائق الوافرة التي تقدمها لنا محاضر المؤتمـر حول التلاوين المبدئية ، في حقل النظرية والتكتيك . فبدون «جردة» عامة ، دون لوحة اجمالية عن المؤتمر كله وعن جميـــع التكتلات الرئيسية ، لدن عمليات التصويت ، تظل هذه الوثائق مجزأة جداً ، مبعثرة ، الى حد ان هذه التكتلات او تلك تبدو عرضية لاول وهلة ، ولا سيما بالنسبة لكل من لا يكلف نفسه عناء **دراسة** محاضر المؤتمر ، بكل استقلال ، وبالتفصيل (وهل بين القراء كثيرون كلفوا انفسهم هذا العناء ؟) .

غالباً ما تتردد في محاضر البرلمان الانكليزي كلمـــة division – الانقسام – ذات الدلالة . فيقال بشأن التصويت حول مسألة ما ان المجلس قد «انقسم» الى اغلبية معينة واقلية . ان «انقسام» مجلسنا الاشتراكي-الديموقراطي لدن مناقشة شتى المسائل في المؤتمر ، يعرض لنا لوحة عن الصراع في داخـــل

www.kassioun.org

الحزب ، وعن تلاوينه وفرقه ، لوحة لا **مثيل لها** ، **فريدة مِـــن نوعها من حيث الشمول والدقة** . ولتوضيح هذه اللوحـة ، للحصول على **لوحة** حقيقية ، لا على كومة من وقائع واحداث مبعثرة ، لا لحمة بينها ، منعزل بعضها عن بعض ، لوضـــع حد للمناقشات السخيفـــة التي لا نهاية لها بصدد بعض التصويتات (من صوّت لهذا ؟ من أيّد الآخر ؟) ، حاولت ان ارســـم ، بشكل **مخطط** ، **جميـــع** النماذج **الرئيسيـــة** «للانقسامات» في مؤتمرنـــا . يقينـــاً ان كثيرين وكثيرين سيستغربون هذه الطريقة ، ولكني اشك في امكان ايجاد طريقة اخرى تتيح حقاً التعميم والتلخيص بمثل هذا الكمال وهذه الدقة . فحين يجري التصويت بالمناداة على الاسماء ، يمكـــن التأكيد بدقة مطلقة اذا كان هذا المندوب او ذاك قد صوت لاقتراح معين او ضده ؛ وفي بعض التصويتات الهامة التي لا تجرى بالمناداة على الاسماء ، من الممكن توضيح المسألـــة بدرجة عليا من الاحتمال ومع الاقتراب كثيراً من الحقيقة ، بالاستناد الى المحاضر . واذا اخذنا بعين الاعتبار **جميـــع** التصويتات بالمناداة على الاسماء ، وكذلك جميع التصويتات دون المناداة على الاسماء حول مسائل تتسم ببعض الاهمية (نظراً ، مثلاً ، لمدى النقاش وحدته) ، حصلنا على لوحة عن الصراع الداخلي في حزبنا ، على صورة تتسم باكبر قدر ممكن مـــن الموضوعية نظراً للوثائق الموجودة . ثم اننا بدلاً من اعطاء صورة فوتوغرافية ، اي صورة عن كل تصويـــت بمفرده ، سنحاول ان نرسم لوحة ، اي اننا سنحاول ان نشير الى جميع **النماذج** الرئيسية من التصويتات ، تاركين جانباً الاستثناءات والتغييرات القليلة الاهمية نسبياً ، التي لا تفعل غير ان تشوش الامور . وعلى كل حال ، سيكون في وسع كل امرئ ان يتحقق ، بالاستناد الى المحاضر ، من اقل تفصيل في لوحتنا ، وان يكملها بالتصويت الذي يشاء ، وبكلمة ، ان ينتقدها لا بالقرائن او الشكوك او الاستشهاد بامثلة منفردة وحسب ، بل ايضاً برسم **لوحة مختلفة** بالاستناد الى الوثائق نفسها .

ونحن ، اذ نسجل على المخطط كل مندوب اشترك في

www.kassioun.org

التصويت ، نشير ايضاً بمختلف الترقينات الى الكتل الاساسية الاربع التي تتبعناها بالتفصيل خلال كل المناقشات في المؤتمر ونعني بها :١ – ايسكريي الاغلبية ؛ و٢ – ايسكريي الاقلية ؛ و٣ – «الوسط» و٤ – اخصام الايسكريين . ولقد لاحظنا الفوارق بين هذه الكتل ، من حيث التلاوين المبدئية ، **في جملة من الامثلة** ؛ واذا كان هناك من لا ترضيهم **اسماء** هذه الكتل ، لأنها اكثر ما تذكرّ هواة التعرجات بمنظمة «الايسكرا» وميل «الايسكرا» ، فاننا نقول لهم ان لا اهمية للاسم . والآن ، وقد لحظنا التلاوين عبر **جميع** مناقشات المؤتمر ، من اليسير ان نستعيض عن التسميات الحزبية ، التي رسخت واصبحت أليفة (وهي تسميات تخدّش آذان بعضهم) ، بوصف **جوهر التلاوين بين الكتل** . وهذا ما يعطينا للكتل الاربع نفسها التسميات التالية : ١ – الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين المنسجمين ؛ ٢ – الانتهازيين الصغار ؛ ٣ – الانتهازيين المتوسطين و٤ – الانتهازيين الكبار (كبار على نطاقنا الروسي) . لنأمل ان تصدم هذه التسميات بدرجة اقل اولئك الذين شرعوا منذ بعض الوقت يقنعون انفسهم ويقنعون الآخرين بان «الايسكري» تسمية لا تشمل الا «الحلقة» ، لا **الاتجاه** .

لننتقل الى وصف نماذج التصويت و«صورها الفوتوغرافية» في هذا المخطط وصفاً مفصلاً (انظر المخطط : «لوحة عامة عن الصراع في المؤتمر») .

ان النموذج الاول من التصويت (أ) يشمل الحالات التي سار فيها «الوسط» مع الايسكريين ضد اخصام الايسكريين او قسم منهم . وهو يشمل التصويت حول البرنامج بمجمله (الرفيق اكيموف وحده استنكف ، بينا صوّت الآخرون بالموافقة) ، والتصويت حول القرار المبدئي ضد الاتحاد الفيديرالي (الجميع صوتوا بالموافقة ، باستثناء خمسة بوندين) ، والتصويت حول الفقرة ٢ من النظام الداخلي للبوند (عارض خمسة بوندين ، استنكف خمسة : مارتينوف ، واكيموف ، وبروكر ، وماخوف ، وهذا الاخير بصوتين ، الآخرون صوتوا لنا) ؛ **وهذا التصويت هو الذي يظهر في**

www.kassioun.org

لوحة عامة عن الصراع في المؤتمر

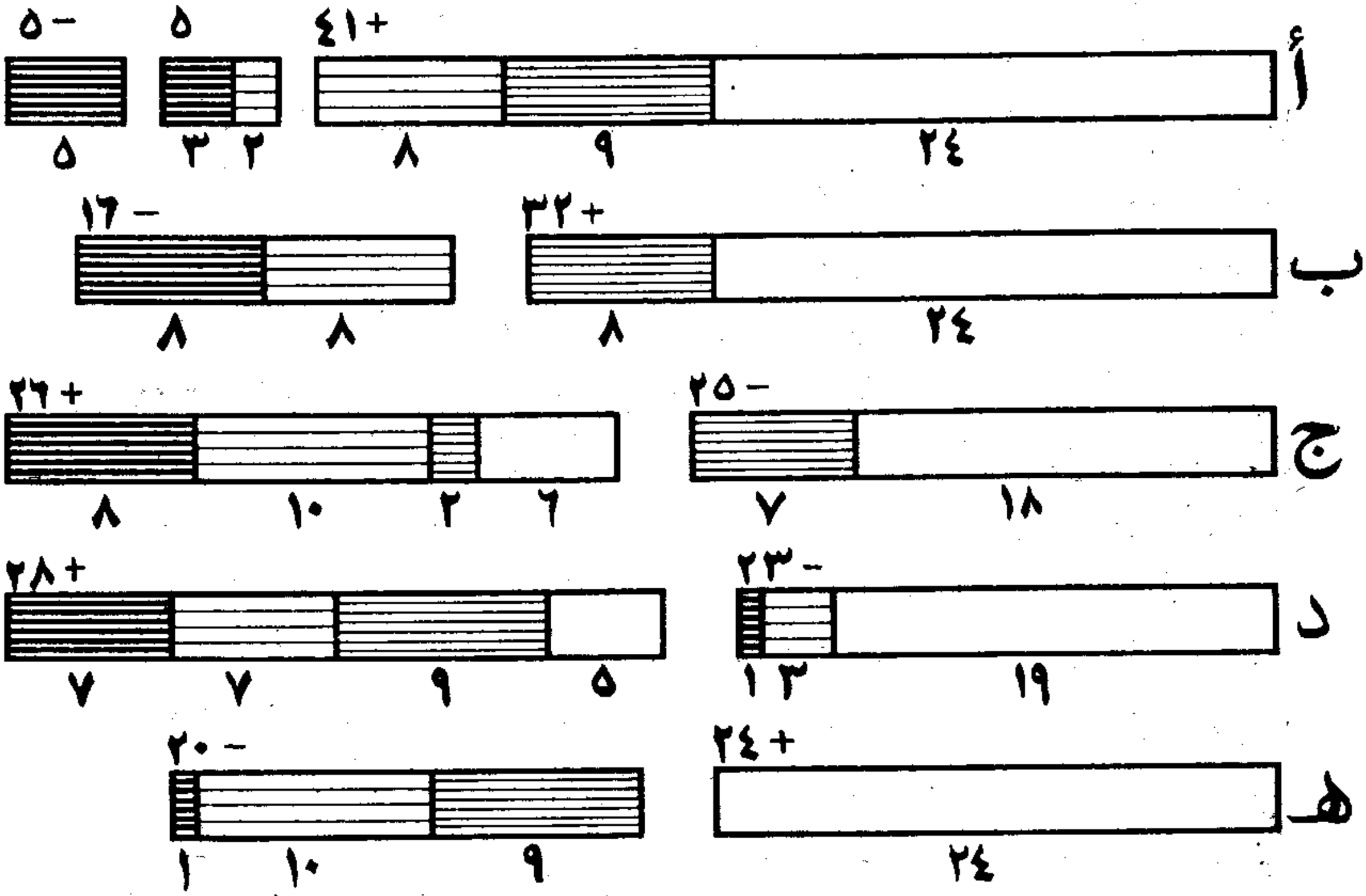

ان الارقام التي تسبقها علامة زائـــد (+) او ناقص (–) تشيـــر الى عدد اصوات **الموافقة او المعارضـــة** حول القضايا المعنية ، والارقام تحت المستطيلات تشير الى عدد اصوات كل مـــن الكتـــل الاربع . امـــا طابع التصويتات بالنسبة لكل مـــن النماذج من أ الى هـ ، فوارد في النص .

تعيين الكتل :

- ايسكريو الاغلبية
- ايسكريو الاقلية
- الوسط
- اخصام الايسكريين

www.kassioun.org

المخطط أ . ثم ان التصويتات **الثلاثة** حول الاقتراح بتثبيت «الايسكرا» جريدة الحزب المركزية كانت ايضاً من النموذج نفسه ؛ استنكفت هيئة التحرير (خمسة اصوات) ، وفي التصويتات الثلاثة كلها ، عارض اثنان (اكيموف وبروكر) ؛ وفضلا عن ذلك ، استنكف خمسة بونديين والرفيق مارتينوف ، عند التصويت على **الاسباب الموجبة** لتثبيت «الايسكرا» * .

ان نموذج التصويت المبحوث يجيب عن سؤال في غاية الطرافة والاهمية : متى تبع «وسط» المؤتمر الايسكريين ؟ إما حين **كان اخصام الايسكريين هم ايضاً معنا** ، باستثناء عدد قليل جداً منهم (اقرار البرنامج ، تثبيت «الايسكرا» بصرف النظر عن الاسباب الموجبة) ، وإما حين كان الامر **يتعلق بتصريحات** لم تكن تلزم حتى ذاك مباشرة بموقف سياسي دقيق معين (الاعتراف بعمل «الايسكرا» التنظيمي لا يلزم بعد بان يصار فعلاً الى تطبيق سياستها في حقل التنظيم ، على الكتل الخاصة ؛ ان مجرد رفض الاتحاد الفيديرالي لا يحول دون الاستنكاف حين توضع مسألة مشروع ملموس بالاتحاد ، كما رأينا من مثال الرفيق ماخوف) . وقد رأينا آنفاً ، في حديثنا عن معنى التكتلات في المؤتمر بوجه عام ، الى اي حد أسيء بسط هذه المسألة في العرض الرسمي لـ«لايسكرا» الرسمية التي (بلسان الرفيق مارتوف) **تطمس ، وتخفي** الفرق بين الايسكريين و«الوسط» ، بين الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين المنسجمين والانتهازيين ، باستشهادها **بحالات كان فيها اخصام الايسكريين انفسهم معنا** ! حتى ان اكثر الانتهازيين الالمان والفرنسيين انحرافاً الى «اليمين» في الحزبين الاشتراكيين-

---

* لماذا اختير للمخطط التصويت حول الفقرة ٢ من النظام الداخلي للبوند ؟ لأن التصويتات بتثبيت «الايسكرا» اقل كمالا ، بينا التصويتان حول البرنامج والاتحاد الفيديرالي يتعلقان بقرارات سياسية محددة بصورة ملموسة اقل . ان اختيار هذا التصويت او ذاك بين التصويتات من **النموذج نفسه** لن يغير شيئاً ، بوجه عام ، من خطوط اللوحة الاساسية ، كما يستطيع ان يتأكد كل امرىء من ذلك بسهولة ، باجراء التغييرات المناسبة .

www.kassioun.org

الديموقراطيين ، لا يصوتون ابداً بالمعارضة في مسائل **كافرار البرنامج بمجمله** .

ان النموذج الثاني من التصويت (ب) يشمل الحالات التي كان فيها الايسكريون ، المنسجمون منهم وغير المنسجمين ، ضد جميع اخصام الايسكريين وكل «الوسط» . وهذه الحالات كانت على الاخص تلك التي كان المقصود فيها تطبيق الخطط الملموسة والمحددة لسياسة «الايسكرا» ، والاعتراف بـ«الايسكرا» **فعلا ، لا قولاً فقط** . وفي عداد هذه الحالات ، **حادث اللجنة التنظيمية** * ، وايلاء المرتبة الاولى لمسألة وضع البوند في الحزب ، وحل فرقة «يوجني رابوتشي» ، والتصويتان حول البرنامج الزراعي ، واخيراً ، سادساً ، التصويت **ضد** اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج («رابوتشييه ديلو») ، اي الاعتراف بالعصبة المنظمة الوحيدة للحزب في الخارج . ان نظام الحلقات القديم ، الذي كان قائماً قبل تأليف الحزب ، ومصالح المنظمات او الجماعات الانتهازية الصغيرة ، والتفهم الضيق للماركسية ، كل هذه العوامل تجابهت هنا مع السياسة المنسجمة الى النهاية والمنطبقة بكل دقة على مبادئ الاشتراكية-الديموقراطية الثورية . وقد ظل معنا ايسكريو الاقلية في جملة من التصويتات الفائقة الاهمية (من وجهة نظر اللجنة التنظيمية ، و«يوجني رابوتشي» ، و«رابوتشييه

---

* ان هذا التصويت هو الوارد في المخطط ب : فقد احرز الايسكريون ٣٢ صوتاً ، والقرار البوندي ١٦ . ونلاحظ ان **ليس في** عداد التصويتات من هذا النموذج **اي** تصويت **بالمناداة على الاسماء** ، ولا يمكن تبيان توزع المندوبين – بدرجة عليا من الاحتمال – الا بنوعين من المعطيات : ١ – في المناقشات ، خطباء فريقي الايسكريين يؤيدون ، وخطباء اخصام الايسكريين والوسط يعارضون ؛ ٢ – عدد الاصوات «**بالموافقة**» يظل دائماً قريباً جداً من ٣٣ . وينبغي ألا ننسى ايضاً اننا ، عند تحليل المناقشات في المؤتمر ، لاحظنا ، علاوة على التصويتات ، **حالات عديدة** مشى فيها «الوسط» مع اخصام الايسكريين (الانتهازيين) ضدنا . ونشير هنا الى المسألة المتعلقة بالقيمة المطلقة للمطالب الديموقراطية ، وتأييد عناصر المعارضة ، والتضييق من المركزية ، **الخ . .**

www.kassioun.org

ديلو») . . . الى ان تناول الامر روحهـــم الحلقي بالذات ، تذبذبهم بالذات . ان «الانقسامات» من النموذج المبحوث تبين بوضوح ان **الوسط مشى مع اخصام الايسكريين** في عدد مـــن المسائل التي تتعلق بتطبيق مبادئنا ، وانه كان قريباً منهـم اكثر بكثير من قربـه منا ؛ وانه كان **عملياً** يميل الى الجناح **الانتهازي** اكثـــر بكثيـر ممـــا يميل الى الجناح **الثوري** في الاشتراكية-الديموقراطية . ان «الايسكريين» **بالاسم** ، الذين يخجلون من **ان يكونوا** ايسكريين ، قد كشفوا طبيعتهـــم الحقيقية ؛ والصراع المحتوم اثار الاعصاب اثارة كبرى اخفت عن عيون اقل العناصر تفكيراً واشدها تأثراً ، مغزى التلاوين المبدئية التي كشفها هذا الصراع . اما الآن ، وقد هدأت نار الصراع قليلاً وبقيت المحاضر اشبه بالزبدة الموضوعيـــة لجملة من المعارك الحامية ، فان الذين لا يريدون ان يروا هم وحدهم الذين يستطيعون ألا يروا الآن ان التحالف بين اضراب ماخوف وايغوروف من جهة واضراب اكيموف وليبر من جهـــة اخرى لم يكن من قبيل الصدفة ولم يكن بالامكان ان لا يكون كذلك . ولا يبقى لمارتوف واكسلرود الا ان يتملصا من اجراء تحليل شامل ودقيق للمحاضر ، او ان يحاولا اعطاء اوحـــة عن مسلكهما في المؤتمر **غير ما كانت عليه** ، وذلـك بشتى تعابير **الأسف** . كأنما يمكن ، بالاسف ، تلافي الفرق في وجهات النظر والفرق في السياسة ! كأن التحالف الحالي بين مارتوف واكسلرود من جهة واكيموف وبروكر ومارتينوف من جهـــة اخرى ، بامكانه ان يكره حزبنا ، الذي انبعث في المؤتمـــر الثاني ، على نسيان النضال الذي خاضه الايسكريون ضـــد اخصام الايسكريين خلال كل مدة المؤتمر تقريبا !

اما ما يصف النموذج الثالث من التصويتات في المؤتمر ، وتمثله الاقسام الثلاثة الاخيرة من اصل الخمسة من المخطط (ج ، د ، هـ) ، فهو **ان قسماً ضئيلاً من الايسكريين ينفصل وينتقل الى جانب اخصام الايسكريين** ولهذا السبب ، يحرز اخصام الايسكريين النصر (طالما هم في المؤتمر) . ولكي نبين بدقة مطلقة تطور هذا **الائتلاف** الشهير بين الاقلية الايسكرية

www.kassioun.org

واخصام الايسكريين ، الذي كان مجرد التذكير به يحمـــل مارتوف على توجيه رسائل هستيرية في المؤتمر ، نورد جميع النماذج الرئيسية الثلاثة من هذا النوع من التصويتات **بالمناداة على الاسماء** . ج – التصويت حول المساواة بين اللغات (ونأخذ التصويت الاخير بين التصويتات الثلاثة بالمناداة على الاسماء بصدد هذه المسألـــة ، باعتباره اكملها) . جميـع اخصام الايسكريين والوسط بأسره يهبون كرجل واحد ضدنا ، بينـــا ينفصل قسم من الاغلبية وقسم من الاقلية عن الايسكريين . **وحتى ذاك يُرى اي هم الايسكريون الذين يستطيعون تكوين ائتلاف نهائي وراسخ مع الجناح «اليميني» الانتهازي في المؤتمر .** ثم يأتي النموذج د – التصويت حول الفقرة الاولى من النظام الداخلي (ونذكر بين التصويتين ادقهما ، اي الذي جرى دون اي استنكاف) . **يبرز الائتلاف بمزيد من الوضوح والرسوخ** * : فان ايسكريي الاقلية يقفون **جميعهم** الى جانب اكيموف وليبر ؛ وبين ايسكريي الاغلبية ، لا يقف الى جانب اكيموف وليبـر سوى عدد قليل جداً ، مما يعوّض عن مندوبي «الوسط» الثلاثة وواحد من اخصام الايسكريين الذين انتقلوا الى جانبنا . وحسب المرء ان يلقي نظرة واحدة الى المخطط حتى يرى أية هي العناصر التي انتقلت صدفة وموقتاً تارة الى جانب وطوراً الى آخر ، واية هي العناصر التي كانت **تسير بلا مرد** نحـو **ائتلاف راسخ مع الاكيموفيين** . وفي التصويـــت الاخير (هـ – انتخاب هيئة الجريدة المركزية ، واللجنة المركزية ، ومجلس

---

* **كل شيء يشير** الى انه جرت ايضا **اربعة تصويتات** من الطراز نفسه **على النظام الداخلي** : ص ٢٧٨ ــ لفومين ٢٧ ، ضد ٢١ لنا ؛ ص ٢٧٩ ــ لمارتوف ٢٦ ، ضد ٢٤ لنا ؛ ص ٢٨٠ ــ ضدي ٢٧ ، معي ٢٢ ؛ في المكان نفسه ــ لمارتوف ٢٤ ، ضد ٢٣ لنـــا . هذه هي التصويتات التي سبق ان تحدثت عنها فيما يتعلق بالتعيين الداخلـــي للمركزين . لا تصويتات بالمناداة على الاسماء (جرى تصويت واحد من هذا النوع ، ولكنه ضاع) . البونديون (جميعهم او قسم منهم) **ينقذون** مارتوف ، على ما يظهر . اما مزاعم مارتوف الخاطئة (في العصبة) بصدد التصويتات من هذا الطراز ، فقد اصلحت اعلاه .

www.kassioun.org

الحزب) ، **الذي يمثل بالضبط الإنقسام النهائي الى اغلبيـــة واقلية** ، نرى بوضوح اندماج الاقلية الايسكرية اندماجاً تاماً **مع كل** «الوسط» ومع **بقايا** اخصام الايسكريين . وفي تلـــك اللحظة لم يبق في المؤتمر من اخصام الايسكريين الثمانية سوى الرفيق بروكر **وحده** (فقد سبق ان اوضح له الرفيق اكيموف خطأه فأخذ المكان الذي يعود له شرعاً بين **انصار مارتوف**) .

ان انسحاب **الانتهازيين** السبعة **الاكثر ميلاً** «**الى اليمين**» قرر مصير الانتخابات في غير صالح مارتوف * .

والآن نستخلص رصيد المؤتمر استناداً الى المعطيات الموضوعية المتعلقة **بكل نموذج** من التصويتات .

لقد كثر الحديث عن طابع الاغلبية «**العرضي**» في مؤتمرنا . بهذه الذريعة وحدها ، عزّى الرفيق مارتوف نفسه في «مرة اخرى اقلية» . المخطط يبين بوضوح انه يمكن نعـــت الاغلبية ، **بمعنى ما** ، ولكن بمعنى واحد فقط ، بانها عرضية : بمعنى ان انسحاب المندوبين السبعة الاكثر انتهازية في الجناح «**اليميني**» كان **عرضيا** . وبقدر ما كان هذا الانسحاب عرضياً ، **بقدر** (لا اكثـر) مـا كانـت اغلبيتنا عرضية ايضـــاً . ان مجرد نظرة الى المخطط تبين ، خيراً من الشروح الطويلة ، الى اي جانب كان يمكن ، **كان لا بدّ** لهؤلاء المندوبين السبعة **ان يقفوا** * * . ولكننا نتساءل : الى اي حد يمكن حقاً اعتبـــار

---

* الانتهازيون السبعة الذين انسحبوا من المؤتمر الثاني كانوا البونديين الخمسة (انسحب البوند من الحزب بعد ان رفض المؤتمر الثاني المبدأ الاتحادي ـ الفيديرالي) ومندوبين اثنين من «رابوتشييـــه ديلو» ، هما الرفيق مارتينوف والرفيق اكيموف . وقد غادر هذان الاخيران المؤتمر بعد الاعتراف بالعصبة الايسكرية المنظمة **الوحيدة** للحزب في الخارج ، اي بعد حل «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» التابع لـ«رابوتشييه ديلو» في الخارج . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

* * سنرى فيما بعد ان الرفيق اكيموف ولجنة فورونيج ، التي **قرابتها** مع الرفيق اكيموف هي الاقوى ، قد اعربا ، **بعد** المؤتمر ، بوضوح ، عن عطفهما على «**الاقلية**» .

www.kassioun.org

انسحاب هؤلاء المندوبين السبعة عرضياً ؟ وهو سؤال لا يحب ان يتساءله اولئك الذين يتحدثون بكل طيبة خاطر عن طابع الاغلبية «العرضي» . سؤال مزعج لهم . هل من قبيل الصدفة ان احزم ممثلي الجناح **اليميني** في حزبنا هم الذين انسحبوا من المؤتمر لا ممثلو الجناح **اليساري** ؟ هل من قبيل الصدفة ان **الانتهازيين** هم الذين انسحبوا لا **الاشتراكيون-الديموقراطيون الثوريون** المنسجمون ؟وهذا الانسحاب «العرضي» ، ترى ، أليس له بعض الصلة بالنضال الذي قام ضد الجناح الانتهازي اثناء المؤتمر كله ، والذي يبدو بمثل هذا الوضوح في مخططنا ؟

حسبنا ان نطرح هذه الاسئلة ، التي تزعج الاقلية ، لكي ندرك اي واقع **تغطيه** هذه الاقاويل حول طابع الاغلبية العرضي . فهو هذا الواقع الأكيد الذي لا جدال فيه ، واقـــع **ان الاقلية تألفت من اشد اعضاء حزبنا ميلاً الى الانتهازية** . لقد تألفت الاقلية من عناصر الحزب **الاقل استقراراً** من حيث النظرية ، **الاقل انسجاماً من حيث المبادئ** . لقد تألفت الاقلية بالضبط من **الجناح اليميني** في الحزب . وما الانقسام الى اغلبيـــة واقليـة الا التتمـة المباشرة والمحتومة لانقسام الاشتراكية-الديموقراطية هذا الى جناح ثوري وجناح انتهازي ، الى جبل وجيروند (٢٦) ، وهو انقسام ليس ابن الامس قط ، ولا يمتاز به حزب العمال الروسي وحده ، ويقيناً انه لـــن يزول غدا .

ان هذا الواقع يتسم باهمية رئيسية لايضاح اسباب الخلافات وتطوراتها . واذا حاول المرء ان **يتجنب** هذا الواقع بنفي او طمس الصراع في المؤتمر والتلاوين المبدئية التي برزت في هذا الصراع ، فكأنه يمنح نفسه شهادة فقر فكري وسياسي مدقع . ولكي **يدحض** المرء هذا الواقع ، يتعين عليه **اولاً** ان يبين ان اللوحة العامة للتصويتات و«الانقسامات» في مؤتمر حزبنا تختلف عن اللوحة التي أعرضها ؛ ويتعيّن عليه **ثانياً** ان يبين ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين الاشـــد

www.kassioun.org

انسجاماً ، اولئك الذين تسموا في روسيا باسم الايسكريين * ، قد **اخطأوا في الاساس** ، في جميع المسائل التي «انقسم» المؤتمر حولها . فحاولوا اذن ان تبينوه ، ايها السادة !

ان كون الاقلية تتألف من اكثر عناصر الحزب انتهازية واقلها استقراراً وانسجاماً ، يعطي ، فيما يعطي ، جواباً عن التساؤلات والاعتراضات العديدة التي وجهها الى الاغلبية نفر من الناس يسيئون فهم المسألة او لم يتعمقوا بها كفاية . أليس من التفاهة ، كما يقال لنا ، ان نفسر **الخلافات** بخطأ طفيف للرفيق مارتوف والرفيق اكسلرود ؟ اجل ، ايها السادة ، ان خطأ الرفيق مارتوف لم يكن كبيراً (وقد اشرت الى ذلك امام المؤتمر في معمعان الصراع) ؛ ولكن هذا الخطأ الصغير **كان بوسعه** ان يتسبب **(وقد تسبب)** بكثير من الاذى ، لأن الرفيق مارتوف قد جذبه الى جانبهم مندوبون ارتكبوا **جملة كاملة من الاخطاء** واظهروا ، في جملة كاملة من المسائل ، ميلاً الى الانتهازية وفقداناً للصلابة المبدئية . اما ان يكون الرفيقان مارتوف واكسلرود قد اعوزهما الثبات ، فان هذا واقع فردي قليل الاهمية ؛ غير ان هناك بالمقابل واقعاً غير فردي ولكنه يتعلق **بالحزب ولا يمكن ابداً اعتباره قليل الاهمية** ، هو ان اقلية

---

* ملاحظة الى الرفيق مارتوف . اذا كان الرفيق مارتوف قد نسي الآن ان **الايسكري** هو **نصير اتجاه** لا **عضو حلقة** ، فاننا نوصيه بان يطالع في محاضر المؤتمر التفسير الذي فسر به الرفيق تروتسكي هذه المسالة للرفيق اكيموف . ثلاث حلقات : فرقة «تحرير العمل» ؛ وهيئة تحرير «الايسكرا» ، ومنظمة «الايسكرا» ، كانت في المؤتمر **حلقات** ايسكرية (بالنسبة للحزب) . اثنتان من هذه الحلقات كانتا على درجة من الرشد والتبصر بحيث انهما حلتا نفسيهما ؛ اما الثالثة فقد اعوزها الروح الحزبي لكي تسلك السلوك نفسه ، فحلها المؤتمر . ان الحلقة الايسكرية الاكثر اتساعا ، منظمة «الايسكرا» (التي كانت تضم هيئة التحرير وفرقة «تحرير العمل») لم تكن تعد في المؤتمر الا ١٦ عضوا ، **احد عشر عضوا فقط** منهم كانت لهم اصوات تقريرية . اما ذوو **الاتجاه** الايسكري ، ولكنهم لا ينتسبون الى اي «حلقة» ايسكرية ؛ فكانوا يعدون في المؤتمر ، وفقا لحساباتي ، **٢٧ مع ٣٣ صوتا** . اذن ، بين الايسكريين ، كان **اقل من النصف** ينتسبون الى **الحلقات** الايسكرية .

www.kassioun.org

ملحوظة جداً جداً ، قد تألفت من **جميع** العناصر الاقل ثباتاً ، من **جميع الذين** لم يقروا اطلاقاً باتجاه «الايسكرا» وحاربوه مباشرة ، او اقروا به قولاً ولكنهم ساروا **فعلاً** في اغلب الاحيان مع اخصام الايسكريين .

أليس من المضحك ان **نفسر** الخلافات بسيطرة الروح الحلقية المتحجرة وضيق الافق الثوري في الحلقة الصغيرة التي كانت تتألف منها هيئة التحرير القديمة لـ«الايسكرا» ؟ كلا ، هذا ليس مضحكاً لان **كل** ما كافح **في حزبنا** خلال المؤتمر كله ، في سبيل **كل نهج قوامه الحلقات** ؛ كل ما كان ، **بوجه عام ، عاجزاً عن الارتفاع** فوق ضيق الافق الثوري ؛ كل ما كان يتذرع بالطابع «التاريخي» لشر ضيق الافق والروح الحلقية لتبرير هذا الشر والحفاظ عليه ، – لأن كل ذلك **قد محض هذا** الروح الحلقي **الفردي** تأييده . وقد يمكن القول ، اغلب الظن ، ان كون المصالح الضيقة الحلقية قد تغلبت على الحزبية في الحلقة الصغيرة لهيئة تحرير «الايسكرا» هو امر عرضي . ولكنه ليس من باب الصدفة ان هبّ للدفاع عن هذا الروح الحلقي ، كرجل واحد ، الرفاق الاكيموفيون والبروكريون الذين كان يعز عليهم بالقدر نفسه (ان لم يكن اكثر) «الاستمرار التاريخي» للجنة فورونيج الشهيرة و«المنظمة العمالية» المزعومة في بطرسبورغ (٢٧) ، والرفاق الايغوروفيون الذين بكوا «مقتل» «رابوتشييه ديلو» كما بكوا «مقتل» هيئة التحرير القديمة بنفس القدر من المرارة (ان لم يكن اكثر) ، والرفاق الماخوفيون ، الخ . ، الخ . . قل لي من تعاشر ، اقل لك من انت – هكذا تقول الحكمة الشعبية . قل لي من هو حليفك السياسي ، من يصوت لك ، اقل لك ما هي **سيماؤك السياسية** .

ان الخطأ الطفيف الذي ارتكبه الرفيق مارتوف والرفيق اكسلرود ، بقي وكان بالامكان ان يبقى **طفيفاً** ، طالما لم يتخذ نقطة انطلاق **لتحالف وطيد** بينهما وبين كل الجناح الانتهازي في حزبنا ، طالما لم يؤدّ بفعل هذا التحالف الى **انتكاسات** انتهازية **جديدة** ، الى **الانتقام** من جميع اولئك الذين حاربتهم «الايسكرا» والذين كانوا مستعدين ان يستغلوا بفرح كل مناسبة تمكنهم

www.kassioun.org

من **تفريغ غضبهم** على انصار الاشتراكية-الديموقراطية الثورية المنسجمين . ان الاحداث التي عقبت المؤتمر قد ادت بالضبط الى اننا نشهد انتكاسات انتهازية جديدة تتجلى في «الايسكرا» الجديدة ، وانتقام الاكيموفيين والبروكريين (راجع نشرة لجنة فورونيج *) ، وتهلل المارتينوفيين الذين اعطيت لهم اخيراً (اخيراً !) ، في «الايسكرا» البغيضة ، امكانية ركل «العدو» البغيض لجميع الاساءات الماضية ، أيا كانت . وهذا ما يبين لنا بجلاء خاص الى اي حد كان من الضروري «اعادة هيئة التحرير السابقة «للايسكرا»» (نقلا عن انذار الرفيق ستاروفر بتاريخ ٣ تشرين الثاني – نوفمبر – ١٩٠٣) ، بغيـــة الحفاظ عـــلى «الاستمرار» **الايسكري** . . .

ان انقسام المؤتمر (والحزب) الى جناح يساري وجناح يميني ، الى جناح ثوري وجناح انتهازي ، لم يكن فيه اطلاقاً ، بحد نفسه ، اي شيء رهيب وحرج ، وحتى غير طبيعي . بل بالعكس ، فان كل هذه السنوات العشر الاخيرة من تاريـــخ الاشتراكية-الديموقراطية الروسية (ولا الروسية وحسب) قد قادت بالضرورة ، وبلا مرد ، الى هذا الانقسام . وان كون جملة من الاخطاء **الطفيفة** جداً ارتكبها الجناح اليميني وكون جملة من الخلافات القليلة الاهمية (نسبياً) قد تسببا بالانقسام ، ان هذا الظرف (الذي يبدو جارحاً بالنسبة لمراقب سطحي ومفكر تافه ضيق الافق) قد كان **خطوة كبيرة الى الامام بالنسبة لكل حزبنا** . فيما مضى ، كنا نختلف في مسائل خطيرة كان بوسعها احياناً حتى ان تبرر انشقاقاً ؛ اما اليوم ، فقد اتفقنا على جميع النقاط الخطيرة والهامة ؛ فما يفصلنا الآن ، انما هو مجرد **التلاوين** التي يمكن **ويجب** النقاش حولها ، ولكنه من الخراقة والصبيانية الانفصال والتفارق بسببها (كما قال بصواب تام الرفيق بليخانوف في مقال طريف مفيد ، تحت عنوان «ما لا ينبغي عمله» ؛ وسنعود اليه فيما بعد) . **والآن** ، وقد كاد **سلوك** الاقلية **الفوضوي** ، **بعد المؤتمر** ، ان يؤدي الى انشقاق في

---

* راجع هذا الكتاب ، ص ٢٣٠–٢٣٢ . **الناشر** .

www.kassioun.org

الحزب ، فمن الممكن ان تجد غالباً حكماء يقولون لك : هل كان يجدر حقاً الكفاح في المؤتمر لتوافه كحادث اللجنة التنظيمية ، وحل فرقة «يوجني رابوتشي» او فرقة «رابوتشييه ديلو» ، والفقرة الاولى ، وحل هيئة التحرير السابقة ، الخ . ؟ ان التفكير على هذا النحو * ، انما يعني في الواقع ادخال وجهة نظر حلقية بالضبط في شؤون الحزب : ان صراع **التلاوين** في الحزب **امر محتم وضروري** ما دام لا يؤدي الى الفوضى والانشقاق ، ما دام قائماً **ضمن الحدود** التي اقرها جميع الرفاق واعضاء الحزب . **وكفاحنا في المؤتمر** ضد الجناح اليميني في الحزب ، ضد اكيموف واكسلرود ، ضد مارتينوف ، **لم يتجاوز هذه الحدود اطلاقاً** . حسبنا ان نذكر واقعين يثبتان ذلك بما لا يقبل الجدل : ١) حين اعتزم الرفيقان مارتينوف واكيموف مغادرة المؤتمر ، **كنا جميعاً مستعدين** لكي نستبعد بكل الطرق اية فكرة «اهانة» ، **وصوتنا جميعنا** (بـ٣٢ صوتاً) لقرار الرفيق تروتسكي بدعوة هذين الرفيقين الى اعتبار الايضاحات مرضية والى سحب تصريحهما ؛ ٢) حين انتقلنا الى انتخاب المركزين ، اعطينا الاقلية (او الجناح الانتهازي) في المؤتمر **الاقلية في المركزين** : مارتوف في الجريدة المركزية ، بوبوف في اللجنة المركزية . **ولم يكن في وسعنا** ان نفعل غير ذلك من وجهة نظر الحزب ، اذ كنا قررنا ، قبل المؤتمر ، ان نختار فريقين ثلاثيين . **ان فرق التلاوين التي تجلت**

---

* لا استطيع الامتناع عن التذكير في هذا الصدد بالحديث الذي جرى لي في المؤتمر مع مندوب من «الوسط» . قال لي شاكيا : «اي جو ثقيل يسود في مؤتمرنا ! هذا الصراع الضاري ، هذه الدعاية التي يقوم بها بعضهم ضد بعضهم الآخر ، هذه المناظرة العنيفة ، هذا الانعدام للرفاقية ! . . .» . فأجبته : «ما اروع مؤتمرنا ! صراع سافر وحر . الآراء برزت ، التلاوين ارتسمت . الفرق توضحت . الايدي ارتفعت . القرار اتخذ . ها هي ذي مرحلة مقطوعة . الى الامام ! ــ هذا افهمه ! هذه هي الحياة . هذا امر يختلف كليا عن المجادلات المملة اللامتناهية التي يمتاز بها المثقفون ، والتي تتوقف ، لا لأن المسألة قد حلت ، بل بكل بساطة لأن المتجادلين قد تعبوا من الكلام . . .»

وكان الرفيق من «الوسط» ينظر الي مدهوشا ، ويهز كتفيه . فقد كنا نتكلم لغتين .

www.kassioun.org

في المؤتمر لم يكن كبيراً ، ولكن الاستنتاج **العملي** الذي استخلصناه من صراع هذه التلاوين لم **يكن كبيراً** ايضا : فقد كان هذا الاستنتاج يقوم **بوجه الحصر** في ان **الثلثين** في الفريقين الثلاثيين كان يجب تخصيصهما **لأغلبية** مؤتمر الحزب .

ان **عدم موافقة** الاقلية في مؤتمر الحزب على ان تكون **اقلية في المركزين** ، هو وحده الذي آل بادئ الامر الى «التهمعات الموهنة» عند المثقفين الذين منوا بالهزيمة ، ثم الى **الجملة الفوضوية** والاعمال الفوضوية .

وختاما ، لنر مرة اخرى الى المخطط من وجهة نظر تركيب المركزين . **فعلاوة على** مسألة التلاوين ، كان طبيعياً تماماً ان توضع امام المندوبين ، لدن الانتخابات ، مسألة **صلاح** هذا **الشخص** او ذاك ، مسألة مؤهلاته للعمل ، الخ . . والآن ، تلجأ الاقلية بكل طيبة خاطر الى الخلط بين هاتين المسألتين . والحال ، ان تكون هاتان المسألتان مختلفتين ، ألا ان هذا بديهي وواضح على الاقل من هذا الواقع البسيط وهو ان اختيار فريق ثلاثي **اولي** للجريدة المركزية قد تقرر **قبل المؤتمر** ، حين لم يكن في مستطاع احد ان يتكهن بتحالف مارتوف واكسلرود مع مارتينوف واكيموف . ان الجواب عن مسائل مختلفة انما يجب الحصول عليه باساليب مختلفة : فعن مسألة التلاوين ، يجب التفتيش عن الجواب **في محاضر المؤتمر** ، وفي المناقشات **العلنية** وفي التصويت العلني على الفقرات من كل نوع وشاكلة . اما مسألة مؤهلات **الاشخاص** ، فقد قرر الجميع في المؤتمر حلها **بالافتراع السري** . لماذا اتخذ **المؤتمر كله بالاجماع** مثل هذا القرار ؟ هذه مسألة اولية ، وقد يكون من الغريب التوقف عندها . غير ان الاقلية بدأت مع ذلك تنسى حتى هذه الالفباء (بعد هزيمتها في الانتخابات) . ولقد سمعنا سيولا من الخطابات الحماسية ، المتأججة ، الحادة ، حتى ان اصحابها نسوا انفسهم لكي يدافعوا عن هيئة التحرير السابقة ، ولكننا لم نسمع **اطلاقاً اي شيء** بصدد التلاوين **في المؤتمر** ، تلك التي كانت تتعلق بالصراع في سبيل الفريق السداسي والفريق الثلاثي . ومن جميع الانحاء ، تتوارد الينا الاشاعات

www.kassioun.org

والاقاويل عن عجز الاشخاص المختارين للجنة المركزيـــة ، وقصورهم ، وسوء نواياهم ، الخ . ، ولكننا لا نسمع **اطلاقاً اي شيء** عن التلاوين **في المؤتمر** ، تلك التي تجابهت من اجل الهيمنة في اللجنة المركزية . ويخيل اليّ ان الاشاعات والاقاويل **خارج المؤتمر** عن خصال الاشخاص واعمالهم (لأن هذه الاعمال في ٩٩ بالمئة من الحالات ، تؤلف سراً تنظيمياً لا يكشف الا امام هيئة عليا من هيئات الحزب) منافية للاخلاق وغير لائقة . ان خوض النضال **خارج المؤتمر** بواسطة **هذه الاشاعات** انما يعني ، بنظري ، النضال **بواسطة النمائم** . والجواب الوحيد الذي استطيع ان اعطيه للجمهور بصدد هذه الاشاعات ، انما يقوم في التذكير بالصراع في المؤتمر : انتم تقولون ان اللجنـــة المركزية أنتخبت باغلبية ضعيفة . هذا صحيح . ولكن هذه الاغلبية الضعيفة تألفت من جميع الذين ناضلوا باشد الدأب والانسجام ، لا بالاقوال بل بالافعال ، من اجل تطبيق خطط «الايسكرا» . ولذا يجب ان تكون السلطة **المعنوية** لهذه الاغلبية اعلى بما لا حد له من سلطتها **الشكلية** ، – اعلى بالنسبـــة لجميع الذين يقدّرون استمرار **اتجاه** «الايسكرا» تقديراً اعلى من تقديرهم لاستمرار هذه **الحلقة** او تلـــك من حلقـــات «الايسكرا» . فمن عساه ان **يكون قادراً على الحكم بمزيد من الكفاءة** فيما اذا كان هؤلاء او اولئك من الاشخاص صالحين من اجل تطبيق سياسة «الايسكرا» ؟ اولئـك الذين طبقوا هذه السياسة في المؤتمر ام اولئك الذين كافحوا هذه السياسة في مناسبات عديدة ودافعوا عن كل تأخر ، وكل تافه وساقط ، وكل روح حلقي ؟

س – بعد المؤتمر . اسلوبان في النضال

ان تحليل المناقشات والتصويتات في المؤتمر ، الذي انتهينا منه ، يوضح من حيث الجوهر in nuce (في البذرة) **كل ما جرى بعد المؤتمر** ، وبوسعنا ان نوجز في الاشارة الى المراحل اللاحقة لأزمتنا في الحزب .

ان عدول مارتوف وبوبوف عن الانتخابات قد خلق على

www.kassioun.org

الفور جواً من **المماحكة** في صراع التلاوين الحزبية داخل الحزب ، وقد اعتبر الرفيق غليبوف انه من غير المعقول ان يعمد محررون غير منتخبين ويقرروا جديا **الاتجاه** نحو اكيموف ومارتينوف ونسب ذلك بالدرجة الاولى الى التهييج ، واقترح علينا ، بليخانوف وانا ، منذ غداة المؤتمر ، ان نفض الخلاف بالتي هي أحسن ، وان «نضم» جميع الاربعة شرط تأمين تمثيل هيئة التحرير في المجلس (اي ان يكون بالضرورة ممثل من الممثلين من الاغلبية **الحزبية**) . وقد بدا لنا هذا الشرط، عقلانياً ، لبليخانوف ولي ، لأن قبوله كان يعني **اعترافاً ضمنياً بالخطأ المقترف في المؤتمر** ، والرغبة في السلام لا في الحرب ، الرغبة في الاقتراب من بليخانوف ومني اكثر من الاقتراب من اكيموف ومارتينوف ، ومن ايغوروف وماخوف . ان التنازل في مضمار «الضم» كان يرتدي على هذا النحو طابعاً **شخصياً** ، ولم يكن من الجدير العدول عن التنازل الشخصي الذي كان لا بدّ له ان يستتبعه التهييج ويعيد السلام . ولذا اعربنا بليخانوف وانا عن موافقتنا ، غير ان اغلبية هيئة التحرير رفضت هذا الشرط . **فراح غليبوف** . وانتظرنا العواقب : أيتمسك مارتوف بموقف الولاء والاخلاص الذي وقفه (**ضد** ممثل الوسط ، الرفيق بوبوف) في المؤتمر ، ام ان الغلبة تؤول الى العناصر المتذبذبة والمائلة الى الانشقاق ، التي سار وراءها .

كنا امام حلين لا ثالث لهما : اما ان يرغب الرفيق مارتوف في اعتبار «ائتلافه» في المؤتمر حدثاً سياسياً منفرداً (شأنه شأن ائتلاف بيبل مع فولمار في عام ١٨٩٥– *si licet parva componere magnis* *) ، واما ان يرغب في **تثبيته** ويبذل كل جهوده لاثبات خطئنا **بليخانوف وانا** ، في المؤتمر ، ويغدو زعيماً حقيقياً للجناح الانتهازي في حزبنا . وبتعبير آخر ، كانت المشكلة تصاغ على النحو التالي : المماحكة ام الصراع السياسي الحزبي ؟ ومنا نحن الثلاثة الذين كنا غداة المؤتمر الاعضاء الوحيدين الحاضرين من اعضاء الهيئتين المركزيتين كان غليبوف يميل بالاحرى الى الحل الاول وقد بذل

* – اذا جازت مقارنة الصغير بالكبير . **الناشر**

www.kassioun.org

قصارى جهده لمصالحة الاولاد الذين دب بينهم الشقاق . وكان الرفيق بليخانوف يميل بالاحرى الى الحل الثاني الذي كان يبدو ، كما يقال ، منيعا لا يمكن الاقتراب منه . اما من جهتي ، فكنت هذه المرة امثّل «الوسط» او «المستنقـــع» ، وقد حاولت استخدام الاقناع . وان اي محاولة في الوقت الحاضر لاستعادة حجج الاقناع الشفوية انما هي مسعى مشوش الى حـد اليأس ، ولن اقتدي بالمثال السيئ الذي ضربه الرفيق مارتوف والرفيق بليخانوف . الا اني ارى من الضروري ان اورد هنا بعض المقاطع من الاقناع الخطي الذي وجهته الى احد ايسكريي «الاقلية» :

. . . «ان تخلي مارتوف عن هيئة التحرير ، وامتناعه وكذلك امتناع غيره من صحافيي الحزب عن التعاون ، وامتناع عدة اشخاص عن العمل من اجل اللجنة المركزية ، وترويج فكرة المقاطعة او المقاومة السلبية ، كل هذا سيؤدي حتما ، حتى رغم ارادة مارتوف واصدقائه ، الى انشقاق الحزب . وحتى اذا ظل مارتوف متمسكا بموقف الولاء والاخلاص (الذي وقفه بمثل هذا الحزم في المؤتمر) ، فان الآخرين لن يتمسكوا به ، — واذ ذاك يتحتم المصير الذي اشرت اليه . . .

وها انا ذا اتساءل : لماذا ، حقاً ، سنفترق ؟ . . اني اذكر جميع احداث المؤتمر وجميع انطباعاته ، واني لأقر باني غالباً ما تصرفت وسلكت ، تحت سلطـــان غضب رهيب ، «كالمجانين» ، واني لمستعد للاقرار عن طيبة خاطر بخطئي هذا امام اي كان ، هذا اذا امكن ان نسمي خطأ ما نشأ بشكل طبيعي عن الجو ، ورد الفعل ، والجواب ، والصراع ، الخ . . ولكني ، اذ ارى اليوم ، دون اي جنون ، الى النتائج الحاصلة ، الى الاشياء المحققة عبر صراع مسعور ، لا استطيع حقاً ان ارى في هذه النتائج اي شيء ، اي شيء على الاطلاق يسيء للحزب ، ولا اي شيء على الاطلاق مغيظ او مهين للاقلية .

يقينا ان ما لم يمكن له ألاّ يظهر مغيظا ، هو ان الامر اقتضى البقاء اقلية ، ولكني احتج احتجاجاً قاطعاً على الفكرة التي تزعم اننا «مسسنا كرامة» اي كان ، **وشئنا** ان نهين او ان نذل احداً من الناس . كلا . ولا يجوز السماح بان يفضي الخلاف

www.kassioun.org

السياسي الى تأويل الاحداث باتهام الطرف الآخر بسوء النية ، والمكر ، والدسيسة ، وغير ذلك من ضروب اللطافة ، التي تلوكها الالسن اكثر فاكثر في جو من الانشقاق الزاحف . لا يجوز السماح بذلـــك ، لأنـــه على الاقـــل مخالف للصواب nec plus ultra . *

لقد افترقنا سياسياً (وتنظيمياً) عن مارتوف ، كما سبق وافترقنا عشرات المرات . وحين منيت بالهزيمة في مسألة الفقرة الاولى من النظام الداخلي ، لم يكن في مستطاعي الامتناع عـــن الرغبة بكل جوارحي في اخذ الثأر في كل ما بقي لي انا (وللمؤتمر ايضاً) . لم يكن في مستطاعي الامتناع عن الرغبة ، من جهة ، في لجنة مركزية ايسكرية بكل دقة ؛ ومن جهة اخرى ، في فريق ثلاثي في هيئة التحرير . . . اني اعتبر هذا الفريق الثلاثي الفريق **الوحيد** القادر على ان يظهر بمظهر هيئة رسمية ، لا بمظهر هيئـة ترتكز على الروح العائلي والاهمال ، المركز الحقيقي الوحيد الذي يستطيع فيه دائما كل فرد ان يدلي بوجهة نظره الحزبية ويدافع عن وجهة نظره الحزبية ، لا اكثر و irrespective** كل ما هو شخصي ، كل فكرة استياء ، وانسحاب ، الخ . .

ولا ريب في ان هذا الفريق الثلاثي كان يضفي ، بعد احداث المؤتمر ، صفة شرعية على الخطة السياسية والتنظيمية ، الموجهة ، بمعنى ما ، ضد مارتوف . لا ريب ابداً في ذلك . فهل لهذا تجب القطيعة ؟ وبالتالي تهديـــم الحزب ؟ ؟ ألم يكن مارتوف وبليخانوف ضدي في موضوع التظاهر ؟ ألم نكن ، مارتوف وانا ، ضد بليخانوف في موضوع البرنامج ؟ ألا يوجه دائماً كل فريق ثلاثي احد جوانبه ضد كل من اعضائه ؟ واذا كانت اغلبية الايسكريين ، في منظمة «الايسكرا» وفي المؤتمر ، قد اعتبرت هذا التلوين الخاص في خطة مارتوف خاطئاً من الناحية السياسية والتنظيمية ، ترى ، أليست بالفعل مخالفة للصواب تلك المحاولات المبذولـــة لتفسير ذلك «بالتسويات وراء الكواليس» ، و«حملات التحريض» ، الخ . ؟ أليس من غيـــر

---

* ـ ولا اكثر . **الناشر** .

** ـ بصورة مستقلة عن . **الناشر** .

www.kassioun.org

الصائب التهرب من هذا الواقع ، **بسبب** هذه الاغلبية بانها من «الاوباش» ؟

اكرر : اني ، مثلي مثل اغلبية الايسكريين في المؤتمر ، لعلى اقتناع عميق بان مارتوف قد اتبع خطة خاطئة ، وانه كان يجب تقويمه . اما ان يستاء المرء من هذا التقويم ، ويعتبره اهانة ، الخ . ، فهذا مخالف للصواب . اننا لم «نمس» ولا «نمس كرامة» احد في اي شيء ، ولا نعزل احداً **من العمل** . ولكن من يقدم على الانشقاق لأنه فصل **من المركز** ، انما يقترف ، بنظري ، عملاً جنونياً لا افهمه» * .

ولقد رأيت من الضروري ان اعيد الآن تصريحاتي الخطية هذه ، لأنها تعكس **بدقة** رغبة الاغلبية في ان ترسم **من الوهلة الاولى** خطا فاصلاً دقيقاً بين الاستياء الشخصي الممكن (والمحتم في غمرة الصراع الحاد) والتهيج الشخصي الناجم عن عنف و«جنون الحملات ، الخ . ، من جهة ، وخطأ سياسي معين ، خطة سياسية (الائتلاف مع الجناح اليميني) ، من جهة اخرى .

ان هذه التصريحات تبين ان **مقاومة** الاقلية **السلبية قد بدأت غداة المؤتمر** واستدعت فوراً من جانبنا تحذيراً مفاده ان هذه المقاومة **خطوة نحو انشقاق الحزب** ؛ وانها تناقض مباشرة **تصريحات الولاء والاخلاص الملقاة في المؤتمر** ؛ وانها تفضي الى انشقاق **ينجم** بوجه الحصر عن **الفصل عن المركزين** (اي عن عدم الانتخاب) ، لأن احداً لم يفكر يوماً في فصل اي من اعضاء الحزب **عن العمل** ؛ وان الخلاف السياسي بيننا (المحتم ، طالما لم توضح او تحل مسألة ما اذا كان مارتوف هو الذي كانت خطته في المؤتمر خاطئة ام خطتنا نحن) يشرع ان **يتحول اكثر**

---

* هذه الرسالة انما كتبتها **في ايلول** – سبتمبر – (التقويم الجديد) . وقد اغفلت منها كل ما يبدو لي ان لا علاقة له بالقضية المعنية . فاذا اعتبر الشخص المرسلة اليه هذه الرسالة ان المقاطع المغفلة هي بالضبط المقاطع الهامة ، فانه من الميسور له ان يسد النقص . وبالمناسبة استغل الفرصة لكي اعرض مرة اخرى واخيرة على جميع مجادلي ان ينشروا جميع رسائلي الخاصة ، فيما اذا اعتبروا ذلك مفيدا .

www.kassioun.org

فأكثر الى مماحكة مرفقة بالشتائم ، والظنون ، الخ . . .

وذهبت التحذيرات سدى . فقد بيّن سلوك الاقلية ان اقل العناصر استقراراً **واقلها تقديراً للحزب** هي التي تحرز الغلبة فيها . وهذا ما اجبرنا ، بليخانوف وانا ، على سحب موافقتنا على اقتراح غليبوف : وبالفعل ، اذا كانت الاقلية قد برهنت **باعمالها** على عدم استقرارها السياسي لا في مضمار المبادئ وحسب ، بل ايضاً في مضمار **الولاء الحزبي البدائي** ، فاي اهمية يمكن ان تكتسبها **الاقوال** بصدد «الاستمرار» السيىء الذكر ؟ ان احداً لم يسخر بظرف وملاحـــــة قدر ما سخر بليخانوف من خراقة طلب «ضم» اغلبية اولئك الذين يصرحون على المكشوف بخلافاتهم الجديدة والمتنامية الى هيئة تحرير الحزب ! فهل رؤي يوماً ان الاغلبية الحزبية في الهيئات المركزية تحوّل نفسها بنفسها الى اقلية **قبل توضيح** الخلافات **الجديدة** ، في الصحافة ، امام الحزب ؟ فلتعرض الخلافات اولا ، وليبحث الحزب عمقها واهميتها ، وليصلح الحزب بنفسه الخطأ الذي ارتكبه في المؤتمر الثاني ، اذا ما اقيم الدليل على اقتراف هذا الخطأ او ذاك ! ان مجرد التقدم بهذا الطلب باسم خلافات لا تزال مجهولة ، كان يفصح عن تذبذب كلي عند اولئك الذين تقدموا بهذا الطلب ، عن انسحاق الخلافات السياسية انسحاقاً كلياً تحت وطأة المماحكات ، عن انعدام الاحترام ازاء مجمل الحزب وعقائدهم الخاصة انعداماً كليا . ولم ير قط ولن يرى يوماً اناس **مقتنعون بمبادئهم** ، يمتنعون عن **الاقناع** قبل ان ينالوا **(بصورة غير رسمية)** الاغلبية في مؤسسة يعتزمون حملها على تغيير رأيها .

واخيراً ، في ٤ تشرين الاول (اكتوبر) ، يصرّح الرفيق بليخانوف انه سيقوم بمحاولة **اخيرة** لوضع حد لهذه الخراقة . ويجتمع اعضاء هيئة التحرير القديمة الستة جميعهم بحضور العضو الجديد في اللجنة المركزية * . وطوال ثلاث ساعات ،

* وفضلا عن ذلك ، نظم عضو اللجنة المركزية هذا (٢٨) ، بشكل خاص ، عددا من الاحاديث الخاصة والجماعية مع الاقلية ، داحضا الاقاويل والاشاعات الخرقاء وحاثاً على التقيد بواجب عضو الحزب .

www.kassioun.org

يسعى الرفيق بليخانوف الى البرهان على عدم صواب الطلب القائل بـ«ضم» اربعة اعضاء من «الاقلية» مقابل عضوين اثنين من «الاغلبية» . ويقترح **ضم اثنين** ، من جهة ، لاقصاء كل خشية من اننا نريد ان «نركب» احداً ، ونسحقه ، ونحاصره ، ونعدمه وندفنه ؛ ومن جهة اخرى ، لحماية حقوق وموقف «اغلبيـــة» الحزب . ولكن **ضم عضوين يرفض ايضاً** .

في ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ، نكتب بليخانوف وانا ، رسالة رسمية الى جميع محرري «الايسكرا» السابقين والى المعاون ، الرفيق تروتسكي هذا نصها :

«ايها الرفاق المحترمون ! ان هيئة تحرير الجريـــدة المركزية ترى من واجبها ان تعرب رسميا عن اسفها بصدد عدولكم عن المساهمة في «الايسكرا» و«زاريا» . (٢٩) ورغم عروض التعاون العديدة التي تقدمنا بها فورا بعد المؤتمـــر الثاني للحزب ورغم تجديدنا لها مرارا كثيرة فيما بعد ، لم نتلق منكم اي مخطوطة . ان هيئة تحريرالجريدة المركزية تعلن انها تعتبر انها لم تفعل شيئا يحملكم على العدول عن التعاون . وبديهي انه لا يجب ان يقوم التهيج الشخصي مقام عقبة بوجه العمل في جريدة الحزب المركزية . ولكن ، اذا كان عدولكم انما نجم عن هذا او ذاك من الخلافات في الآراء بينكم وبيننا ، فاننا نرى من المفيـــد جدا للحزب عرض هذه الخلافات بصورة مفصلة . وفضلا عن ذلك ، نتمنى شديد التمني ان يصار باسرع ما يمكن الى توضيح طابع هذه الخلافات وعمقها ، امام مجمل الحزب في اعمدة المنشورات التي نحررها نحن» * .

وهكذا يرى القارئ اننا لم نكن ندرك بعد اطلاقاً ما اذا كان التهيج الشخصي هو الذي يسود في تصرفات «الاقلية» ام

---

* وفي الرسالة الى الرفيق مارتوف ، كان هناك ايضا مقطع بصدد كراس ما ، والجملة التالية : «اخيرا ، نبلغك مرة اخرى ، لما فيه مصلحة القضية ، اننا مستعدون ، اليوم ايضا ، الى ضمك الى هيئة تحرير الجريدة المركزية ، لكي نوفر لك كامل الامكانية للاعراب عن جميع آرائك بصورة رسمية والدفاع عنها في الهيئة العليا للحزب» .

www.kassioun.org

الرغبة في اعطاء الجريدة (والحزب) **اتجاها جديداً** ، — واي اتجاه على وجه الضبط وفي اي شيء بالذات . واني اعتقد انه اذا ما عهد الآن ايضا الى ٧٠ شارحا بتوضيح هذه المسألة استنادا الى اي مطبوعات كانت والى اي افادات كانت ، فانهم هم ايضاً لن يتوصلوا ابداً الى الاهتداء في متاهات هذا الخليط . فمن المشكوك فيه ان يمكن يوما حل لغز المماحكة : انما يجب اما حسمها حسماً واما ادارة الظهر لها * .

وعن رسالة ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ، اجابنا اكسلرود وزاسوليتش وستاروفر وتروتسكي وكولتسوف ، ببضعة اسطر تقول ان الموقعين ادناه لا يسهمون اطلاقاً في «الايسكرا» منذ ان انتقلت الى هيئة التحرير الجديدة . اما الرفيق مارتوف ، فقد كان اكثر افصاحاً ، وشرّفنا بالجواب التالي :

«الى هيئة تحرير الجريدة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا . ايها الرفاق المحترمون ! جوابا عن رسالتكم الصادرة في ٦ تشرين الاول ، اعلن ما يلي : اني اعتبر ان جميع توضيحاتنا بصدد عملنا المشترك في هيئة واحدة قد انتهت اثر الاجتماع الذي عقد في ٤ تشرين الاول ، بحضور عضو من اللجنة المركزية ، والذي رفضتم فيه الاجابة عن السؤال المتعلق بمعرفة اي اسباب حملتكم على سحب الاقتراح المقدم الينا ، والقائل بدخول اكسلرود وزاسوليتش وستاروفر وانا في هيئة التحرير شرط ان نتعهد بانتخاب الرفيق لينين «ممثلا» عنا في المجلس . وبعد ان رفضتم مرارا عديدة ، في الاجتماع المذكور ، ان تصيغوا تصريحاتكم التي سبق ان ادليتم بها امام شهود ، لا ارى من الضروري ان اوضح في رسالة اليكم اسباب رفضي العمل في «الايسكرا» في الظروف الراهنة . واذا اقتضى الامر ، ابديت رأيي مفصلا حول هذا الموضوع امام مجمل الحزب فيعلم ، من مجرد محاضر المؤتمر الثاني ، سبب عدولي عن الاقتراح الذي تجددونه اليوم بشغل مكان في هيئة التحرير وفي المجلس . . . * *

ل . مارتوف»

---

* من المحتمل ان الرفيق بليخانوف كان اضاف : اما تلبية **جميع المطالب** التي يتقدم بها اصحاب المماحكة . وسنرى لماذا استحال هذا .

* * اترك جانبا الجواب بصدد كراس مارتوف ، وكان يعاد طبعه آنذاك .

www.kassioun.org

هذه الرسالة ، مرفقة بالوثائق السابقة ، توضح بما لا يقبل الجدل مسألة المقاطعة والتشوش والفوضى والتحضيرات الانشقاقية ، المسألة التي يتهرب منها الرفيق مارتوف بفائق الحمية (بواسطة علامات التعجب ونقاط التوقف) في مؤلفه «حالة الحصار» ، ونعني بها مسألة وسائل النضال المشروعة وغير المشروعة .

يعرض على الرفيق مارتوف والآخرين ان يبسطوا اوجه الخلافات ، **يُطلَب** منهم ان يقولوا بصراحة ما هو جوهر الحكاية وما هي نواياهم ؛ **يقنعون** بالكف عن اهوائهم المتقلبة وبتحليل خطأ الفقرة الاولى بهدوء (وهو خطأ وثيق الارتباط بخطأ التطور الى اليمين) ؛ ولكن الرفيق مارتوف مع شركاه **يرفض الكلام** ، ويهتف : يحاصرونني ، يركبونني ! ان السخر بسبب من «الكلمة الرهيبة» لم يبرّد من حدة هذه الولولات المضحكة .

وبالفعل ، كيف يمكن **محاصرة** ذاك الذي **يرفض العمل بصورة مشتركة** ؟ – هكذا سألنا الرفيق مارتوف . كيف يمكن ايذاء ، و«ركوب» واضطهاد الاقلية التي **ترفض ان تكون اقلية** ؟ لأن وجود المرء في صف الاقلية ، انما يعني بالضرورة وبلا مناص بعض الاذى لذلك الذي يبقى اقلية . وقوام هذا الاذى انه إما يجب الدخول في هيئة تفرض رأيها في بعض القضايا ، واما البقاء خارج الهيئة ، ومهاجمتها ، ومن ثم ، تحمّل نيران بطاريات مستحكمة الى حد كبير جداً .

وحين زعق الرفيق مارتوف «بحالة الحصار» ، فهل اراد ان يقول ان النضال يقوم ضدهم ، ضد الذين ظلوا اقلية ، او انهم يقادون قيادة غير عادلة وغير شريفة ؟ ان موضوعة كهذه **فقط** كان يمكن ان يكون لها (في نظر مارتوف) وان ظلا من صواب ، لأن وجود المرء في صف الاقلية ، واكرر قولي ، يستلزم بالضرورة وبلا مناص بعض الاذى . ولكن الادعى الى الضحك ، هو بالضبط انه لم يكن بالامكان **في اي حال محاربة** الرفيق مارتوف طالما كان يرفض الكلام ! لم يكن بالامكان **في اي حال قيادة** الاقلية طالما كانت ترفض ان تكون اقلية !

ولم يثبت الرفيق مارتوف **واقعة واحدة** عن تطرف او

www.kassioun.org

تجاوز للسلطة من جانب هيئة تحرير الجريدة المركزية حين كنا بليخانوف وانا نشترك فيها ، ولم يثبت اعضاء الاقليـــة المطبقون **واقعة واحدة** من جانب اللجنة المركزية . وعبثا يناور الرفيق مارتوف في مؤلفه «حالة الحصار» ، فلا يزال من الثابت كليا انه **لم يكن ثمة على الاطلاق اي شيء في الولولات بشأن حالة الحصار غير** «**تهمعات موهنة**» .

ان انعدام الحجج **المعقولة** انعداماً كلياً ضد هيئة التحرير التي عينها المؤتمر انما توضحه على خير وجه ، عند الرفيق مارتوف وشركاه ، هذه الكلمة الصغيرة التي تخصهم : «نحن لسنا اقنانا !» («حالة الحصار» ، ص ٣٤) . ان ذهنية المثقف البرجوازي الذي يعتبر نفسه في عداد «النفوس النخبـــة» الموضوعة فوق التنظيم الجماهيري والطاعة الجماهيرية ، تبرز هنا بدقة رائعة . **ان تفسّر** رفض العمل في الحزب بـ«نحن لسنا اقنانا» ، فكأنك **تكشف نفسك بنفسك** كلياً ، كأنك تعترف بانعدام الحجج انعداماً كلياً ، بعجزك المطلق عن تقديـــم الايضاحات ، بانعدام اسباب الاستياء المعللة انعداماً كلياً . اما نحن ، بليخانوف وانا ، فاننا نعلن اننا نعتبر ان هذا الرفض لم يستدعه اي شيء من جهتنا ، ونطلب ان تقال لنا اوجه الخلافات فاذا الجواب يأتينا : «نحن لسنا اقنانا» (مع الاضافة : لم نتوصل بعد الى صفقة بصدد التعيين الداخلي) .

ان **كل** تنظيم بروليتاري **وكل** طاعة بروليتارية يبدوان ضرباً من **القنانة** لفردية المثقفين التي سبق لها ان تجلـت في المناقشات بشأن الفقرة الاولى ، مرفقة بنزعة الى المحاكمات الانتهازية والجملة الفوضوية . ان الجمهور الذي يقرأ سيعلم عما قريب **ان مؤتمر الحزب** الجديد يبدو ايضاً «لاعضاء الحزب» هؤلاء و«لموظفي» الحزب هؤلاء – مؤسسة استعبادية ، رهيبة ، لا تطاق بالنسبة «للنفوس النخبة» . . . ان هذه «المؤسسة» هي ، بالفعل ، رهيبة بالنسبة للذين يرغبون في التمتع بلقب عضو في الحزب ، ولكنهم يحسون **بانعدام التوافق** بين هذا اللقب وبين مصالح الحزب وارادة الحزب .

ان قرارات اللجان ، التي ذكرتها في رسالتي الى هيئة

www.kassioun.org

تحرير «الايسكرا» الجديدة ، والتي نقلها الرفيق مارتوف في «حالة الحصار» ، تبرهن عمليا ان سلوك الاقلية كان **عصيانا** دائبا على قرارات المؤتمر ، **وتشويشاً** للنشاط العملي الايجابي . ان الاقلية ، المؤلفة من الانتهازيين والذين يكرهون «الايسكرا» ، **كانت تمزق الحزب** ، وتفسد العمل وتشوّشه ، رغبة منها في الانتقام من الهزيمة في المؤتمر وادراكاً منها انها **لن** تتوصل **ابداً** بالوسائل **الشريفة والمشروعة** (بتوضيح الامور في الصحافة او امام المؤتمر) الى دحض الاتهام بالانتهازية وتذبذب المثقفين ، الموجه ضدها في المؤتمر الثاني . وادراكاً منهم لعجزهم عن **اقناع** الحزب ، ردوا **بتشويش** صفوف الحزب **وبعرقلة العمل كله** . وقد أُتهموا بانهم (بتلبيك الامور في المؤتمر) احدثوا صدعا في مركبنا ؛ وجواباً عن هذه التهمة ، بذلوا **جميع قواهم لتحطيم** المركب المتصدع **كلياً** .

وقد اختلطت المفاهيم الى حد ان المقاطعة والصرف من العمل أُعلنا «وسيلة **شريفة**» * من وسائل النضال . والآن يدور الرفيق مارتوف ويلف بلا انقطاع حول هذه النقطة الحساسة . ويتمسك الرفيق مارتوف «بالمبادئ» الى حد انه يدافع عن المقاطعة . . . عندما تعمد الاقلية الى المقاطعة ؛ ويشجب المقاطعة عندما تهدد المقاطعة مارتوف نفسه حين يصبح في صف الاغلبية !

اعتقد ان في المستطاع ان ندع بلا بحث مسألة ما اذا كانت في الامر مماحكة او «خلاف مبدئي» فيما يخص وسائل النضال الشريفة في حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي .

بعد المحاولات الفاشلة (في ٤ و٦ تشرين الاول – اكتوبر) للحصول على ايضاحات الرفاق الذين اثاروا المشاكل بصدد «التعيين الداخلي» ، لم يبق للمؤسسات المركزية الا ان ترى كيف ستكون عليه في الواقع صحة النضال التي وعدوا بها

---

* قرار المناجم (ص ٣٨ من «حالة الحصار») .

www.kassioun.org

قولا . في ١٠ تشرين الاول ، توجه اللجنة المركزية تعميما الى العصبة (راجع محاضر العصبة ص ٣–٥) ، معلنة انها تعدّ نظاما داخليا وتدعو اعضاء العصبة الى المساهمة . اما مؤتمر العصبة فقد رفضته في ذلك الوقت ادارتها (صوتان ضـــد واحد ، المرجع نفسه ، ص ٢٠) . ان اجوبة انصار الاقلية على هذا التعميم قد بينت فوراً ان الولاء الشهير والاعتراف بقرارات المؤتمر لم يكونا سوى جملة ؛ وان الاقلية كانت ، في الواقع ، قد وطدت العزم على **ان لا تخضع** على الاطلاق لمؤسسات الحزب المركزية ، وذلك بالجواب على نداءاتها الى العمـــل المشترك **بتهربات** كتابية حافلة بالسفسطات والجمل **الفوضوية** . وعلى الرسالة المفتوحة الشهيرة التي وجهها دويتش ، عضو الادارة (ص ١٠) ، رددنا بليخانوف وانا ، وكذلـــك سائر انصار الاغلبية ، «باحتجاج» شديد «على المخالفات الفظة لنظام الطاعة الحزبية ، على هذه المخالفات التي يتخذها موظف من العصبة وسيلة يبيح بها لنفسه عرقلة العمل التنظيمي الذي تقوم به مؤسسة حزبية ، ويحرض بها رفاقا آخرين على اقتراف مثل هذه المخالفات لنظام الطاعة والنظام الداخلي . ان جملاً كجملة «انا اعتبر انه ليس من حقي الاشتراك في عمل كهذا ، بناء على دعوة من اللجنة المركزية» ، او كجملة «ايها الرفاق ! لا يجب علينا في اي حال من الاحوال ان نعهد اليها (اللجنة المركزية) بوضع نظام داخلي جديد للعصبة» ، الخ . ، انما هي من اساليب التحريض التي لا يمكن لها الا ان تثير الغضب عند كل انسان يدرك الى هذا الحد او ذاك ماهو الحزب وما هو التنظيم وما هي الطاعة الحزبية . ان هذا النوع من الاساليب لمنفّر خصوصا وانها تستخدم ازاء الهيئة الحزبية التي انشئت للتو ؛ وانها بالتالي محاولة اكيدة لتحطيم ثقة الرفاق الحزبيين بها ؛ ناهيك عن انها تستخدم باسم عضو من اعضاء ادارة العصبة ووراء ظهر اللجنة المركزية» (ص ١٧) .

وفي هذه الاحوال ، كان لا بد لمؤتمر العصبة ان يتحوّل الى فضيحة .

منذ البدء ، واصل الرفيق مارتوف تكتيكه الذي طبقه

www.kassioun.org

في المؤتمر والذي يتسم «بالدخول في روح» الرفيق بليخانوف هذه المرة ، بتشويه الاحاديث الخاصة . الرفيق بليخانوف يحتج ، فيرى الرفيق مارتوف نفسه مضطراً الى سحب (ص ٣٩ و١٣٤ من محاضر العصبة) اتهاماته الحافلة بالخفة او الاستياء .

ويأتي دور التقرير . انا كنت مندوباً عن العصبة في مؤتمر الحزب . واذا ما رجع القارئ بكل بساطة الى مخطط تقريري (ص ٤٣ وما يليها) ، لأدرك اني وضعت مسودة اولية عن هذا التحليل نفسه للتصويتات في المؤتمر ، هذا التحليل الذي يشكل ، في صيغته المفصلة ، فحوى هذا الكراس ايضا . وكان مركز الثقل كله في هذا التحليل ، ان مارتوف وشركاه قد وجدوا انفسهم في الجناح الانتهازي من حزبنا ، بفعل الاخطاء التي ارتكبوها . ومع ان التقرير تلي امام اغلبية من اشد الاخصام غضباً ، الا انهم لم يستطيعوا ان يكتشفوا فيه شيئا يبتعد عن الاساليب المشروعة الشريفة للنضال والمناظرة في الحزب .

اما تقرير مارتوف ، باستثناء «التعديلات» الطفيفة التفصيلية على عرضي (وقد بيّنا اعلاه عدم صحة هذه التعديلات) ، فقد كان ، بالعكس . . . نتاج اعصاب مريضة .

فلا غرابة اذا كانت الاغلبية قد رفضت مواصلة النضال في مثل هذا الجو . واحتج الرفيق بليخانوف على «**مسرحية التوبيخ**» (ص ٦٨) ، – كانت فعلاً «مسرحية» حقيقية ! – وغادر المؤتمر ، غير راغب في بسط الاعتراضات التي سبق واعدّها فيما يتعلق بجوهر التقرير . كذلك انسحب انصار الاغلبية الآخرون جميعهم تقريباً من المؤتمر ، بعد ان قدموا احتجاجاً خطياً على «السلوك غير اللائق» الذي سلكه الرفيق مارتوف (ص ٧٥ من محاضر العصبة) .

ان اساليب النضال التي انتهجتها الاقلية قد ظهرت بجلاء تام امام عيون الجميع . وقد اتهمنا الاقلية بانها اقترفت خطأ سياسياً في المؤتمر ، وانعطفت نحو الانتهازية ، وائتلفت مع البوندين والاكونوميين والبروكسريين والايغوروفيين والماخوفيين . ومنيت الاقلية بهزيمة في المؤتمر ، فاذا بها «تصوغ» الآن اسلوبين **اثنين** للنضال يشملان كل التنوع

www.kassioun.org

اللامتناهي من الهجمات والحملات والاعتداءات ، الخ . .

الاسلوب الاول : تشويش كل عمل الحزب ، وافساد القضية ، والميل الى عرقلة جميع الامور «دون توضيح الاسباب» .

الاسلوب الثاني : تنظيم «مسرحيات» ، الخ . ، الخ . . *

هذا «الاسلوب النضالي الثاني» يظهر ايضاً في القرارات «المبدئية» الشهيرة التي اتخذتها العصبة ، والتي من المؤكد ان «الاغلبية» لم تشترك في بحثها . لنر عن كثب هذه القرارات التي اعاد طبعها الآن الرفيق مارتوف في مؤلفه «حالة الحصار» .

القرار الاول بتوقيع الرفاق تروتسكي وفومين ودويتش وغيرهم ينطوي على موضوعتين موجهتين ضد «اغلبية» مؤتمر الحزب : ١) «تعرب العصبة عن بالغ اسفها لواقع انه ، بسبب من ميول تجلت في المؤتمر وتناقض اصلاً سياسة «الايسكرا» السابقة ، لم يول الانتباه الواجب لدن صياغة نظام الحزب الداخلي لتوفير ضمانات كافية من اجل صيانة استقلال اللجنة المركزية وسلطتها» (ص ٨٣ من محاضر العصبة) .

هذه الموضوعة «المبدئية» تنحصر ، كما سبق ان رأينا ، في جملة **على طريقة اكيموف** فُضح طابعها **الانتهازي** في مؤتمر الحزب **حتى** من قبل الرفيق بوبوف ! اما في الاساس ، فان المزاعم القائلة ان «الاغلبية» لا تفكر في صيانة استقلال اللجنة المركزية وسلطتها ، لم تكن دائماً الا **نميمة** . حسبنا القول ان الجريدة المركزية ، عندما كنا بليخانوف وانا عضوين في هيئة التحرير ، **لم يكن مقامها في المجلس** ارفع من مقام اللجنة المركزية ، وحين دخل انصار مارتوف في هيئة التحرير ، **غدا**

---

* لقد سبق لي ان بينت انه من غير المعقول ان نعزو الى دوافع دنيئة احط اشكال هذه المماحكات المألوفة في جو المهجر والمنفى . فهذا نوع من مرض ينتشر كالوباء في ظروف حياتية غير طبيعية ؛ اذ تكون الاعصاب في خلل ، الخ . . **وقد تحتم** علي ان ارسم هنا من جديد الطابع الحقيقي لهذا الاسلوب النضالي ؛ اذ ان الرفيق مارتوف **تبناه كليا في مؤلفه «حالة الحصار»** .

www.kassioun.org

مقام الجريدة المركزية في المجلس ارفع من مقام اللجنة المركزية ! وعندما كنا في هيئة التحرير ، كان **المطبقون الروس هم السائدون** ، في المجلس ، على متأدبي الخارج ؛ اما عند انصار مارتوف ، فالعكس هو الذي حصل . وعندما كنا في هيئة التحرير ، لم يحاول المجلس **مرة واحدة** ان يتدخل في اية مسألة **عملية** ؛ ومنذ التعيين الداخلي الاجماعي **بدأ هذا التدخل** ، كما سيعرف جمهور القراء تماماً بعد قليل .

الموضوعة التالية من القرار المذكور : . . .«عند تأسيس مركزي الحزب الرسميين ، لم يأخذ المؤتمر بعين الاعتبار استمرار الصلة مع المركزين اللذين تشكلا عملياً» . . .

هذه الموضوعة تنحصر كلياً في مسألة **قوام** المركزين . كانت «الاقلية» تفضل لزوم الصمت حول ان المركزين القديمين قد كشفا في المؤتمر عن عجزهما واقترفا جملة من الاخطاء . ولكن الادعى الى الضحك ، انما هو الاستشهاد «باستمرار» الصلة ازاء اللجنة التنظيمية . ففي المؤتمر ، كما رأينا ، لم ينبس أحد ببنت شفة حول تثبيت كامل تركيب اللجنة التنظيمية . حتى ان مارتوف راح يزعق في نوبة هستيرية ، امام المؤتمر ، بان لائحة الاعضاء الثلاثة للجنة التنظيمية اهانة له . وفي المؤتمر ، عرضت «الاقلية» لائحتها **الاخيرة** مع عضو **واحد** من اللجنة التنظيمية (**بوبوف** ، غليبوف او **فومين** ، وتروتسكي) ، بينا توصلت «الاغلبية» الى التصويت بالموافقة على لائحة تشمل عضوين **اثنين** من اعضاء اللجنة التنظيمية من اصل ثلاثة (**ترافينسكي وفاسيلييف** وغليبوف) . واننا لنتساءل ما اذا كان يمكن تسمية هذا الاستشهاد «باستمرار» الصلة «خلافاً مبدئياً» ؟

لننتقل الى قرار آخر بتوقيع اربعة من اعضاء هيئة التحرير السابقة ، وعلى رأسهم الرفيق اكسلرود . اننا نجد هنا جميع الاتهامات الرئيسية الموجهة ضد «الاغلبية» ، والمرددة اكثر من مرة فيما بعد في الصحف . وقد يكون من الايسر تحليلها بالضبط حسبما وردت في صيغة اعضاء الحلقة التحريرية . ان الاتهامات تستهدف «نظام الادارة الحزبية

www.kassioun.org

الاوتوقراطية البيروقراطية» ، و«المركزية البيروقراطية» التي ، خلافاً «للمركزية الاشتراكية-الديموقراطية حقا» تتحدد كما يلي : انها «تضع في المرتبة الاولى لا الاتحاد الداخلي ، بل الوحدة الخارجية ، الشكلية ، المحققة والمحمية بوسائل آلية صرفة . وبسحق المبادرة الفردية والنشاط الاجتماعي الذاتي بدأب واطراد» ؛ وهي بالتالي «بحكم جوهرها بالذات ، عاجزة عن ان تجمع عضوياً عناصر المجتمع المكونة» .

اي «مجتمع» يقصد الرفيق اكسلرود وشركاه هنا ، الله وحده يعلم . اما الرفيق اكسلرود ، فانه ، على ما يبدو ، لم يكن يعرف جيداً جداً ما اذا كان يدبّج رسالة زمستفو بشأن الاصلاحات المرغوب فيها في الادارة ، ام اذا كان يستدر شكاوى «الاقلية» . فما **يمكن ان تعنيه** «الاوتوقراطية» في الحزب ، التي يزعق بها «المحررون» المستاؤون ؟ الاوتوقراطية سلطة عليا ، لا رقابة عليها ، لا مسؤولية عليها ، سلطة شخص واحد غير منتخبة . ان كتابات «الاقلية» تشهد ببلاغة على انهم بهذا الاوتوقراطي يقصدونني **انا وحدي** ، دون غيري . وعند تدبيج واقرار القرار المذكور ، كنا بليخانوف وانا نشترك في الجريدة المركزية . وعليه فان الرفيق اكسلرود وشركاه يعربون عن يقينهم بان بليخانوف وجميع اعضاء اللجنة المركزية كانوا «يقودون الحزب» حسب **مشيئة** الاوتوقراطي لينين ، لا وفقا لآرائهم في صالح القضية . ان الاتهام بالقيادة الاوتوقراطية يؤدي حتما وبالضرورة الى اعتبار جميع المشتركين الآخرين في القيادة ، باستثناء الاوتوقراطي ، مجرد ادوات في ايد غريبة ، ودمى وبيادق ، وعملاء ينفذون مشيئة الغير . ونحن نسأل ايضا ومرة اخرى : هل هو هذا حقاً «الخلاف المبدئي» عند الرفيق اكسلرود الجزيل الاحترام ؟

وبعد . اي وحدة ظاهرية وشكلية يقصد هنا اصحابنا «اعضاء الحزب» عند عودتهم للتو من مؤتمر الحزب الذي اقروا فيه على رؤوس الاشهاد بشرعية القرارات التي اتخذها ؟ ترى ، ألا يعرفون وسيلة غير مؤتمر الحزب لتحقيق الوحدة في حزب منظم على اسس متينة نوعاً ما ؟ اذا كانوا يعرفون ، فلماذا لا

www.kassioun.org

يتحلون بالشجاعة ويقولون بوضوح انهم كفوا عن اعتبار المؤتمر الثاني مؤتمراً شرعياً ؟ ولماذا لا يحاولون ان يعرضوا علينا افكارهم الجديدة ووسائلهم الجديدة لتحقيق الوحدة في حزب مزعوم ومزعوم التنظيم ؟

وبعد . اي «سحق للمبادرة الفردية» يقصد مثقفونا الفرديون ، الذين كانت جريدة الحزب المركزية قد **حشتهم** للتو على بسط خلافاتهم ، والذين ، **بدلا عن ذلك** ، راحوا يساومون حول «التعيين الداخلي» ؟ كيف كان في مستطاعنا بوجه عام ، بليخانوف وانا او اللجنة المركزية ، ان نسحق مبادرة ونشاط اولئك الذين رفضوا القيام **باي** «نشاط» كان معنا ! كيف يمكن «سحق» اي كان في مؤسسة او في هيئة ، **رفض الاشتراك** فيها ذاك الذي يتعرض للسحق ؟ كيف يمكن لمحررين غير منتخبين ان يتذمروا من «النظام الاداري» اذا رفضوا «**ان يداروا**» ؟ **لم يكن في مستطاعنا** ان نقترف **اي** خطأ عند قيادة رفاقنا وذلك لسبب بسيط ، هو ان هؤلاء الرفاق كانوا لا يعملون ابدا تحت قيادتنا .

يبدو واضحا ان الولولات بشأن البيروقراطية الشهيرة ترمي بكل بساطة الى اخفاء الاستياء من قوام الهيئات المركزية ؛ وانها مجرد ورقة تين لستر النكوث بالعهد المقطوع علنا في المؤتمر . انت بيروقراطي لأن المؤتمر عيّنك لا وفقا لارادتي بل خلافا لها ؛ انت متقيد بالشكليات ، لأنك تعتمد على قرارات المؤتمر الرسمية لا على موافقتي ؛ انت تسلك سلوكا آليا فظا ، لأنك تعتمد على اغلبية مؤتمر الحزب «الآلية» ولا تأخذ بالحسبان رغبتي في ضمي بالتعيين الداخلي ؛ انت اوتوقراطي لأنك لا تريد ان تضع السلطة بين يدي الزمرة القديمة الطيبة التي تدافع عن «استمرار» روحها الحلقي بعزيمة تتضاعف بقدر ما يزعجها انكار المؤتمر مباشرة لهذا الروح الحلقي .

ليس هناك ولم يكن هناك قط اي مضمون **فعلي** ، علاوة على المضمون الذي اشير اليه ، في هذه الولولات حول

www.kassioun.org

البيروقراطية* . وان هذا الاسلوب النضالي بالضبط هو الذي يبيّن مرة اخرى تذبذب الاقلية الملازم للمثقفين . فقد شاءت هذه الاقلية ان تقنع الحزب بانه اساء اختيار المركزين . ان تقنع ، ولكن كيف ؟ بانتقاد «الايسكرا» التي كنا نحن ، بليخانوف وانا ، نتولى ادارتها ؟ كلا ، انهم كانوا عاجزين عن ان يفعلوا هذا . انما كانوا يريدون ان يقنعوا برفض قسم من الحزب العمل تحت قيادة مراكز مكروهة . ولكنه ما من هيئة مركزية لاي حزب في العالم تستطيع تقديم البرهان على اهليتها لقيادة اولئك الذين يرفضون الخضوع للقيادة . ان رفض الخضوع لقيادة الهيئات المركزية ، انما يعني رفض عضوية الحزب ، انما يعني تحطيم الحزب . وليست هذه وسيلة للاقناع ، بل وسيلة **للتدمير** . وان من يحل التدمير محل الاقناع ، انما يقدم البرهان على انعدام صلابته المبدئية ، على انعدام ايمانه بافكاره .

ويتحدثون عن البيروقراطية . ان كلمة البيروقراطية يمكن ترجمتها الى الروسية بكلمة : التصدّر . البيروقراطية تعني اخضاع مصالح **القضية** لمصالح **الوصولية** ؛ تعني ايلاء انتباه متصل **للمناصب الرابحة** وتجاهل العمل ؛ تعني التماسك بالتلابيب من اجل **التعيين الداخلي** بدلا من النضال في سبيل **الافكار** . ان مثل هذه البيروقراطية هي بالفعل امر مضر وغير مرغوب فيه على الاطلاق بالنسبة **للحزب** ، واني اترك بكل اطمئنان للقارئ امر الحكم والقول اي من الطرفين المتصارعين حاليا في حزبنا ، مسؤول عن هذه البيروقراطية . . . ويتحدثون عن اساليب للاتحاد آلية فظة . لا ريب ان الاساليب الآلية الفظة مضرة ؛ ولكني اترك مرة اخرى للقارئ امر الحكم والقول ما اذا كان يمكن تصور وسيلة للنضال بين الاتجاه الجديد والاتجاه القديم ، اشد فظاظة وآلية من ادخال اشخاص في هيئات

---

* حسبنا ان نذكر بان الرفيق بليخانوف قد كف في عيون الاقلية عن ان يكون من انصار «المركزية البيروقراطية» ، بعد ان اجرى التعيين الداخلي المنقذ .

www.kassioun.org

الحزب قبل التوصل الى اقناع الحزب بصحة المفاهيم الجديدة ، قبل عرض هذه المفاهيم على الحزب .

ولكن ، ترى ، ألا تنطوي الكلمات المفضلة عند الاقلية . على معنى مبدئي ، ألا تعبر عن حلقة ما من الافكار ، بصرف النظر عن الذريعة التافهة والخاصة التي اتخذت بلا مراء ، في هذه الحال ، نقطة انطلاق «للانعطاف» ؟واذا تجردنا عن التماسك بالتلابيب حول «التعيين الداخلي» ، ترى ، ألا تكون هذه الكلمات مع ذلك انعكاسا لنهج آخر من الآراء ؟

لنبحث المسألة من هذه الزاوية . لا بد لنا من التنويه هنا قبل كل شيء بان اول من انصرف الى هذا البحث كان الرفيق بليخانوف ، الذي اشار ، في العصبة ، الى انعطاف الاقلية نحو **الفوضوية والانتهازية** ، وبان الرفيق مارتوف بالذات (المستاء جدا اليوم لأن ليس الجميع يريدون اعتبار موقفه موقفا مبدئيا *) قد فضّل **لزوم الصمت كليا** حول هذا الحادث في مؤلفه «حالة الحصار» .

في مؤتمر العصبة ، اثيرت المسألة العامة التالية : النظام الداخلي الذي تضعه لنفسها العصبة او اللجنة ، ترى ، هل

---

* ليس ثمة ما هو ادعى الى الضحك من هذا **الاستياء** من جانب «الايسكرا» الجديدة ، بسبب ان لينين لا يريد ، على حد زعمها ، ان يرى الخلافات المبدئية او انه ينكرها . بقدر ما تعالجون الامور بروح مبدئية ، بقدر ما تسرعون وتبحثون اشاراتي المكررة بشأن الانعطاف نحو الانتهازية . بقدر ما يكون موقفكم منطبقا على المبادئ ، بقدر ما لا تستطيعون ان تحطوا النضال الفكري الى مستوى اعتبارات التصدر . حاسبوا انفسكم بانفسكم ، اذا كنتم من تلقاء انفسكم قد فعلتم كل شيء للحيلولة دون اعتباركم اناسا امناء للمبادئ . وهكذا فان الرفيق مارتوف ، مثلا ، حين يتحدث في مؤلفه «حالة الحصار» عن مؤتمر العصبة ، لا يورد اي كلمة عن النقاش مع بليخانوف بصدد الفوضوية ؛ ولكنه يروي بالمقابل ان لينين هو المركز الاعلى ، انه حسب لينين ان يشير اشارة حتى يصدر المركز الاوامر ، ان تدخل اللجنة المركزية في العصبة راكبة حصاناً ابيض ، الخ . . اني لا اشك في ان الرفيق مارتوف قد استطاع ، باختيار هذه الموضوعة على وجه الضبط ، ان يقدم البرهان على اخلاصه العميق للافكار وللمبادئ .

www.kassioun.org

يكون شرعيا دون مصادقة اللجنة المركزية عليه ؟ وخلافا لمصادقة اللجنة المركزية ؟ هل من اجلى واوضح ؟ هكذا قد يخيل للمرء : النظام الداخلي هو التعبير الشكلي عن حالة التنظيم ، وحق تنظيم اللجان منوط قطعاً باللجنة المركزية على وجه الدقة ، بموجب الفقرة ٦ من نظام الحزب الداخلي ؛ والنظام الداخلي يعين حدود استقلال اللجنة الذاتي ، والصوت الحاسم في تعيين هذه الحدود هو صوت الهيئة المركزية ، لا صوت هيئة الحزب المحلية . **هذه هي الالفباء** ، وقد كان من العبث الصبياني الصرف التأكيد بطريقة فلسفية ان «التنظيم» لا ينطوي دائما على فكرة «المصادقة على النظام الداخلي» (كأنّ العصبة نفسها لم تعرب بكل استقلال عن رغبتها في ان تكون منظمة بموجب نظام داخلي رسمي على وجه الضبط) . ولكن الرفيق مارتوف ينسى حتى (لفترة من الزمن ، كما نأمل) الفباء الاشتراكية-الديموقراطية . وبرأيه ان مطلب المصادقة على النظام الداخلي لا يعني غير شيء واحد ، هو ان «المركزية الثورية السابقة «لايسكرا» يستعاض عنها بمركزية بيروقراطية» (ص ٩٥ من محاضر العصبة) ؛ وفي هذا الخطاب نفسه يصرح الرفيق مارتوف انه في هذا على وجه الضبط يرى «الجانب المبدئي» من الامور (ص ٩٦) ، هذا الجانب المبدئي الذي فضل لزوم الصمت حوله في مؤلفه «حالة الحصار» !

وسرعان يرد الرفيق بليخانوف على مارتوف ، طالبا منه الامتناع عن استخدام تعابير «تمس كرامة المؤتمر» ، مثل البيروقراطية ، والبومبادورية الخ . . (ص ٩٦) . ويقوم تبادل ملاحظات مع الرفيق مارتوف ، الذي تنطوي هذه التعابير بنظره على «وصف مبدئي لاتجاه معني» . الاّ ان الرفيق بليخانوف ، شأنه شأن جميع انصار الاغلبية ، رأى **آنذاك** الى هذه التعابير من حيث معناها الملموس ، مدركاً بكل وضوح لبّها غير المبدئي ، بل «التعييني الداخلي» بوجه الحصر ، اذا جاز التعبير على هذا النحو . غير انه يتنازل امام الحاح المارتوفيين والدويتشيين (ص ٩٦ – ٩٧) وينتقل الى بحث المفاهيم المبدئية المزعومة بحثا **مبدئيا** . ويقول : «اذا كان هكذا هو الحال (اي

www.kassioun.org

اذا كانت اللجان مستقلة ذاتيا من حيث انشاء منظمتها ، من حيث وضع نظامها الداخلي) ، فانها تكون مستقلة ذاتيا ازاء الكل ، ازاء الحزب . ان هذه ليست وجهة نظر بوندية ، بل ، بكل بساطة ، وجهة نظر فوضوية . وبالفعل ، يحاكم الفوضويون كما يلي : حقوق الافراد لا حدود لها ؛ وقد تدخل في نزاع ؛ كل فرد يعين بنفسه حدود حقوقه . ولكن حدود الاستقلال الذاتي انما يجب ان تعينها ، لا الفرقة نفسها ، بل الكل الذي تؤلف الفرقة جزءا منه . والبوند هو الذي يقدم مثالا صارخا على انتهاك هذا المبدأ . ولذا فان حدود الاستقلال الذاتي يعينها اما المؤتمر ، واما الهيئة العليا التي انشأها المؤتمر . ويجب ان ترتكز سلطة الهيئة المركزية على النفوذ المعنوي والفكري . على هذه النقطة ، انا موافق ، بالطبع . ومن واجب كل ممثل عن منظمة ان يحرص على ان يكون للهيئة نفوذ معنوي . ولكنه لا ينجم عن هذا ان السلطة غير ضرورية اذا كان النفوذ ضروريا . . . ان معارضة نفوذ الافكار بنفوذ السلطة ، انما هي جملة فوضوية لا يجب ان ترد هنا» (ص ٩٨) . ان هذه المبادئ بدائية الى اقصى حد ، انها حقا بديهيات بحيث ان من المستغرب فعلا طرحها على التصويت (ص ١٠٢) وانها لم توضع موضع الشك الا لان «المفاهيم تشوّشت في الوقت الحاضر» (المرجع نفسه) . ولكن فردية المثقفين قادت الاقلية بصورة لا مناص منها الى الرغبة في احباط المؤتمر ، الى الرغبة في عدم الخضوع للاغلبية ؛ بيد انه كان من المستحيل تبرير هذه الرغبة بغير **جملة فوضوية** . ومن منتهى الطرافة انه لم يكن في مقدور الاقلية ان تعرب عن شيء لبليخانوف ، اللهم عن **الشكوى** من استعمال تعابير في اقصى العنف مثل الانتهازية ، والفوضوية ، الخ . . وببالغ الصواب ، سخر بليخانوف من هذا النوع من الشكاوى ، سائلا لماذا «لا يليق استعمال الجوريسية والفوضوية بينا يليق استعمال lèse-majesté (التعرض لصاحب الجلالة) والبومبادورية» ؟ لا جواب عن هذا السؤال . ان هذا qui pro quo * الاصيل يحدث دائما للرفيقين

* ـ سوء التفهم . **الناشر** .

www.kassioun.org

مارتوف واكسلرود وشركاهما : فان كلماتهم الجديدة تحمل طابعا جليا هو طابع «القلب» ؛ وهذا التذكير يغيظهم – نحن ، كما ترون ، اناس ذوو مبادئ ؛ ولكنه يقال لهم : اذا كنتم ، **من اجل المبدأ** ، ترفضون خضوع الجزء للكل ، فانتم فوضويون . استياء جديد بسبب من تعبير قوي جدا ! وبكلمة اخرى : انهم يريدون ان يحاربوا بليخانوف ، ولكن شرط ان لا يشنه عليهم هجوما جدّيا !

كم مرة بذل الرفيق مارتوف وجميع «المناشفة» (اعضاء الاقلية : **الناشر** .) الآخرين ، جهدهم ، بطريقة لا تقل صبيانية ، لاتهامي «بالتناقض» التالي . يأخذون مقطعا من «ما العمل ؟» او من «رسالة الى رفيق» ، يدور فيه الكلام حول التأثير الفكري ، والصراع في سبيل النفوذ ، الخ . ، ويعارضونه بالتأثير «البيروقراطي» بواسطة النظام الداخلي ، بالنزعة «الاوتوقراطية» الى الاعتماد على السلطة ، الخ . . فيا لهم من سذّج ! لقد نسوا ان حزبنا لم يكن **فيما مضى** كلا منظماً شكلياً ، بل كان مجرّد مجموعة من الفرق الخاصة ، ولذا لم يكن من الممكن ان تقوم بين هذه الفرق اية علاقات غير علاقات التأثير الفكري . اما **الآن** ، فقد صرنا حزبا منظما ؛ وهذا يعني بالضبط نشوء سلطة ، وتحوّل هيبة الافكار الى هيبة للسلطة ، وخضوع الهيئات الدنيا في الحزب للهيئات العليا . وانه حتى لمن المزعج حقا ان نكرر هذه الحقائق الاولية على مسامع رفاق قدامى ، حين ندرك على الاخص ان المقصود انما هو ، بكل بساطة ، رفض الاقلية الخضوع للاغلبية في قضية الانتخابات ! ولكن جميع هذه الجهود الدائبة لاتهامي بالتناقض تنحصر **كلياً ، من حيث المبدأ** ، في جملة فوضوية . ولا تمتنع «الايسكرا» الجديدة عن استغلال لقب وحق هيئة حزبية ، ولكنها لا ترغب في الخضوع لأغلبية الحزب.

واذا كان ثمة مبدأ في الجمل حول البيروقراطية ، اذا لم يكن هذا انكاراً فوضوياً لواجب خضوع الجزء للكل ، فنحن اذن امام **مبدأ من مبادئ الانتهازية** التي تريد تخفيف مسؤولية بعض المثقفين امام حزب البروليتاريا ، واضعاف نفوذ الهيئات

www.kassioun.org

المركزية ، وتعزيز الاستقلال الذاتي لاقل عناصر الحزب ثباتا ، وحصر العلاقات التنظيمية في اعتراف شفوي افلاطوني صرف بها . ولقد رأينا هذا في مؤتمر الحزب ، حيث كان الاكيموفيون والليبريون يلقون حول المركزية «الفظيعة» الخطب نفسها تماما التي تدفقت من افواه مارتوف وشركاه في مؤتمر العصبة . اما ان تقود الانتهازية ، لا من باب الصدفة ، بل بحكم طبيعتها ذاتها ، لا في روسيا وحدها ، بل في العالم كله ايضا ، الى «نظرات» تنظيمية على طريقة مارتوف واكسلرود ، فهذا ما سنراه فيما بعد ، عند تحليل مقال الرفيق اكسلرود في «الايسكرا» الجديدة .

ع – يجب ان لا تحول المنغّصات الصغيرة دون اللذة الكبرى

ان رفض العصبة القرار حول ضرورة مصادقة اللجنة المركزية على نظامها الداخلي (ص ١٠٥ من محاضر العصبة) قد كان ، كما لاحظت فورا كل اغلبية مؤتمر الحزب ، «**انتهاكا صارخا لنظام الحزب الداخلي**» . ان انتهاكا كهذا ، اذا اعتبر عملا قام به اناس امناء للمبادئ ، قد كان عملا فوضويا صرفا ؛ ولكنه كان لا بد له بالضرورة ، في جو الصراع الذي احتدم بعد المؤتمر ، من ان يظهر بمثابة «تصفية حساب» من جانب اقلية الحزب مع اغلبية الحزب (ص ١١٢ من محاضر العصبة) ؛ وكان يعني رفض الخضوع للحزب ورفض البقاء في الحزب . ان رفض العصبة اتخاذ قرار بصدد بيان اللجنة المركزية حول ضرورة تعديل النظام الداخلي (ص ص ١٢٤ – ١٢٥) كان يؤدي حتما الى اعتبار لااجتماع الذي شاء ان **يُعتبر** اجتماع منظمة حزبية وان لا يخضع في الوقت نفسه لهيئة الحزب المركزية ، اجتماعا **غير شرعي** . ولذا انسحب انصار اغلبية الحزب فورا من هذا الاجتماع الحزبي المزعوم لكي لا يشتركوا في هذه المهزلة الشائنة .

وهكذا فان فردية المثقفين ، مع اعترافها الافلاطوني بالعلاقات التنظيمية ، هذه الفردية التي تكشفت في تأرجحات

www.kassioun.org

الرأي بصدد الفقرة الاولى من النظام الداخلي ، قد بلغت عمليا حدها المنطقي الذي تنبأت به منذ ايلول (سبتمبر) ، اي قبل شهر ونصف الشهر من حلوله : **تدمير** منظمة الحزب . وفي مساء اليوم نفسه بعد اختتام مؤتمر العصبة ، في هذا الظرف ، صرّح الرفيق بليخانوف لزملائه في هيئتي الحزب المركزيتين ، انه لا يستطيع ان «يطلق النار على اخصّائه» ، وان «الانتحار باطلاق رصاصة في الرأس خير من الانشقاق» ؛ وانه ، اجتنابا لشر اكبر ، يجب بذل الحد الاقصى من التنازلات الشخصية ، التي يستمر حولها ، في الواقع (اكثر بما لا يقاس مما حول المبادئ التي ظهرت في الموقف الخاطئ من الفقرة الاولى) هذا النضال المستميت . ولكي نعطي وصفا ادق لهذا الانعطاف الذي اجراه الرفيق بليخانوف ، والذي اكتسب بعض الاهمية بالنسبة لمجمل الحزب ، اعتبر من الافيد ان اعتمد ، لا على احاديث خاصة ولا على رسائل خاصة (لا يمكن الاعتماد على هذه الرسائل الا في حال الضرورة القصوى) ، بل على العرض الذي قدمه بليخانوف نفسه امام الحزب بأسره ، في مقاله «ما لا ينبغي عمله» المنشور في العدد ٥٢ من «الايسكرا» ، والمكتوب على وجه الدقة فور اختتام مؤتمر العصبة ، بعد خروجي من هيئة تحرير الجريدة المركزية (اول تشرين الثاني – نوفمبر – ١٩٠٣) وقبل ضم انصار مارتوف (٢٦ تشرين الثاني ١٩٠٣) .

ان الفكرة الرئيسية في مقال «ما لا ينبغي عمله» ، هي التالية : لا يجوز في مضمار السياسة ان يكون المرء مستقيما وعنيفا ومتشددا بلا داع ، ومن الضروري احيانا ، اجتنابا للانشقاق ، التنازل سواء للمحرفين (من الذين يقتربون منّا او من المتذبذبين) ام للفرديين الفوضويين . ومن الطبيعي تماما ان تكون هاتين الموضوعتين المجردتين العامتين قد اثارتا دهشة جميع قرّاء «الايسكرا» . ولا يمكن الامتناع عن الضحك عند قراءة تصريحات الرفيق بليخانوف الجميلة والابية (في المقالات اللاحقة) ، الزاعمة ان الناس لم يفهموه بسبب من جدّة افكاره . لأن الناس يجهلون الديالكتيك . اما في الواقع ،

www.kassioun.org

فان مقال «ما لا ينبغي عمله» لم يكن من الممكن ان يفهمه ، عندما كتب ، الا عشرة من الاشخاص القاطنين في ضاحيتين من ضواحي جينيف يبدأ إسماهما بالحرف الاول نفسه (٣٠) . ومصيبة الرفيق بليخانوف ، انه عرض امام نحو عشرة آلاف قارئ ، مجموعة من التلميحات . والاتهامات ، والعلامات الجبرية والالغاز ، موجهـــة فقط الى هؤلاء الاشخاص العشرة الذين اشتركوا في جميع مراحل النضال الذي جرى بعد المؤتمر ضد الاقلية . وقد وقع الرفيق بليخانوف في هذه المصيبة لأنه خالف الموضوعة الاساسية في الديالكتيك التي اشار اليها بفائـق الخراقة : لا حقيقة مجردة ، الحقيقة دائما ملموسة . ولهذا السبب بالذات كان من غير المناسب عرض فكرة ملموسة جدا بشكل مجرد ، هي فكرة التنازل ازاء انصار مارتوف بعـد مؤتمر العصبة .

ان الروح التنازلي ، الذي يقدمه الرفيق بليخانوف بمثابة تعبير كفاحي جديد ، مشروع وضروري في حالتين : اما حين يقتنع الذي يتنازل بصحة مطالب اولئك الذين يريدون الحصول على تنازلات (في هذه الحالـة ، يعترف السياسيون الشرفاء بخطئهم صراحة وعلنا) ، واما حين يتم التنازل لمطلب مخالف للصواب وضار بالقضية ، اجتنابا لشر اكبر . ويتبين بكل وضوح من المقال المذكور ان كاتبه يقصد الحالة الثانية : فهو يتحدث صراحة عن التنازلات الواجب اجراؤها في صالـــح المحرفين والفرديين الفوضويين (اي المارتوفيين ؛ وهذا مـــا يعرفه الآن جميع اعضاء الحزب من محاضر العصبة) ، وهـــي تنازلات الزامية لاجتناب الانشقاق . وهكذا ترون ان فكرة الرفيق بليخانوف الجديدة المزعومة تنحصر كلياً في حكمة حياتية غير جديدة كثيراً : يجـب ان لا تحول المنغصات الصغيرة دون اللذة الكبرى ، وحماقة انتهازية صغيرة وجملة فوضويـــة قصيرة افضل من انشقاق كبير في الحزب . ان الرفيـــق بليخانوف كان يدرك بوضوح عندمـــا كتب هذا المقال ان الاقلية تمثل الجناح الانتهازي في حزبنا ، وانها تحارب بوسائل فوضوية . وقد تقدم الرفيق بليخانوف بمشروع : النضال ضد

www.kassioun.org

هذه الاقلية بواسطة تنازلات شخصية كما كان الحال (وهذه المرة ايضا si licet parva componere magnis*) في الاشتراكية الديموقراطية الالمانية حين كانت تناضل ضد برنشتين . فقد كان بيبل يصرح علنا في مؤتمرات حزبه انه لا يعرف ابدا انسانا اقل صمودا لتأثير البيئة من الرفيق برنشتين (لا السيد برنشتين ، كما كان يطيب للرفيق بليخانوف القول فيما مضى ، بل الرفيق برنشتين) : سنأخذه ونضعه في بيئتنا ، وسنجعل منه مندوبا الى الريخستاغ ، وسنناضل ضد التحريفية ، دون ان نحارب التحريفي بعنف في غير موضعه (على طريقة سوباكيفيتش Parvus- (٣١)) ؛ هذا التحريفي «سنقتله بلطف» (kill with kindness) ، كما قال ، حسبما اذكر ، الرفيق م . بير (M. Beer) في اجتماع اشتراكي-ديموقراطي انجليزي دفاعا عن روح التنازل والمسالمة واللطف والمرونة والاحتراس عند الالمان ، ضد حملات سوباكيفيتش-هايندمان الانجليزي . على هذا النحو تماما كان الرفيق بليخانوف يريد ان «يقتل بلطف» الفوضوية الصغيرة والانتهازية الصغيرة عند الرفيقين اكسلرود ومارتوف . صحيح ان الرفيق بليخانوف ، الى جانب تلميحاته الجلية تماما بصدد «الفرديين الفوضويين» ، قد ابدى رأيه بصدد المحرفين ، بتعابير غامضة متعمّدة ، بحيث يوهم بانه يقصد جماعة «رابوتشييه ديلو» الذين يميلون من الانتهازية نحو الارثوذكسية ، لااكسلرود ومارتوف اللذين شرعا يميلان **من الارثوذكسية نحو التحريفية** ، ولكنها كانت تلك حيلة حربية ساذجة** ، استحكاماً هزيلاً جدا ، عاجزاً عن

---

* راجع الشرح في ص ١٦٤ . **الناشر** .

** التنازلات في صالح الرفاق مارتينوف، واكيموف وبروكر ، لم ترد قط على بساط البحث بعد مؤتمر الحزب . ولم اسمع انهم طالبوا هم ايضا «بالتعيين الداخلي» . حتى اني اشك في ان يكون الرفيق ستاروفر او الرفيق مارتوف اخذا رأي الرفيق بروكر حين كتبا الينا اوراقهما و«مذكراتهما» باسم «نصف الحزب» . . . وفي مؤتمر العصبة ، رفض الرفيق مارتوف ، باشد الغضب الذي يجيش في صدر المكافح السياسي المتشدد ، حتى فكرة «الاتحاد مع ريازانوف او مارتينوف» ، وامكان «المساومة» معهما او حتى الاشتراك معا (بصفة محرر) «في خدمة

www.kassioun.org

الصمود امام نيران مدفعية العلنية في الحزب .

بيد ان من يطّلـــع على الوضع الملموس في الظرف السياسي المقصود ويتمعن بنفسية الرفيق بليخانوف ، يدرك انه لم يكن في مستطاعي آنذاك ان اسلك سلوكا آخر . واقصد بكلامي اولئك الذين ، من بين انصار الاغلبية ، لاموني على تسليم هيئة التحرير . فحين قام الرفيق بليخانوف بانعطاف بعد مؤتمر العصبة وتحول من نصير للاغلبية الى نصير للتوافق باي ثمن كان ، كان لا بد لي ان اؤوّل هذا الانعطاف خير تأويل . ترى ، هل اراد الرفيق بليخانوف ان يعطي في مقالـه برنامج صلح طيب وشريف ؟ ان اي برنامج من هذا النوع ينحصر في اعتراف صادق بالاخطاء من قبل الطرفين . فما هـــو الخطأ الذي اشار اليه الرفيق بليخانوف عند الاغلبية ؟ — موقف من المحرفين ، قوامه عنف جدير بسوباكيفيتش وفي غير مكانه وزمانه . ولا يمكن القول ماذا كان الرفيق بليخانوف يقصد آنذاك : نكتته عن الحمير ام اشارته الى الفوضويـــة والانتهازية ، وقد اطلقهـا بحضور اكسلرود دون اي احتراس على الاطلاق ؛ لقد فضّـــل الرفيـــق بليخانوف ان يتكلـــم «بالمجرد» ، ملقيا نظرات مواربة الى زيد . وهذه مسألـــة ذوق ، بالطبع . ولكن ألم اعترف بعنفي صراحة وعلنا في رسالة الى ايسكري وفي مؤتمر العصبة ؛ وكيف كان في مقدوري ان لا اعترف بهذا «الخطأ» عند الاغلبية ؟ امـا فيما يخص الاقلية ، فان الرفيق بليخانوف قد اشار بكل وضوح الى خطئها : التحريفية (راجع ملاحظاته بشأن الانتهازية في مؤتمـر

الحزب» (ص ٥٣ من محاضر العصبة) . وفي مؤتمر العصبة ، شجب الرفيق مارتوف بصرامة «ميول مارتينوف» (ص ٨٨) ، وحين المحـــت الرفيقة ورتودوكس (٣٢) بنعومة الى ان اكسلرود ومارتوف قد «يقران بحق الرفاق اكيموف ومارتينوف وغيرهما في الاجتماع من اجل وضع نظام داخلي لاستعمالهم الخاص والعمل بموجبه كما يطيب لهم» (ص ٩٩) ، شرع المارتوفيون ينكرون ، كما انكر بطرس المسيح (ص ١٠٠ ، قائلين ان «مخاوف الرفيقـــة اورتودوكس» «بشـــأن الاكيموفيين والمارتينوفيين ، الخ . .» «لا اساس لها»)

www.kassioun.org

الحزب وبشأن الجوريسيةّ في مؤتمر العصبةّ) والفوضويةّ التي قادت الى الانشقاق . وهل كان في مستطاعي ان احول ، عن طريق التنازلات الشخصية ، وبوجه عام ، عن طريق «kindness» (اللطف ، العذوبة ، الخ . .) من كل شاكلة وطراز ، دون السعي الى الحصول على اعتراف بهذه الاخطاء والى شل اضرارها ؟ هل كان في مستطاعي ان احول دون هذا السعي ، حين راح الرفيق بليخانوف ، في مقاله «ما لا ينبغي عمله» ، يحث بجلاء على «**الشفقة على الخصوم**» من المحرّفين الذين ليسوا محرّفين «الا بحكم بعض النقص في الانسجام» ؟ واذا كنت آنذاك لا اؤمن بهذا السعي ، فهل كان في مستطاعي ان افعل شيئا غير ان اقوم بتنازل شخصي بشأن الجريدة المركزية واهاجر ، دفاعا عن موقف الاغلبية ، الى اللجنة المركزية * ؟ اما ان انكر اطلاقا امكانية مثل هذه المساعي وآخذ عليّ وحدي مسؤولية الانشقاق الوشيك ، فهذا ما لم يكن في مستطاعي ان افعله ، وان لسبب واحد ، لأني كنت اميل انا نفسي ، في رسالة ٦ تشرين الاول (اكتوبر) الى تفسير المشاجرة «بالتهيج الشخصي» . واما الدفاع عن موقف الاغلبية ، فقد اعتبرته

* لقد اصاب الرفيق مارتوف في قوله بهذا الصدد انني هاجرت avec armes et bagages (بالاسلحة والامتعة . **الناشر** .) . ان الرفيق مارتوف يلجأ بكل طيبة خاطر الى التشبيهات العسكرية : حملة على العصبة ، معركة ، جراح لا شفاء لها ، الخ . ، الخ . . ويجب ان اعترف اني بدوري ميال كثيرا الى التشبيهات العسكرية ، خصوصا في الوقت الحاضر اذ يتتبع الناس ببالغ الاهتمام الانباء التي تتوارد الينا من المحيط الهادئ . ولكن ، ما دمنا نلجأ الى اللغة العسكرية ، يا رفيق مارتوف ، فاليك كيف جرت الامور . استولينا على حصنين في مؤتمر الحزب . فهاجتموهما في مؤتمر العصبة . منذ اول اشتباك خفيف ، يفتح زميلي ، قائد احد الحصنين ، الابواب للعدو . حينذاك اجمع بالطبع مدفعيتي الصغيرة واتوجه الى الحصن الآخر الخالي تقريبا من اي دفاع ، «واكمن» ، وقبالتي عدو اكثر عددا بكثير . حتى اني اعرض الصلح : وبالفعل ، كيف احارب دولتين ؟ ولكن الحلفاء الجدد ، جوابا عن عروضي بالصلح ، يقذفون بالقنابل حصني «الاخير» . فأطلق النار . واذا بزميلي السابق ــ قائد الحصن ــ يهتف بغضب رائع : شوفوا ، ايها الناس الطيبون ، ما ابعد تشامبرلن هذا عن روح المسالمة !

www.kassioun.org

ولا ازال اعتبره من واجبي السياسي . فقد كان من الصعب ومن باب المجازفة الاعتماد في هذه القضية على الرفيق بليخانوف ، لأن كل شيء كان يقول ان جملته : «لا يحق للقائد البروليتاري ان ينساق وراء نزعاته الحربية ، حين تكون مخالفة للحسابات السياسية» ، انما كان الرفيق بليخانوف مستعدا لتأويلها بطريقة ديالكتيكية ، بمعنى انه ما دام يجب اطلاق النار ، فمن الافيد (حسب حالة الجو الجينيفي في تشرين الثاني — نوفمبر) اطلاق النار على الاغلبية . . . وكان من الضروري الدفاع عن موقف الاغلبية لأن الرفيق بليخانوف ، — سخرا منه بالديالكتيك الذي يتطلب بحثا ملموسا وشاملا ، — حين تطرق الى مسألة حسن (؟) نية الثوري ، تهرب ، بكل تواضع ، من مسألة **الثقة بالثوري** ، من مسألة الايمان بهذا «القائد البروليتاري» ، الذي كان يقود جناحا معينا من الحزب . وحين تكلم الرفيق بليخانوف عن الفردية الفوضوية واوصى بالتغاضي «من وقت الى آخر» عن مخالفات الطاعة ، والاستسلام «احيانا» لتراخي المثقفين ، «الكامن في شعور لا يمت باي صلة الى الاخلاص للفكرة الثورية» ، انما نسي ، على ما يبدو ، انه كان من المهم ايضا ان يؤخذ بعين الاعتبار حسن النية عند اغلبية الحزب ؛ وانه كان من المهم ان يترك **للمطبقين بالضبط** امر تحديد **مدى** التنازلات الواجب اجراؤها في صالح الفرديين الفوضويين . وبقدر ما يسهل النضال الادبي ضد الحماقات الفوضوية الصبيانية ، بقدر ما يصعب العمل في الواقع مع فردي فوضوي في منظمة واحدة . وان المتأدب الذي يأخذ على عاتقه ان يحدد مدى التنازلات الممكنة عمليا في صالح الفوضوية ، لن يقدم الدليل الا على ادعاء لا حد له ، ادعاء عقائدي متحجر فعلا . وقد لاحظ الرفيق بليخانوف بمهابة وترفّع (قَصْدَ ومن اجل المهابة ، كما قال بازاروف (٣٣)) ان العمال لن يعودوا يفهموننا اذا ما حدث انشقاق جديد ، وفي الوقت نفسه ، دشّن بذاته سلسلة طويلة من المقالات من هذا النوع في «الايسكرا» الجديدة ، كان لا بد لها ان تظل ، بمعناها الفعلي والملموس ، غير مفهومة ، لا بالنسبة للعمال وحسب ، بل

www.kassioun.org

ايضا ، بوجه عام ، بالنسبة للعالم كله . فلا غرابة اذا كان عضو اللجنة المركزية الذي قرأ مسودة مقال «ما لا ينبغي عمله» ، قد حذّر الرفيق بليخانوف من ان مشروعه الذي ينص على تخفيض معين لمطبوعات معينة (محاضر مؤتمر الحزب ومؤتمر العصبة) ، انما يحطمه بالضبط هذا المقال الذي يبعث الفضول ويطرح شيئا جذابا وغامضا في آن واحد على حكم الشارع * ، ويثير حتما اسئلة مفعمة بالقلق : «ماذا جرى ؟» . ولا غرابة اذا كان هذا المقال بالذات للرفيق بليخانوف ، قد اشاع فرحا شديدا بين اعداء الاشتراكية-الديموقراطية ، بسبب من طابع محاكماته المجرّد وغموض تلميحاتـــه : رقصة الكانكان على صفحات «روسيا الثورية» (٣٤) والمدائح الحماسية للمحرفين المنسجمين في «اوسفوبوجدينييه» . اما مصدر جميع مظاهر سوء الفهم هذه ، المضحكة والمحزنة ، التي تملص منها الرفيـــق بليخانوف فيما بعد بطريقة غاية في الاضحاك وغاية في الاحزان ، فانه يكمن على وجه الدقة في انتهاك موضوعة الديالكتيـــك الاساسية : يجب تحليل القضايا الملموسة بطريقة ملموسة ولا اكثر . وبوجه خاص ، كانت حماسة السيد ستروفه طبيعية تماما : فقلما كانت تهمه الاهداف «الطيبة» (kill with kindness) التي كان يقصدها الرفيق بليخانوف (ولكن التي كان من الممكن ان لا يبلغها) ؛ فان السيد ستروفه كان يرحب وكان لا بدّ له ان يرحب **بالانعطاف الذي جرى نحو الجناح الانتهازي من**

---

* كنا نناقش بحرارة وحماسة في قاعة ما مغلقة . واذا احدنا يقفز فجأة من مطرحه ، ويفتح النافذة التي تطل على الشارع ويأخذ في الصياح ضـــد السوباكيفيتشيين ، والفرديين الفوضويين ، والمحرفين ، الخ . . وبالطبع ، يتجمع في الشارع جمهور من المتسكعين الفضوليين ، وها هم اعداؤنا يسخرون ويضحكون . كذلك يقترب سائر المشتركين في هذه المناقشة من النافذة ، رغبة منهم في عرض الامور بطريقة متناسقة ، متماسكة ، من البداية ، ودون تلميح الى ما لا يعرفه احد . حينذاك ، تنغلق النافذة فجأة : فلا جدوى من التحدث عن **المماحكات** ، روحوا ! («الايسكرا» ، العدد ٥٣ ، ص ٨ ، العمود ٢ ، السطر ٢٤ ابتداء من اسفل) . لم يكن ثمة جدوى من **البدء في «الايسكرا»** بالاحاديث عن «المماحكات» ، يارفيق بليخانوف (٣٥) ، — هذه هي الحقيقة فعلا !

www.kassioun.org

حزبنا ، بهذا الانعطاف الذي كان قد بـــدأ في «الايسكرا» الجديـــدة ، كما يرى ذلك الآن الجميـــع وكل فرد . ان الديموقراطيين البرجوازيين الروس ليسوا وحدهم من يرحبون بكل انعطاف ، مهما كان صغيرا وموقتا ، نحو الانتهازية في جميع الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية . ومن النادر جدا ان يكون سوء الفهم مطلقا في تقدير عدو ذكي : قل لي من يعظّمك ، اقل لك فيما تضل السبيل . ان الرفيق بليخانوف يخطئ في الاعتماد على قارئ غير متنبه ، حين يفكر في عرض الامور كأنّ الاغلبية عارضت بلا تحفظ التنازلات الشخصية بصدد التعيين الداخلي ، ولم تعارض الانتقال من الجناح اليساري الى الجناح اليميني في الحزب . والمسألة لا تقوم البتة في ان الرفيق بليخانوف ، اجتنابا منه للانشقاق ، قد اجرى تنازلا شخصيا (وهو امر يستحق الثواب) ؛ فالمسألة تقوم في ان الرفيق بليخانوف ، الذي اقر تماما بضرورة **النقاش** مع المحرفين غير المنسجمين ومع الفرديين الفوضويين ، فضّل النقاش مع الاغلبية التي اختلف معها **على مدى** التنازلات العملية الممكنة في صالـــح الفوضوية . المسألة لا تقوم البتة في ان الرفيق بليخانوف قد غيّر قوام هيئة التحرير ؛ فالمسألة تقوم في انه خان موقفه في النقاش مع التحريفية والفوضوية ، وانه كف عن الدفاع عن هذا الموقف في جريدة الحزب المركزية .

اما اللجنة المركزية ، التي كانت **آنذاك** الممثّلة المنظمة الوحيدة للاغلبية ، فقد اختلف الرفيق بليخانوف معها (مع اللجنة المركزية) آنذاك **لسبب واحد بوجه الحصر ، هو مدى التنازلات العملية الممكنة في صالح الفوضوية** . لقد مضى قرابة شهر منذ اول تشرين الثاني (نوفمبر) ، حين فك انسحابي يدي سياسة kill with kindness . وقد توفرت للرفيق بليخانوف الامكانية التامة للتثبت ، بشتى انواع الاتصالات ، من صحـــة هذه السياسة . وفي ذلك الحين ، نشر الرفيق بليخانوف مقاله : «ما لا ينبغي عمله» الذي كان – **ولا يزال** – ، اذا جاز القول ، البطاقة الوحيدة في ايدي المارتوفيين للدخول الى هيئة التحرير . وشعارا : التحريفية (التي يجب النقاش معها مع الشفقة على

www.kassioun.org

الخصم) والفردية الفوضوية (التي يجب الاعتناء بها ، وقتلها بلطف) ، مطبوعان في هذه البطاقة باحرف سوداء ضخمة . طيب ، اهلا وسهلا ، ايها السادة ، سأقتلكم بلطف ، — هذا ما يقوله الرفيق بليخانوف في بطاقة الدعوة هذه الى زملائه الجدد في هيئة التحرير . وطبيعي انه لم يبق للجنة المركزية الا ان تقول كلمتها الاخيرة (الانذار ، وهذا يعني : الكلمة الاخيرة حول الصلح الممكن) بشأن مدى التنازلات العملية المقبولة ، من وجهة نظرها ، في صالح الفردية الفوضوية . اما انكم تريدون السلم ، وآنذاك اليكم عددا معينا من المناصب التي تبرهن على لطفنا ، وروح المسالمة عندنا ، وروح التنازل عندنا ، الخ . . (نحن لا نستطيع ان نعطيكم مزيدا من هذه المناصب لكي نضمن السلام في صفوف الحزب ، السلام ، لا بمعنى انه لن تقوم اي مناقشات ، بل بمعنى ان الحزب لن تدمره الفردية الفوضوية) . خذوا هذه المناصب ، ومن اكيموف انعطفوا من جديد رويداً رويداً نحو بليخانوف . واما انكم تريدون الحفاظ على وجهة نظركم وتطويرها ، والانعطاف نهائيا (وان في ميدان المسائل التنظيمية فقط) نحو اكيموف ، واقناع الحزب بانكم على حق ضد بليخانوف ، — وآنذاك خذوا الفرقة الادبية ، تلقوا التمثيل في المؤتمر ، وابدأوه نضالا شريفا ، مجادلة سافرة ، من اجل الظفر بالاغلبية . هذان الحلان اللذان لا ثالث لهما ، والمطروحان بكل وضوح امام المارتوفيين في انذار اللجنة المركزية الصادر في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٣ (٣٦) (راجع : «حالة الحصار» و«التعليق على محاضر العصبة» *) ،

---

* طبيعي اني ادع جانبا بلا بحث الكبة التي عقدها مارتوف في «حالة الحصار» حول هذا الانذار من اللجنة المركزية ؛ متذرعا بمحادثات خاصة ، الخ . . وهذا هو «الاسلوب النضالي الثاني» الذي وصفته في الفصل السابق ؛ والذي لا يستطيع ان يحلله ببعض الحظ في النجاح الا اختصاصي في الامراض العصبية . حسبي القول ان الرفيق مارتوف يصر في مؤلفه هذا على ان هناك اتفاقا مع اللجنة المركزية يتعلق بعدم نشر المحادثات ، مع العلم ان هذا الاتفاق لم يعثر له على اثر حتى الآن رغم جميع التحريات . وان الرفيق ترافينسكي ؛ الذي اجرى المحادثات باسم اللجنة المركزية ، اعلمني خطيا انه يعترف لي بحق طبع رسالتي الى هيئة التحرير ؛ خارج «الايسكرا» .

www.kassioun.org

متفقان كل الاتفاق مع الرسالة التي وجهناها بليخانوف وانا في ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٣ الى المحررين السابقين : اما التهييج الشخصي (وآنذاك يمكن ، **في اسوأ الاحوال** ، اللجوء الى «التعيين الداخلي») واما الخلاف المبدئي (وآنذاك يجب **اولا** اقناع الحزب ، وبعد ذاك فقط ، الشروع بالمحادثات حول اعادة قوام المركزين) . اما ترك امر البت بهذه المعضلة الدقيقة الى المارتوفيين انفسهم ، فقد كان في مستطاع اللجنة المركزيـــة خصوصا وان الرفيق مارتوف كتب **في تلك اللحظة بالذات** ، في profession de foi* («مرة اخرى اقلية») الاسطر التالية :

«**الاقلية تطمع في هذا الشرف** : ضرب المثال الاول في تاريخ حزبنا بمعنى انه يمكن ، في حال «الهزيمة» ، **عدم تشكيل حزب جديد** . ان هذا الموقف الذي تقفه الاقلية ينبع من جميع نظراتها الى تطور الحزب في ميدان التنظيم ؛ وينبع من ادراكها لصلاتها المتينة مع العمل السابق المبذول في الحزب . ان الاقلية لا تؤمن في قوة «الثورات الورقية» ، في قوتها الصوفية ؛ وهي ترى **في العمق الذي تبرر به الحياة** مطامحها الضمانة **بانهـــا ستتوصل بدعاية فكرية صرفة في داخل الحزب ، الى انتصار مبادئها التنظيمية**» . (اشارة التأكيد مني .)

كلمة واحدة من كلمات الرفيق مارتوف اعجبتني خاصة ، وهي «البونابرتية من اسوأ نوع» . اني اجد ان الرفيق مارتوف صاغ هذا المفهوم في الوقت المناسب تماما . لنبحث برباطة جأش ما يعنيه هذا المفهوم . برأيي انه يعني : اكتساب السلطة بوسيلة شرعية **من حيث الشكل** ، ولكنها **من حيث الاساس** مخالفة لارادة الشعب (او الحزب) . أليس كذلك ، يا رفيق مارتوف ؟ واذا كان كذلك ، فاني اترك بكل اطمئنان الى الجمهور امر الحكـــم والقول من اي جانب ظهرت هذه «البونابرتية من اسوأ نوع» ، من جانب لينين وايفريك (٣٧) اللذين كان في مستطاعهما الاستفادة من حقهما **الصريح** في ســـد الطريـــق على المارتوفيين ، اعتمادا على ارادة المؤتمر الثاني ، ولكنهما **لم يستفيدا** من هذا الحق ؛ ام من جانب اولئك الذين كانوا **على حق من حيث الشكل** في احتلال هيئة التحرير («التعيين الداخلي الاجتماعي») ، مع علمهم **ان هذا لا يتفق ، من حيث الاساس ، مع ارادة المؤتمر الثاني** ، وخوفهم من ان يتحقق المؤتمر الثالث من هذه الارادة ؟

* — رمز ايمانه ، برنامجه ، عرض نظرته عن العالم . **الناشر** .

www.kassioun.org

فيا للكلمات الرائعة ، الابية ! وباي شعور من المرارة تبين بالتجربة انها كانت تلك **مجرد كلمات** . . . ارجوك ، يا رفيق مارتوف ، ان تعذرني ، ولكني الآن **اعلن باسم الاغلبية اني اطمع في** هذا «الشرف» الذي **لم تستحقه انت اطلاقا** . وسيكون فعلا شرفا كبيرا يجدر الكفاح من اجله ، لأن تقاليد الروح الحلقي قد خلّفت لنا انشقاقات في منتهى السهولة وتطبيقا في منتهى الحمية لهذه القاعدة : اما ضربة على الفك ، واما اليد للتقبيل ، من فضلك .

كان لا بد للذة الكبرى (لامتلاك حزب واحد) ان تتفوق وقد تفوقت فعلا على المنغصات الصغيرة (التي اتخذت شكل مماحكات حول التعيين الداخلي) . وقد انسحبت من الجريدة المركزية ، وانسحب الرفيق إيغريك (الذي انتدبناه بليخانوف وانا الى مجلس الحزب من قبل هيئة الجريدة المركزية) من المجلس ، وقد رد المارتوفيون على الكلمة الاخيرة للجنة المركزية حول الصلح برسالة (راجع المنشورات المنوه عنها) توازي اعلان حرب . حينذاك ، حينذاك فقط ، كتبت رسالة الى هيئة التحرير (العدد ٥٣ من «الايسكرا») حول العلنية . وقد قلت فيها : اذا كان لا بدّ من التحدث عن التحريفية ، والنقاش حول انعدام الروح المنطقي وحول الفردية الفوضوية وهزيمة شتى القادة ، فهيا بنا ، ايها السادة ، نعرض كل شيء دون ان نخفي شيئا ، لنقل كيف جرت الامور ، – هذا هو فحوى تلك الرسالة حول العلنية . واذا هيئة التحرير تجيب بكلمات مكدّرة مفعمة غضبا وبمواعظ رائعة : ممنوع ذكر «**تفاهات ومماحكات الحياة الحلقية**» (العدد ٥٣ من «الايسكرا») . آه ، طيب ، قلت في نفسي : «تفاهات ومماحكات الحياة الحلقية» . . . es ist mir recht ، على هذا انا موافق ، ايها السادة . لأن هذا يعني ان الارتباكات بسبب من «التعيين الداخلي» ، انما تنسبونها مباشرة الى **المماحكات الحلقية** . هذا صحيح . ولكن ، ما هذا التنافر ، حين تعمد هيئة التحرير نفسها (نفسها ، على ما يبدو) وتطلق في افتتاحية العدد ٥٣ نفسه اشاعات حول البيروقراطية ،

www.kassioun.org

والتقيد المفرط بالشكليات ، الخ . . * ممنوع عليك اثارة مسألة النضال من اجل التعيين الداخلي في الجريدة المركزية لأن هذا يعني المماحكات ، ولكننا نحن نثير مسألة التعيين الداخلي في اللجنة المركزية ، ولا نسمي هذا مماحكة ، بل خلافاً مبدئياً حول «التقيد المفرط بالشكليات» . — آه ، كلا ، قلت في نفسي ، اسمحوا لنا ، ايها الرفاق الاعزاء ، ان لا نسمح لكم بذلك . أنتم تريدون اطلاق النار على حصني ، وتطلبون مني ان اسلمكم المدفعية . فيا للمزاحين ! وها انا ذا اكتب واطبع ، خارج «الايسكرا» ، «رسالة الى هيئة التحرير» («لماذا انسحبت من هيئة تحرير «الايسكرا» ؟») ، واقص بايجاز كيف جرت الامور ، واستعلم ايضا وايضا عما اذا كان يمكن عقد الصلح على اساس التوزيع التالي : الجريدة المركزية لكم ، اللجنة المركزية لنا . ولن يشعر اي من الطرفين انه «غريب» في حزبه ، وسنبحث الانعطاف نحو الانتهازية ، سنبحث اولا في الصحافة ، وبعد ذاك ، ربما ، في مؤتمر الحزب الثالث ايضا .

جواباً على التذكير بالصلح ، فتحت جميع بطاريات العدو النار ، بما فيها المجلس . وراحت القذائف تنهمر انهمارا . اوتوقراطي ، شفيزر ، بيروقراطي ، نصير الشكليات ، المركز الاعلى ، لا يرى الا جانبا واحدا ، فظ ، عنيد ، ضيق ، كثير الشكوك والظنون ، صعب العشرة . . . جيداً جداً ، يا اصدقائي ! هل انتهيتم ؟ ألم يبقَ لديكم اي احتياطي ؟ انهـــا رديئة جدا ، قذائفكم . . .

والكلام لي الآن . لنر الى **فحوى** الآراء الجديدة التي تنادي بها «الايسكرا» الجديدة في حقل التنظيم ، والى علاقـــة هذه المفاهيم مع انقسام حزبنا الى «اغلبية» و«اقلية» ، هذا الانقسام الذي بيّنا طابعه الحقيقي عند تحليل المناقشات والتصويتات في المؤتمر الثاني .

---

* تبين فيما بعد ان «التنافر» يعود سببه بكل بساطة الى تنافر بين اعضاء هيئة تحرير الجريدة المركزية . وقد كتب بليخانوف بصدد «المماحكات» (راجع اعترافه في «سوء التفاهم المؤسف» ، العدد ٥٧) ، بينا كتب مارتوف مقالة هيئة التحرير «مؤتمرنا» («حالة الحصار» ، ص ٨٤) . كل يغني على ليلاه .

www.kassioun.org

ف ــ «الايسكرا» الجديدة . الانتهازية في قضايا التنظيم

لكي نحلل موقف «الايسكرا» الجديدة المبدئي ، ينبغي لنا ، بلا ريب ، ان نتخذ مقالي الرفيق اكسلرود اساساً * . وقد اوضحنا آنفاً ، بالتفصيل ، المعنى الملموس لجملة من تعابيره المفضلة .ولنحاول ان نضعه الآن جانباً ، وان نفهم سير الفكرة الذي ارغم «الاقلية» (لهذا الدافع التافه والحقير او ذاك) على تبني هذه الشعارات لا تلك ، ونبحث الاهمية المبدئية لهذه الشعارات بصرف النظر عن مصدرها ، بصرف النظر عن «التعيين الداخلي» . اننا نعيش الآن تحت شعار التنازلات : فلنتنازل اذن للرفيق اكسلرود و«نحمل» «نظريته» «على محمل الجدّ» .

موضوعة الرفيق اكسلرود الاساسية (العدد ٥٧ من «الايسكرا») هي التالية : «كانت حركتنا تنطوي ، منذ البدء ، على نزعتين متضادتين ، كان لا بدّ لتناحرهما المتبادل ان يتطور وينعكس على حركتنا ، بقدر ما تتطور هذه الحركة بالذات» . وهذا يعني : «ان هدف الحركة (في روسيا) البروليتاري هو ، من حيث المبدأ ، نفس هدف الاشتراكية-الديموقراطية في الغرب» . ولكن التأثير في جماهير العمال يصدر عندنا «عن عنصر اجتماعي غريب عنها» – المثقفين الراديكاليين . وهكذا اذن ، يلاحظ الرفيق اكسلرود تناحراً في حزبنا ، بين نزعات البروليتاريا وبين نزعات المثقفين الراديكاليين .

ويقيناً ان الرفيق اكسلرود على حق في هذا . ان يكون هذا التناحر موجوداً (وليس فقط في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا) ، ألا ان هذا الأمر لا يدعو ابداً الى الشك . بل اكثر من ذلك . ان احداً لا يجهل ان هذا التناحر

---

* ورد هذان المقالان في مجموعة «الايسكرا» في سنتين» ، القسم الثاني . ص ١٢٢ وما يليها (سانت بطرسبورغ ، ١٩٠٦) . ملاحظة المؤلف لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

www.kassioun.org

هو الذي يفسر ، الى حـــد كبير ، انقسام الاشتراكيـــة-الديموقراطية المعاصرة الى اشتراكية-ديموقراطيـــة ثوريـــة (ارثوذكسية) وانتهازية (تحريفية ، مستوزرة (٣٨) ، اصلاحية) ، وهو انقسام تجلى كلياً في روسيا ايضاً خلال هذه السنوات العشر من حركتنا . وجميـــع الناس يعلمون ايضاً ان الاشتراكية-الديموقراطية الارثوذكسية تعبر عن الميول البروليتارية بالذات في الحركة ، بينما الاشتراكية-الديموقراطية الانتهازية تعبر عن الميول المثقفة الديموقراطية .

ولكن ، ما ان وصل الرفيق اكسلرود الى هذا الواقع الذي يعرفه الجميع ، حتى خاف وتقهقر . فهو لا يقوم **باية محاولة** لتحليل المسألة التالية : كيف برز هذا الانقسام **في** تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية الروسية بوجه عام ، وفي مؤتمر حزبنا بوجه خاص – مع ان الرفيق اكسلرود يكتب بالضبط عـــن المؤتمر ! ان الرفيق اكسلرود ، مثله مثل كل هيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة ، **يخاف خوفاً مميتاً** مـــن محاضر هذا المؤتمر . فلا ينبغي ان يدهشنا هذا ، بعد كل ما عرضناه آنفاً ، ولكنها تلك ، من جانب «نظري» يدّعي انه يدرس مختلف النزعات في حركتنا ، ظاهرة لا سابق لها من **الخوف من الحقيقة** . فبعد ان استبعد الرفيق اكسلرود ، بموجب هذه الميزة التي اختص بها ، احدث الوثائق والمواد واصحها حول النزعات في حركتنا ، يفتش عـــن الخلاص **في** ميدان الاحلام اللذيذة . فهو يقول : «ألم تعط الماركسية المشروعة او شبه الماركسية ليبيراليينا زعيماً ادبياً ؟ فلم لا يعطي هذا الصبي الشيطان ، الذي هو التاريخ ، الديموقراطية البرجوازية الثورية زعيماً يتخرج من مدرسة الماركسية الثورية الارثوذكسية ؟» فعن هذا الحلم ، اللذيذ بالنسبة للرفيق اكسلرود ، لا يسعنا ان نقول سوى شيء واحد ، هو انه ، اذا حدث للتاريخ ان قام بشيطنات ، فان هذا لايبرر **شيطنات فكر** رجل يقدم على تحليل هذا التاريخ . فحين كان زعيم شبه الماركسية يتكشف عن ليبيرالي ، كان الناس الذين يريدون **(ويعرفون)** تتبع «نزعاته» يستشهدون لا بشيطنات التاريخ المحتملة ، بل

www.kassioun.org

بعشرات ومئات من سمات نفسيـــة هذا الزعيـــم ومنطقه ، بخصائص كل سيمائه الادبيـــة التي كانت تنم عن عكس الماركسية في الادب البرجوازي (٣٩) . واذا كان الرفيـــق اكسلرود ، الذى يدّعي تحليل «النزعات البروليتارية والثورية العامة في حركتنا» ، لم يجد **شيئاً** ، لم يجد **شيئاً على الاطلاق** ، لكي يبين ويثبت بالبرهان وجود نزعات معينة عند هؤلاء او اولئك من ممثلـــي هذا الجناح الحزبي الارثوذكسي الذي يكرهه ، – فانه لم يفعل غير ان منح نفسه ، **على رؤوس الاشهاد ، شهادة فقر حال** . ينبغي الظن ان امور الرفيـــق اكسلرود تسير على اسوأ ما يرام ، اذا كان لا يبقى له غير ان يستشهد بشيطنات التاريخ المحتملة !

وهناك استشهاد آخر للرفيق اكسلرود – «باليعقوبيين» هذه المرة – اوسع دلالة . فان الرفيق اكسلرود لا يجهل ، على ما يبدو ، ان انقسام الاشتراكية-الديموقراطية الحالية الى جناح ثوري وجناح انتهازي قد استثار منذ زمن بعيد ، وليس في روسيا وحدها ، «مقارنات تاريخيـــة مستقاة من عهد الثورة الفرنسية الكبرى» . ولا يجهل الرفيق اكسلرود ، على ما يبدو ، ان **جيروندي الاشتراكية-الديموقراطية الحالية** يلجأون دائماً وفي كل مكان الى تعابير «اليعقوبية» و«البلانكية» وما شابه ، لكي يصفوا اخصامهم . فلا نقلّدَنّ الرفيق اكسلرود في خوفه من القيقة ، ولنر الى محاضر مؤتمرنا : فلعلنا نجد فيهـــا مـــا يلزمنا لتحليـــل النزعات التي ندرس والمقارنات التي نبحث وللتحقق من هذه النزعات وهذه المقارنات .

المثال الاول . المناقشة حول البرنامج في مؤتمر الحزب . الرفيق اكيموف («على تمام الاتفاق» مع الرفيـــق مارتينوف) يعلن : «ان الفقرة المتعلقة بالاستيلاء على السلطة السياسية (ديكتاتورية البروليتاريا) قد صيغت ، بالقياس الى جميـــع البرامج الاشتراكية-الديموقراطية الاخرى ، على نحو يمكن معه تفسيرها – وقد فسرها بليخانوف فعلاً – بمعنى ان دور المنظمة القائدة لا بدّ ان يصد الى الوراء الطبقة التي تقودها هذه المنظمة ويعزل هذه المنظمة عن الطبقة . وهذا هو السبب في ان مهماتنا

www.kassioun.org

السياسية قد صيغت تماماً كما صيغت مهمات «نارودنايا فوليا» السياسية» (ص ١٢٤ من المحاضر) . ويرد الرفيق بليخانوف وغيره من الايسكريين على الرفيق اكيموف ويتهمونه بالانتهازية . أفلا يجد الرفيق اكسلرود ان هذه المناقشة تبين لنا (في الوقائع لا في شيطنات التاريخ الوهمية) التناحر القائم بين **اليعقوبيين الحاليين والجيروندين** الحاليين في الاشتراكية-الديموقراطية ؟ واذا كان الرفيق اكسلرود قد تحدث عن اليعقوبيين ، أفلم يفعل ذلك لأنه وجد نفسه (بسبب من اخطائه) في صحبة **جيروندي** الاشتراكية-الديموقراطية ؟

المثال الثاني . الرفيق بوسادوفسكي يثير مسألة وجود «خلاف جدي» حول «القضية الاساسية» المتعلقة بـ«القيمة المطلقة للمبادئ الديموقراطية» (ص ١٦٩) . ومع بليخانوف ، ينكر قيمتها المطلقة . يحتج على ذلك زعيما «الوسط» او المستنقع (ايغوروف) واخصام الايسكريين (غولدبلات) بحزم ، ويريان عند بليخانوف «تقليداً للتكتيك البرجوازي» (ص ١٧٠) . **وتلك هي بالضبط فكرة الرفيق اكسلرود حول الصلة بين الارثوذكسية والنزعة البرجوازية** ، مع فارق وحيد ، هو ان هذه الفكرة تظل عند اكسلرود معلقة في الفضاء ، بينما ترتبط عند غولدبلات بنقاش معين . ومرة اخرى نسأل: ألا يجد الرفيق اكسلرود ان هذه المناظرة ايضاً تبين لنا **بوضوح كلي** في مؤتمر حزبنا التناحر بين يعقوبيي وجيروندي الاشتراكية-الديموقراطية الحالية ؟ واذا كان الرفيق اكسلرود يزعق ويصيح ضد اليعقوبيين ، أفلم يفعل ذلك لأنه وجد نفسه في صحبة الجيروندين ؟

المثال الثالث . المناقشة حول الفقرة الاولى من النظام الداخلي . من ذا الذي يدافع عن «**النزعات البروليتارية في حركتنا**» ، من ذا الذي يشير الى ان العامل لا يخشى التنظيم ، وان البروليتاري لا يعطف على الفوضوية وانه يقدر هذا الحافز «انتظموا !» ؛ من ذا الذي يحذّر من المثقفين البرجوازيين ، المشبعين بالانتهازية كلياً ؟ **يعقوبيو الاشتراكية-الديموقراطية** . ومن ذا الذي يمرر في الحزب المثقفين الراديكاليين ، ويعنى

www.kassioun.org

بالاساتذة ، والطـــلاب ، والافراد المنعزلين ، والشبـــاب الراديكالي ؟ **الجيروندي اكسلرود مع الجيروندي ليبر** .

وباية خراقة يدافع الرفيق اكسلرود عن نفسه ليدفع «الاتهام الباطل بالانتهازية» الذي نُشر بصورة سافرة في مؤتمر حزبنا ضد اغلبية فرقة «تحرير العمل» ! انه يدافع عن نفسه بطريقة يؤكد معها صحة الاتهام ، وذلك بترديده المعزوفة البرنشتينية المطروقة حول اليعقوبية ، والبلانكية ، الخ . ! وهو ينادي بالخطـــر من جانب المثقفين الراديكاليين لكي يغطي الخطابات التي القاها هو في مؤتمر حزبنا والتي كانت تنم عن العطف على هؤلاء المثقفين بالذات .

ان «الكلمات الرهيبة» عن اليعقوبية الخ . ، لا تعبر عن شيء على الاطلاق اللهم عن **الانتهازية** . فاليعقوبي المرتبط ارتباطاً وثيقاً لا تنفصم عراه **بمنظمة** البروليتاريا التي **اصبحت تدرك** مصالحهـــا الطبقيـــة ، انما هو بالضبط **الاشتراكي-الديموقراطي الثورى** . اما الجيروندي الذي يتحسر على الاساتذة والطلاب ، ويخشى ديكتاتورية البروليتاريا ، ويحلم بالقيمة المطلقة للمطالب الديموقراطية ، فهو بالضبط **الانتهازي** . ان الانتهازيين وحدهم يستطيعون الآن ، في عهدنا ، ان يروا خطراً في المنظمات التآمرية ، في حين دحضت الكتابات آلاف المرات فكرة حصر النضال السياسي في حدود التآمر ، في حين دحضت الحياة هذه الفكرة وقضت عليها منذ زمن بعيد ، في حين ان التحريض السياسي الجماهيري قد أوضحت اهميته الرئيسية الى حد التخمة والتنفير . ان الدافع الحقيقي لهذا الخوف من التآمر ، من البلانكية لا يتقوم في هذه السمة او تلك من السمات التي ظهرت في الحركة العملية (كما يحاول برنشتين وشركاه منذ زمن طويل ايهام الناس بها ، ولكن عبثاً) ، انما يتقوم في الخجل الجيروندي الملازم للمثقف البرجوازي ، الذي غالباً ما تبرز نفسيته عند الاشتراكيين-الديموقراطيين الحاليين . وليس ثمة ما هو ادعى للضحك والسخر من الجهود الباطلة التى تبذلها «الايسكرا» الجديدة لكي تقول **كلمة جديدة** (كُـرِّرت مائة مرة في حينها) ، بتحذيرها من تكتيـــك الثوريين-المتآمرين

www.kassioun.org

الفرنسيين في سنوات العقدين الخامس والسابع (افتتاحية العدد ٦٢) (٤٠) . واغلب الظن ان جيروندي الاشتراكيـــة-الديموقراطية الحالية سيذكرون لنا ، في عدد مقبل مـــن «الايسكرا» ، فريقاً من المتآمرين الفرنسيين من سنوات العقد الخامس ، ادرك واستوعب اهميـــة التحريض السياسي بين جماهير العمال ، واهمية الصحف العمالية من حيث هي وسيلة اساسية بيد الحزب للتأثير في الطبقة ، ادراكه للالفباء التي تعلمها واستوعبها منذ زمن بعيد .

بيد ان سعي «الايسكرا» الجديدة الى استعادة حقائق اولية مكررة ومطروقة واجترار الالفباء ، تحت ستار من التعابير الجديدة ، ليس ابداً من فعل الصدفة ؛ انما هو النتيجة الحتمية لوضع اكسلرود ومارتوف اللذين هبطا الى الجناح الانتهازي في حزبنا . هكذا يتطلب الحال . فلا بدّ لهما ان يرددا التعابير الانتهازية ؛ لا بدّ لهما ان **يتقهقرا** سعياً منهما لكي يكتشفا **في ماض بعيد** تبريراً ما لموقفهما الذي لا يمكن الدفاع عنه من وجهة نظر الصراع في المؤتمر وتلاوين الحزب وانقساماته التي نشأت في المؤتمر . والى افكار اكيموف العميقة بصدد اليعقوبية والبلانكية ، يضيف الرفيق اكسلرود النواح الاكيموفي بصدد ان ليس «الاقتصاديون» وحدهم ، بل «السياسيون» ايضـــاً «وحيدي الطرف» ، وذوي «ولـــــع» مفرط ، الخ . وهكذا دواليـك . وحين نقرأ المحاكمات المفخمـة حول هذا الموضوع في «الايسكرا» الجديدة ، التي تتباهى بانها فوق هذا الولع ووحدة الطرف هذه بكل مظاهرهما ، نتساءل بدهشة : من تراهـــم يرسمون لوحته ؟ اين يسمعون هذه الاقاويل ؟ (٤١) ولكن ، ترى من يجهل ان انقسام الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس الى اقتصاديين وسياسيين قد ولى عهده منذ زمان بعيد ؟ راجعوا «الايسكرا» في السنة الاخيرة او السنتين الاخيرتين قبل انعقاد مؤتمر الحزب ، تروا ان النضال ضد «الاقتصادية» قد هدأ وكف نهائياً منذ ١٩٠٢ ؛ تروا ان «الايسكرا» تقول ، مثلاً في شهر تموز (يوليو) ١٩٠٣ (العدد ٤٣) عن «عهد «الاقتصادية»» انه عهد «ولى الى الابد» ، وانها تعتبر «الاقتصادية» «مدفونة

www.kassioun.org

الى الابد» ، وولع السياسيين ضرباً بيناً من عودة العلائم الوراثية الى الظهور . فبأي دافع تعود الهيئة الجديدة لتحرير «الايسكرا» الى هذا الانقسام المدفون الى الابد ؟ أترانا تصارعنا في المؤتمر مع اضراب اكيموف للاخطاء التي ارتكبوها منذ سنتين في «رابوتشييه ديلو» ؟ فلو اننا فعلنا ذلك ، لكنا حمقى ما بعدهم حمقى . ولكن كل امرئ يعرف اننا لم نفعل ذلك ؛ واننا حاربنا اضراب اكيموف في المؤتمر ، لا لاخطائهم السابقة التي ارتكبوها في «رابوتشييية ديلو» والتي دفنت الى الابد ، بل **للاخطاء الجديدة** التي ارتكبوها في محاكماتهم وتصويتاتهم في المؤتمر . فليس بناء على موقفهم في «رابوتشييه ديلو» ، بل بناء على موقفهم في المؤتمر ، حكمنا على الاخطاء التي ولت فعلاً وعلى الاخطاء التي لا تزال قائمة وتتطلب نقاشاً . وعند انعقاد المؤتمر ، كان الانقسام القديم الى اقتصاديين وسياسيين قد زال ، ولكنه كانت لا تزال ثمة ميول انتهازية متنوعة برزت اثناء المناقشات والتصويتات بصدد عدد من المسائل ، واسفرت في آخر الامر عن انقسام جديد في الحزب الى «اغلبية» و«اقلية» . والحقيقة كلها ان الهيئة الجديدة لتحرير «الايسكرا» تسعى جهدها ، لاسباب يسهل فهمها ، الى طمس الصلة القائمة بين هذا الانقسام الجديد والانتهازية **الحالية** في حزبنا . وهذا ما يجبرها على التقهقر ، على العودة من الانقسام الجديد الى الانقسام القديم . ان العجز عن تفسير المصدر السياسي للانقسام الجديد (او الرغبة ، بدافع من روح التنازل ، في القاء الستار * على هذا المصدر) ، يجبر على

---

* راجع مقال بليخانوف حول «الاقتصادية» («الايسكرا» ، العدد ٥٣) . ففي العنوان الثانوي لهذا المقال ، وقع ، على ما يبدو ، خطأ طباعي صغير . فبدلا من «افكار بصوت عال حول المؤتمر الثاني للحزب» ، تجب القراءة ، على ما يبدو : «حول مؤتمر **العصبة**» ، او ، اذا شئتم «حول **التعيين الداخلي**» . وبقدر ما يكون مناسباً في بعض الاحوال التنازل بصدد هذه او تلك من الادعاءات الشخصية ، بقدر ما لا يجوز (من وجهة نظر الحزب ، لا من وجهة النظر البرجوازية الصغيرة) خلط المسائل التي تهم الحزب ، واحلال مسألة الخطأ القديم (الذي لم يعد

www.kassioun.org

اجترار كل ما قيل عن الانقسام القديم الذي زال منذ وقت بعيد . وكل يعلم ان الانقسام الجديد يقوم على خلاف في حقل **التنظيم** ، على خلاف بدأ بمناظرة حول اصول التنظيم (الفقرة الاولى من النظام الداخلي) وانتهى «بتطبيق» جدير بالفوضويين . بينا الانقسام القديم الى اقتصاديين وسياسيين نشأ عن خلاف يدور بصورة رئيسية حول **مسائل التكتيك** .

وهذا التخلي عن المسائل الاكثر تعقيداً ، عن مسائل الساعة والمسائل الملحة حقاً في حياة الحزب ، من اجل المسائل التي حُلت منذ زمن بعيد وبعثت بصورة مصطنعة ، انمـــا تحاول «الايسكرا» الجديدة تبريره بعمق مضحك في التفكير ، لا يمكن نعته الا بانه ضرب من الذنبية . وبمبادرة الرفيق اكسلرود الموفقة ، تسم هذه «الفكرة» العميقة ، كخط احمر ، كل كتابات «الايسكرا» الجديدة وهي ان المحتوى أهم من الشكل ؛ وان البرنامج والتكتيك أهم من التنظيم ؛ وان «حيوية المنظمة بنسبة طردية مع حجم وقيمة المحتوى الذي تحمله الى الحركة» ؛ وان المركزية ليست «شيئاً يكفي ذاته بذاته» ، وانها ليست «حرزاً شاملا» ، الخ . ، الخ . . فيا لها من حقائق كبيرة وعميقة ! وبالفعل ، ان البرنامـــج أهم من التكتيك ، والتكتيك أهـــم من التنظيم . والالفباء أهم من علم اشتقاق الكلمات ، وهذا العلم أهم من علم الاعراب والنحو . ولكن ما عسانا ان نقول عن اناس سقطوا في فحص الاعراب والنحو ، ويتبجحون ويتكبرون اليوم ويتباهون بانه يتعين عليهم ان يعيدوا الصف نفسه ؟ وبصدد مبادئ التنظيم ، حاكم الرفيق اكسلرود كما يحاكم الانتهازي (الفقرة الاولى) ؛ وفي المنظمة ، سلك كما يسلك الفوضوي (مؤتمر العصبـــة) وها هو الآن يعمّق الاشتراكية-الديموقراطية : فالعناقيد لا تزال حصرماً ! وبالاجمال ،ما هي

يذكره احد ، سوى «الايسكرا» الجديدة) الذي ارتكبه اضراب مارتينوف واكيموف ، الذين قد يكونون مستعدين اليوم ــ في عدد عديد من نقاط البرنامج والتكتيك ــ للانعطاف من الانتهازية الى الارثوذكسية ، محـــل مسألة الخطأ الجديد الذي ارتكبه مارتوف واكسلرود اللذان شرعا ينعطفان من الارثوذكسية الى الانتهازية .

www.kassioun.org

المنظمة ؟ انها مجرّد شكل . ما هي المركزية ؟ انها ليست حرزاً . ما هو علم الاعراب والنحو ؟ انه بكل تأكيد اقل شأناً من علم اشتقاق الكلمات ، انه مجرد وسيلة لجمع عناصر اشتقاق الكلمات . . . وتسأل الهيئة الجديدة لتحرير «الايسكرا» بلهجة النصر : «أفلا يوافق الرفيق الكسندروف معنا اذا قلنا ان المؤتمر ، اذ صاغ برنامجاً للحزب ، انما اسهم في مركزة عمل الحزب اكثر بكثير مما باقراره نظاماً داخلياً ، مهما بلغ من الكمال ؟» (العدد ٥٦ ، ملحق) . ينبغي الأمل ان هذه الحكمة الكلاسيكية ستكتسب شهرة تاريخية لا تقل سعة وثباتا عما هي عليه كلمة الرفيق كريتشيفسكي الشهيرة عن ان الاشتراكية-الديموقراطية تضع دائماً نصب عينيها ، مثل الانسانية ، مهمات قابلة التحقيق . ان عمق افكار «الايسكرا» الجديدة هذا لمن القياس نفسه بالضبط . لماذا كانت كلمة الرفيق كريتشيفسكي موضع هزء وسخرية ؟ لأنه سعى ، بابتذال حاول ان يجلببه بجلباب الفلسفة ، الى تبرير خطأ قسم معين من الاشتراكيين-الديموقراطيين في مسائل التكتيك ، وعجزهم عن طرح القضايا السياسية بصورة صحيحة . كذلك هي الحال تماماً بالنسبة لـ«لايسكرا» الجديدة التي تعلن ان البرنامج أهم من النظام الداخلي ، وان مسائل البرنامج اهم من مسائل التنظيم ، فتحاول ان تبرر ، بهذا الابتذال ، خطأ قسم معين من الاشتراكيين-الديموقراطيين في مسائل التنظيم ، والتذبذب الملازم للمثقفين الذي قاد بعض الرفاق الى التعابير الفوضوية ! أليس هذا بالذنبية ؟ ألا يشبه هذا تلميذاً فاشلاً يتباهى بانه اعاد صفه ؟

ان اقرار البرنامج يسهم في مركزة العمل اكثر مما يسهم اقرار النظام الداخلي . فلكم تفضح هذه الفكرة المطروقة ، التي اريد لها ان تظهر بجلباب الفلسفة ، صاحبها المثقف الراديكالي الذي هو اقرب بكثير الى الانحطاط البرجوازي منه الى الاشتراكية-الديموقراطية ! لأن كلمة المركزة في هذه الجملة الشهيرة مأخوذة هذه المرة بمعنى **رمزي** تماماً . واذا كان اصحاب هذه الجملة لا يعرفون كيف يفكرون او لا يريدون ان

www.kassioun.org

يفكروا ، فانه يترتب عليهم على الاقل ان يتذكروا هذا الواقع البسيط ، وهو ان اقرار البرنامج بالاتفاق مع البونديين لم يؤدّ الى مركزة عملنا المشترك ، ليس هذا وحسب ، بل انه لم يجنبنا الانشقاق ايضاً . ان الوحدة في مسائل البرنامج ومسائل التكتيك هي الشرط الضروري ، ولكن غير الكافي ، لتوحيد الحزب ، لمركزة عمله (يا رب ! اية حقائق اولية ينبغي اعادتها واجترارها في هذا الزمن الذي اختلطت فيه كل المفاهيم !) . ولبلوغ هذه النتيجة الاخيرة ، ينبغي ايضاً وحدة التنظيم ، التي تستحيل في حزب تجاوز نوعاً ما نطاق الحلقة العائلية ، دون نظام داخلي مستوفي الشروط ، دون خضوع الاقلية للاغلبية ، والجزء للكل . وطالما لم تكن لدينا وحدة في مسائل البرنامج والتكتيك الاساسية ، كنا نقول بكل وضوح اننا نعيش في عهد التشتت والروح الحلقي ؛ كنا نعلن بصراحة انه قبل ان نتحد ، ينبغي ان نبين الحدود التي تفصل بيننا ؛ وكنا لا نتحدث عن اشكال منظمة مشتركة ، انما كنا نقصر بحثنا على مسائل جديدة (وكانت فعلا جديدة آنذاك) تتعلق بالنضال ضد الانتهازية في حقل البرنامج والتكتيك . اما الآن ، فان هذا النضال قد أمن باعترافنا جميعاً ، وحدة كافية ، عبّر عنها برنامج الحزب وقرارات الحزب حول التكتيك ؛ اما الآن ، فينبغي لنا ان نخطو الخطوة التالية ، ولقد خطوناها حسب اتفاقنا المشترك : فقد وضعنا **اشكال** منظمة موحدة تجمع كل الحلقات معاً . والواقع ، أننا أ'عدنا اليوم الى الوراء بتحطيم هذه الاشكال نصفيا ، اعدنا الى السلوك الفوضوي ،الى التعابير الفوضوية ، الى اعادة الحلقة بدلا من هيئة تحرير الحزب ، وتُبَرر الآن هذه الخطوة الى الوراء بالقول ان الالفباء أفيد للكلام الصحيح من معرفة علم الاعراب والنحو !

ان فلسفة الذنبية التي ازدهرت منذ ثلاث سنوات في مسائل التكتيك ، تنبعث الآن ، مطبقة في مسائل التنظيم . خذوا هذه المحاكمة لهيئة التحرير الجديدة . يقول الرفيق الكسندروف : «ان الاتجاه الاشتراكي-الديموقراطي الكفاحي ينبغي ان يتأمن في الحزب ، لا عن طريق النضال الفكري

www.kassioun.org

وحسب ، بل ايضاً بواسطة اشكال معينة من التنظيم» . وتطلع علينا هيئة التحرير بعظة قائلة : «ان هذه المقارنة بين النضال الفكري واشكال التنظيم ليست سيئة . ان النضال الفكري عبارة عن تفاعل ، بينما اشكال التنظيم ليست سوى . . . اشكال» (اقسم لكم ان هذا القول مطبوع هكذا في العدد ٥٦ ، ملحق ، ص ٤ ، العمود الاول ، في اسفل !) «معـــدة لالباس محتوى متغير ، متطور ، — هو النشاط العملي المتطور للحزب» . هذه المرة ، هذا من باب النكتة ان تكون القذيفـــة قذيفـــة والقنبلة قنبلة . النضال الفكري عبارة عن حركة ، واشكال التنظيم مجرد اشكال تلبس محتوى ! فالمقصود ان نعرف ما اذا كان نضالنا الفكري سيرتدي اشكالاً **عليا** ، اشكال التنظيم الحزبي الالزامي على الجميع ، او اشكال التشتت القديم والروح الحلقي القديم . لقد أ'عدنا من الاشكال العليا الى اشكال اكثر بدائية ؛ ويقال على سبيل التبرير ان النضال الفكري حركة وان الاشكال ليست سوى اشكال . هكذا على وجه الضبط ، عاد بنا الرفيق كريتشيفسكي ، فيما مضى ، من التكتيك-المشروع الى التكتيك-الحركة .

خذوا هذه الجمل الدعية في «الايسكرا» الجديدة حول «تثقيف البروليتاريا نفسها بنفسها» ، هذه الجمل الموجهة ضد اولئك الذين قد لا يرون المحتوى ، كما يزعمون ، بسبب من الشكل (العدد ٥٨ ، الافتتاحية) . أليست هذه اكيموفية رقم ٢ ؟ ان الاكيموفية رقم ١ كانت تبرر تأخر قسم معين مـــن المثقفين الاشتراكيين-الديموقراطيين عن طرح مسائل التكتيك ، متذرعين بمحتوى «للنضال البروليتاري» اكثر «عمقاً» ، بتثقيف البروليتاريا نفسها بنفسها . وتبرر الاكيموفية رقم ٢ تأخر قسم معين من المثقفين الاشتراكيين-الديموقراطيين فيما يتعلق بمسائل نظرية وتطبيق التنظيم ، بحجة لا تقل عمقاً ، بحجة ان التنظيم ليس سوى شكل وأن كل المسألة تنحصر في تثقيف البروليتاريا نفسها بنفسها . ان البروليتاريا لا تخشى التنظيم ولا النظام ، ايها السادة الذين يعطفون على اخوتهم الصغار ! وليس موضع اهتمام البروليتاريا الاعتراف بالسادة الاساتذة

www.kassioun.org

والطلاب ، الذين لا يرغبون في الانضمام الى احدى المنظمات ، كأعضاء في الحزب لأنهم يعملون تحت رقابة احدى المنظمات . ان البروليتاريا تتربى بكل حياتها للتنظيم بصورة اشد جذرية بكثير من عدد كبير من الاشخاص الذين يتبجحون بثقافتهم . أن البروليتاريا التي ادركت برنامجنا وتكتيكنا نوعاً ما لن تبرر التأخر في التنظيم بحجة ان الشكل اقل اهمية من المحتوى . وليست البروليتاريا هي التي ينقصها **التثقيف الذاتي** من حيث التنظيـــم والنظام ، من حيث الكره للتعابير الفوضويـــة وازدراؤها ، انما الذين ينقصهم ذلك هم **بعض المثقفين** في حزبنا . ان اضراب اكيموف رقـــم ٢ يفترون ايضاً عـــلى البروليتاريا زاعمين انها غير مهيأة للتنظيم ، شأنهم شأن اضراب اكيموف رقم ١ الذين افتروا عليها بزعمهم انها غير مهيأة للنضال السياسي . ان البروليتاري الذي اصبح اشتراكياً-ديموقراطياً واعياً والذي شعر بانه عضو في الحزب ، سينبذ الذنبية في حقل التنظيم بنفس الازدراء الذي نبذها به في مسائل التكتيك .

خذوا اخيراً هذه الفكرة العميقة التي ابداها «براكتيك» («عملي») في «الايسكرا» الجديدة : «ان فكرة منظمة ممركزة «كفاحية» توحد وتمركز **نشاط**» (اشارة التأكيد للتعميـــق) «الثوريين ، مفهومة بمعناها الحقيقي ، لا تتجسد بالطبع الا اذا **تحقق** هذا النشاط» (ما أجدد واذكى هذا القول !) ؛ «ان التنظيم نفسه ، بوصفه شكلاً» (اسمعوا ، اسمعوا !) «لا يمكنه ان ينمو الا **بموازاة**» (اشارة التأكيد هنا ، ككل اشارات التأكيد في هذا الاستشهاد ، هي للمؤلف) «نمو العمل الثوري الذي يشكل محتواه» (العدد ٥٧) . أفلا يذكرك هذا القول ايضاً وايضاً ببطل الحكايات الشعبية الذي صاح لمرأى جنازة : ان شاء الله دائمه ؟ يقيناً اننا لا نجد في حزبنا عملياً واحداً (دون هلالين مزدوجين) لا يدرك ان شكل نشاطنا (اي التنظيم) هو الذي يتأخر منذ زمن بعيد – ويتأخر بشكل رهيب – عن المحتوى ، وان صرخات : اضبطوا خطواتكم ! لا تسرعوا كثيراً ! الموجهـــة للمتأخرين ، لا يمكنها ان تصدر الا عن البلهاء في الحزب . حاولوا ان تقارنوا ، مثلاً ، حزبنا بالبوند . لا سبيل الى الشك

www.kassioun.org

في ان **محتوى** * عمل حزبنا اوفر غنى ، واكثر تنوعاً ، واشد عمقاً ، واكبر اتساعاً بما لا حد له من محتوى عمل البوند . والمدى النظري ارحب ؛ والبرنامج اكثر تطوراً ؛ والتأثير في جماهير العمال (لا في الحرفيين المنظمين وحدهم) ، اكثر شمولاً وعمقاً ؛ والدعاية والتحريض اكثر تنوعاً ؛ ووتيرة العمل السياسي عند الطليعيين وعند بسطاء المناضلين اشد حيوية ، والحركات **الشعبية** لدن المظاهرات والاضرابات العامة اوفر جلالاً ؛ والنشاط بين العناصر غير البروليتارية اكثر حزماً . و«الشكل» ؟ ان «شكل» عملنا يتأخر ، بالنسبة لشكل عمل البوند ، تأخراً لا يمكن القبول به ؛ فهو يتأخر الى حد انه يفقأ العين ، ويشيع حمرة الخجل في جبين كل امرئ لا يعالج شؤون حزبه «بادخال اصبعه في انفه» . ان التأخر في تنظيم العمل بالنسبة لمحتواه هو نقطتنا الضعيفة ، وقد كان الامر كذلك قبل المؤتمر بزمن طويل ، قبل تشكيل اللجنة التنظيمية بزمن طويل . ان حالة الشكل البدائية وقلة متانته لا يتيحان تحقيق اي تقدم جدّي لاحق من حيث تطوير المحتوى ، ويؤديان الى ركود فاضح ، ويقودان الى تبديد القوى ويجعلان الاعمال لا تنطبق على الاقوال . ولطالما عانى الجميع وتألموا من انعدام الانسجام هذا – وها هم اضراب اكسلرود و«براكتيك» من «الايسكرا» الجديدة يلقون علينا المواعظ الفلسفية : لا ينبغي للشكل ان ينمو بصورة طبيعية الا بموازاة المحتوى !

الى هنا يقود خطأ طفيف في حقل التنظيم (الفقرة الاولى) ، اذا اريد **تعميق** شيء اخرق والبحث عن اساس فلسفي لجملة

---

* ناهيك عن كون **محتوى** عمل حزبنا لم يتحدد (في البرنامج ، الخ .) ، في المؤتمر ، بروح الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ، الا في **غمرة الكفاح** ضد اخصام الايسكريين هؤلاء بالذات وضد هذا المستنقع بالذات ، الذى يتفوق ممثلوه ، عددياً ، في «اقليت»نا . وقد يكون من الطريف ايضا ، فيما يخص مسألة «المحتوى» ، ان نقارن ، مثلا ، ستة اعداد من «الايسكرا» القديمة (الاعداد ٤٦–٥١) واثني عشر عددا من «الايسكرا» الجديدة (الاعداد ٥٢–٦٣) . ولكننا سنعود الى هذا يوما ما .

www.kassioun.org

انتهازية . بخطى بطيئة ، واتجاه متعرج حذر (٤٢) – لقد سمعنا هذه النغمة مطبقة في مسائل التكتيك ؛ وها نحن نسمعها اليوم ، مطبقة في مسائل التنظيم . **ان الذنبية في حقل التنظيم** نتاج طبيعي وحتمي لنفسية **الفردي الفوضوي** ، حين يبدأ يجعل من انحرافاته الفوضوية (التي قد تكون عرضية في البداية) **نهجاً من المفاهيم ، وخلافات مبدئية** خاصة . ففي مؤتمر العصبة ، رأينا طلائع هذه الفوضوية ؛ وفي «الايسكرا» الجديدة ، نرى محاولات لجعلها نهجاً من المفاهيم . وهذه المحاولات تثبت بروعة الرأي الذي ورد في مؤتمر الحزب حول الفرق بين وجهة نظر المثقف البرجوازي الذي يؤيد الاشتراكية-الديموقراطية ، وبين وجهة نظر البروليتاري الذي ادرك مصالحه الطبقية . فان «براكتيك» نفسه ، مثلاً ، من «الايسكرا» الجديدة ، الذي سبق ان عرفنا عمق تفكيره ، يتهمني باني اتصور الحزب «فبركة ضخمة» على رأسها مدير هو اللجنة المركزية (العدد ٥٧ ، ملحق) . ان «براكتيك» لا يداخله اي ريب في ان الكلمة الرهيبة التي اطلقها تفضح فوراً نفسية المثقف البرجوازي الذي لا يعرف لا تطبيق ولا نظرية التنظيم البروليتاري . ان هذه الفبركة ، التي تبدو لبعضهم فزاعة ، لا غير هي الشكل الاعلى للتعاون الرأسمالي ، الذي جمع ونَظّم البروليتاريا ؛ وعلّمها التنظيم ، ووضعها في طليعة جميع الفئات الاخرى من السكان الكادحين والمستثَمرين . والماركسية ، ايديولوجية البروليتاريا التي علمتها الرأسمالية ، هي التي علّمت ولا تزال تعلّم المثقفين المتذبذبين الفرق بين جانب الفبركة الاستثماري (النظام القائم على الخوف من الموت جوعاً) وبين جانبها التنظيمي (النظام القائم على العمل المشترك الذي توحده شروط الانتاج المتطور تكنيكياً بصورة عالية) . ان النظام والتنظيم ، اللذين يصعب جداً على المثقف البرجوازي اكتسابهما ، انما يستوعبهما البروليتاري بسهولة كبيرة ، بفضل «مدرسة» الفبركة هذه على وجه الضبط . ان الخوف القاتل من هذه المدرسة ، وعدم فهم أهميتها اطلاقاً من حيث انها عنصر تنظيمي ، يصفان بالضبط

www.kassioun.org

نمط التفكير الذي يعكس شروط الحياة البرجوازية الصغيرة ، ويولد هذا المظهر من الفوضوية الذي يسميه الاشتراكيون-الديموقراطيون الالمان Edelanarchismus اي فوضوية السيّد «النبيل» ، وقد اقول ، الفوضوية المتعالية المتكبرة . ان هذه الفوضوية المتعالية المتكبرة هي من خصائص النيهيليستي الروسي اكثر من غيره : فان منظمة الحزب تتراءى لـــه كـ«فبركة» مخيفة ؛ اما خضوع الجزء للكل والاقلية للاغلبية ، فهو في نظره ضرب من «الاستعباد» (راجع مقالات اكسلرود) ؛ وكذلك تقسيم العمل تحت قيادة مركز واحد ، هو امر يدفعه الى ارسال صرخات مبكية مضحكة احتجاجاً على تحويل الناس الى «دواليب ونوابض» (وهو يرى ان شرّ اشكال هذا التحويل هـو تحويل المحررين الى معاونين) ؛ وما ان تذكر امامه نظام الحزب الداخلي ، حتى ترتسم على وجهه تكشيرة احتقار ، ويتفضل بملاحظة كلها ازدراء واستخفاف (موجهـــة الى «المتمسكين بالشكليات») قائلاً ان من الممكن الاستغناء عن النظام الداخلي كليا .

هذا لا يصدق ، ولكن هذا هو الواقع ، وهذه هـــي الملاحظة المليئة بالعبر ، التي يوجهها اليّ الرفيق مارتوف في العدد ٥٨ من «الايسكرا» مستشهداً باقوالي انا في «رسالة الى رفيق» ، لكي يزيد من قوة اقناع ملاحظته . أليس هذا مـــا يسمى «الفوضوية المتعالية المتكبرة» ؟ أليس من باب الذنبية **تبرير** الحفاظ على الروح الحلقي والفوضوية وتمجيدهما في عهد وجود الحزب ، بامثلة مستقاة من عهـــد التشتت والحلقات ؟

لماذا لم نكن بحاجة فيما مضى الى نظام داخلي ؟ لأن الحزب كان يتألف من حلقات منعزلة ، لم يكن بينها اية صلة تنظيمية . وكان الانتقال من حلقة الى اخرى يتوقف فقط على «ارادة» فرد لم يكن امامه اي تعبير واضح محدد عن ارادة الكل . والقضايا المختلف عليها ، داخل الحلقات ، لم يكن يُبتّ بها وفق نظام داخلي ، «**ولكن بالنضال والتهديد بترك**» الحلقة ، كما كتبـت انا في «رسالة الى رفيق» ، مستنداً الى تجربة جملة مـــن الحلقات ، بوجه عام ، والى تجربة فرقتنا التي تضم ستـــة محررين ، بوجه خاص . وكان هذا الحال طبيعياً وحتمياً في عهد

www.kassioun.org

الحلقات ؛ ولكنه لم يخطر ببال احد ان يطريه ، ان يرى فيه مثلاً اعلى ؛ وكان الجميع يتذمرون من هذا التشتت ؛ كان الجميع على مضض منه ويتعطشون الى اندماج الحلقات المتفرقة في حزب منظم حسب الاصول . والآن ، وقد تم هذا الاندماج ، يسحبوننا الى الوراء ؛ وعلى سبيل مبادئ التنظيم العليا ، يتحفوننا بكلام مفخم فوضوي ! فالناس الذين تعودوا على «روب دي شامبر» الحلقة الواسع ، المريح ، وعلى بوابيج حياتها الرخوة العائلية الاوبلوموفية (٤٣) ، انما يبدو لهم النظام الداخلي الصريح ضيقاً ، مزعجاً ، مرهقاً ، منحطاً ، دواوينياً ، مستعبداً ، خانقاً لحرية «حركة» الصراع الفكري . ان الفوضوية المتعالية المتكبرة لا تدرك ان النظام الداخلي الصريح ضروري على وجه الضبط للاستعاضة عن الصلات الضيقة بين الحلقات بصلة الحزب الواسعة . ان الصلة في داخل الحلقات او فيما بينها ، لم يكن من الضروري ولم يكن من الممكن اعطاؤها صبغة رسمية ، لأنها كانت قائمة على روح الصحابة او على «ثقة» غير خاضعة للمراقبة ولا برهان عليها . اما صلة الحزب ، فلا يمكن ولا يجب ان ترتكز ، لا على هذه الروح ولا على هذه «الثقة» ، بل يجب بناؤها على نظام داخلي **صريح** ، «بيروقراطي» الصياغة (من وجهة نظر المثقف الذي يكره التنظيم) ، نظام لا يقينا غير التقيد الدقيق به من اعتباط الحلقات وتقلب اهوائها ، ومن المشاحنات الحلقية الحقيرة ، المسماة بحرية «حركة» الصراع الفكري .

ان هيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة تدلي ببرهان ضد الكسندروف حين تؤكد برصانة ان «الثقة شيء دقيق لا يمكن غرسه بالقوة في القلوب والرؤوس» (العدد ٥٦ ، ملحق) . فان هيئة التحرير لا تدرك انها ، اذ تضع في المرتبة الاولى مسألة الثقة – الثقة **لا غير** – ، انما تفضح مرة اخرى فوضويتها المتعالية المتكبرة وذنبيتها في حقل التنظيم . عندما كنت فقط عضواً في حلقة ، في هيئة المحررين الستة او منظمة «الايسكرا» ، كان من حقي ، تبريراً ، مثلاً ، لرفضي العمل مع «إكس» ، ان اتذرع فقط بشكي غير الخاضع للمراقبة ولا برهان عليه .

www.kassioun.org

وحين اصبح عضواً في الحزب ، **لا يبقى من حقي** ان اتذرع فقط بشك غامض ، والا عنى ذلك فتح الباب على مصراعيه امام كل تصرفات الحلقات السابقة وكل اهوائها الغريبة ؛ فانا **ملزم** بان ابرر «ثقة»ي او «شك»ي ببرهان صريح ، اي ان استشهد بهذه الفقرة او تلك الواردة صراحة في برنامجنا ، وتكتيكنا ، ونظامنا الداخلي . وواجبي ان لا اقتصر بعد الآن على «اثق» او «لا اثق» الكيفية ، بل ان اعترف **اني مسؤول** عن قراراتي وان اية فئة من الحزب مسؤولة بوجه عام عن جميع قراراتها امام الحزب بمجمله ؛ يجب عليّ ان اسير في السبيل **المنصوص عنه صراحة** للتعبير عن «شك»ي ، لتحقيق الافكار والرغائب التي تنجم عن هذا الشك . ومن هذه «الثقة» غير المراقبة ، الملازمة **للحلقات** ، ارتفعنا الى مفهوم **حزبي** يتطلب التقيد باساليب خاضعة للمراقبة ومفروضة رسميا للتعبير عن الثقة **ولامتحانها** . وها ان هيئة التحرير تسحبنا الى الوراء ، وتسمي ذنبيتها مفاهيم جديدة في حقل التنظيم !

اليكم كيف تحاكم هيئة تحريرنا ، المسماة هيئة تحرير الحزب ، بصدد الجماعات الادبية التي قد تطالب بان تكون ممثلة في هذه الهيئة : «اننا لن نستاء ونغضب ؛ ولن نتحجج بالنظام باصوات عالية» ، – بمثل هذه التبجحات يتحفنا هؤلاء الفوضويون المتعالون المتكبرون الذين يعربون ، دائماً وفي كل مكان ، عن ازدرائهم بالنظام . وهم يقولون : اذا كانت الجماعة جدية ، فاننا «سنتفق» (كذا !) ؛ والا ، ضربنا بمطالبها عرض الحائط .

تصوروا اذن اية روح نبيلة سامية تتجلى هنا ضد ابتذال التمسك بالشكليات ، وارد «الفبركة» ! ولكننا في الواقع نرى ترقيعاً لكلام الحلقات المفخم ، تقدمه للحزب هيئة تحرير تشعر بانها ليست هيئة من هيئات الحزب ، بل حطام من حلقة قديمة . ان بطلان هذا الموقف ، من حيث جوهره ، يقود حتماً الى هذا التفلسف **الفوضوي** الذي يجعل من التشتت **مبدأ** التنظيم الاشتراكي-الديموقراطي ، هذا التشتت الذي يُعلن عنه بالاقوال ، برياء فريسي ، ان زمنه قد ولى . وليس ثمة

www.kassioun.org

حاجة الى اي تسلسل في المراتب ، يشمل هيئات عليا ودنيا في الحزب : فبالنسبة للفوضوية المتعالية المتكبرة ، يبدو هذا التسلسل في المراتب اختراعاً دواوينياً للمصالح والاقسام ، الخ . (راجعوا مقال اكسلرود) ؛ ليس ثمة حاجة الى اي خضوع من جانب الجزء المكل ، لأي تحديد «دواويني وشكلي» للاساليب **الحزبية** من اجل «الاتفاق» او تعيين الحدود الفاصلة ، فلتُكرَّس المشاحنات الحلقية الحقيرة القديمة بتعابير مفخمة عن الطرائق التنظيمية «الاشتراكية-الديموقراطية الحقيقية» .

ففي هذا المجال يمكن للبروليتاري الذي تخرج من مدرسة «الفبركة» ، ويجب عليه ، ان يعطي الفردية الفوضوية درساً . ان العامل الواعي قد خرج منذ وقت بعيد من الاقمطة التي كان يهرب في زمنها من وجه المثقف لأنه مثقف . ان العامل الواعي يعرف كيف يقدر هذه الجعبة الاغنى بالمعارف ، هذا الافق السياسي الارحب ، اللذين يجدهما عند المثقفين الاشتراكيين-الديموقراطيين . ولكن ، بقدر ما يتكون حزب **حقيقي** عندنا ، يصبح من واجب العامل الواعي ان يتعلم التمييز بين نفسية المكافح في الجيش البروليتاري ونفسية المثقف البرجوازي الذي يتبجح بالعبارات الفوضوية ، يصبح من واجبه ان يتعلم **المطالبة** باتمام الواجبات المترتبة على اعضاء الحزب ، وان يطالب بذلك لا الاعضاء البسطاء فحسب ، بل «ناس القمة» ايضاً ؛ يصبح من واجبه ان يتعلم كيف ينهال بوابل احتقاره على الذنبية في مسائل التنظيم ، كما كان يحتقرها فيما مضى في مسائل التكتيك !

ان الجيروندية والفوضوية المتعالية المتكبرة ترتبطان ارتباطاً وثيقاً بسمة اخيرة مميزة لموقف «الايسكرا» الجديدة في مسائل التنظيم ، هي الدفاع عن **الاستقلال الذاتي** ضد المركزية . ذلك هو ، من الوجهة المبدئية ، المعنى الذي تنطوي عليه (فيما اذا كانت تنطوي على معنى ما *) صرخات

---

* اني اترك جانبا هنا ، كما في بقية الفصل ، المعنى «التعييني الداخلي» لصرخات العويل والنواح هذه .

www.kassioun.org

العويل والنواح بصدد البيروقراطيةوالاوتوقراطية ، وتأوهات الاسف على «عدم الاكتراث غير المستحـــق الذي يلقاه غير الايسكريين» (الذين دافعوا عن الاستقلال الذاتي في المؤتمر) ، والصيحات المضحكة بصدد مطلـب «الخضوع المطلـــق» ، والشكاوى المرة من البومبادورية الخ . ، وهكذا دواليـــك وهلم جرا . ففي جميع الاحزاب ، يدافع الجناح الانتهازي عـــن كل تأخر في حقل البرنامج والتكتيك والتنظيم ، ويبرره عـــلى الدوام . ودفاع «الايسكرا» الجديدة عن التأخر في حقل التنظيم (الذنبية) وثيق الارتباط بالدفاع **عن الاستقلال الذاتي** . وفي الحقيقة ، هبطت منزلة الاستقلال الذاتي بعد السنوات الثلاث من الدعاية التي قامت بها «الايسكرا» القديمـــة ، الى حد ان «الايسكرا» الجديدة **لا تزال** تخجل من تأييده علناً ؛ وهي لا تزال تؤكد لنا عطفها على المركزية ، غير انها لا تثبته الا بكتابـــــة كلمة «مركزية» باحرف سوداء . والواقـع ، ان اخـــف انتقاد «لمبادئ» المركزية المزعومة «الاشتراكيـــة-الديموقراطيـــة الحقيقية» (لا الفوضوية ؟) التي تنادي بها «الايسكرا» الجديدة ، يكشف فيها ، في كل خطوة ، وجهة نظر الاستقـــلال الذاتي . أليس واضحاً الآن للجميع ولكل فرد ان اكسلرود ومارتوف انعطفا ، في حقل التنظيم ، باتجاه اكيموف ؟ ألم يعترفا بـــه علناً باقوالهما ذات الدلالة عن «عدم الاكتراث غير المستحَق الذي يلقاه غير الايسكريين» ؟ أليس ما دافع عنه اكيموف واصدقاؤه في مؤتمر حزبنا هو الاستقلال الذاتي ؟

ان الاستقلال الذاتي (ان لم يكن الفوضوية) هو مـــا دافع عنه مارتوف واكسلرود في مؤتمر العصبة ، عندما حاولا ان يثبتا بحمية مضحكة ، انه لا ينبغي للجزء ان يخضع للكل ، وان الجزء مستقل ذاتياً في تحديد علاقاته مع الكل ، وان النظام الداخلي للعصبة في الخارج ، الذي ينص على هذه العلاقات ، ساري المفعول رغم ارادة اغلبية الحزب ، رغم ارادة مركـــز الحزب . والاستقلال الذاتي هو ما يدافع عنه الرفيق مارتوف اليوم بصورة مكشوفة وعلى صفحات «الايسكرا» الجديدة (العدد ٦٠) بصدد ادخال اعضاء في اللجان المحلية من جانب اللجنـــة

www.kassioun.org

المركزية (٤٤) . اني لن اتناول ابداً السفسطات الصبيانية التى دافع بها الرفيق مارتوف عن الاستقلال الذاتي في مؤتمر العصبة ويدافع بها عنه اليوم في «الايسكرا» الجديدة * . ولكن من المهم ان الاحظ هنا ان هذا الميل الذي لا جدال فيه الى **الدفاع عن الاستقلال الذاتي ضد المركزية** هو سمة مبدئية ملازمة للانتهازية في مسائل التنظيم .

قد تكون المحاولة الوحيدة **لتحليل** مفهوم الدواوينية انما هي معارضة «المبدأ **الديموقراطي** الصريح» (اشارة التأكيد لكاتب المقال) «بالمبدأ **الدواويني** الصريح» التي وردت في «الايسكرا» الجديدة (العدد ٥٣) . ان هذه المعارضة (غير المطورة وغير المشروحة ، مع الاسف ، بنفس القدر الذي لم يُطور ولم يُشرح به التلميح الى غير الايسكريين) تتضمن بذرة من الحقيقة . فالدواوينية versus** الديموقراطية ، انما هي حقاً المركزية versus الاستقلال الذاتي ؛ وهذا هو مبدأ الاشتراكية-الديموقراطية الثورية التنظيمي بالنسبة لمبدأ انتهازي الاشتراكية-الديموقراطية التنظيمي . وهذا المبدأ الاخير يحاول ان يرتفع من القاعدة الى القمة ، ولهذا فهو يدافع حيثما يمكن وبقدر ما يمكن ، عن الاستقلال الذاتي ، عن «الديموقراطية» التي تبلغ (عند اولئك الذين يفرطون في الحمية) حد الفوضوية . بينا يحاول المبدأ الاول النزول من القمة الى القاعدة مؤيداً توسيع حقوق المركز وصلاحياته بالنسبة للجزء . وهذه القمة التي شاءت الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ان تجعل منها نقطة انطلاقها في ميدان التنظيم ، كانت بالضرورة ، في عهد التشتت والحلقات ، حلقة من اكثر الحلقات تأثيراً

---

* عند تحليل مختلف فقرات النظام الداخلي ، **اغفل** الرفيق مارتوف ، على وجه الدقة ، تلك الفقرة التي تتحدث عن علاقة الكل بالجزء : اللجنة المركزية «توزع قوى الحزب» (الفقرة ٦) . فهل يمكن توزيع القوى دون نقل المناضلين من لجنة الى اخرى ؟ حقا انه من المزعج التوقف عند هذه الحقيقة الاولية .

** ـ بالنسبة لـ . .

www.kassioun.org

بنشاطها وثباتها الثوري (ونعني بها هنا منظمة «الايسكرا») . اما في عهد اعادة وحدة الحزب الحقيقية وحل الحلقات التي ولى زمانها في هذه الوحدة ، فان هذه القمة انما هي بالضرورة **مؤتمر الحزب** ، الهيئة العليا للحزب . فالمؤتمر يضم قدر الامكان جميع ممثلي المنظمات النشيطة ، وهو ، اذ يعين المؤسسات المركزية (ويعينها في غالب الاحيان بصورة يرضي بها بالاحرى العناصر المتقدمة لا العناصر المتأخرة ، ويلبي بها بالاحرى ذوق الجناح الثوري لا ذوق الجناح الانتهازي) ، انما يجعل منها القمة حتى انعقاد المؤتمر التالي . هكذا هي الحال على الاقل عند اوروبيي الاشتراكية-الديموقراطية رغم ان هذه العادة التي يمقتها الفوضويون من حيث المبدأ اخذت تمتد شيئاً فشيئاً ، لا دون جهد ، لا دون صراع ولا دون مشاحنات ، وتشمل آسيويي الاشتراكية-الديموقراطية ايضاً .

ومن الطريف حقاً ان نشير الى ان السمات المبدئية التي تسم الانتهازية في مسائل التنظيم والتي اشرت اليها (الاستقلال الذاتي ، الفوضوية المتعالية المتكبرة او فوضوية المثقف ، الذنبية والجيروندية) تلتقي mutatis mutandis (مع التعديلات المناسبة) في جميع الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية في العالم كله حيث يوجد الانقسام الى جناح ثوري وجناح انتهازي (واين لا يوجد هذا الانقسام ؟) . وهذا ما ظهر ، في الآونة الآخيرة بالضبط ، بشكل خاص في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني ، حين وضع الفشل في الدائرة الانتخابية العشرين بساكس (ما يسمى حادث هوره *) **مبادئ** الحزب التنظيمية على بساط البحث . اما ما ساعد بالدرجة الاولى على طرح المسألة المبدئية بصدد هذا

---

* في ١٦ حزيران – يونيو – ١٩٠٣ ، انتخب هوره في الدائرة الخامسة عشرة بساكس عضواً في الرايخستاغ ؛ ولكنه استقال بعد مؤتمر درسدن (٤٥) وشاء ناخبو الدائرة العشرين ، التي شغرت بوفاة روزينوف ، ان يعرضوا ترشيح هوره من جديد . فعارضتهم ادارة الحزب المركزية ولجنة التحريض المركزية في ساكس ، وبما انه لم يكن من حقهما ان تمنعا رسمياً ترشيح هوره ، فقد حصلتا مع ذلك على تنازله . وفي الانتخابات ، مني الاشتراكيون-الديموقراطيون بالفشل .

www.kassioun.org

الحادث ، فهو حميـــة الانتهازيين الالمان . وهوره (القس السابق ، وصاحب الكتاب المعروف «دراي موناته فابريك اربايتر» * «Drei Monate Fabrikarbeiter» ، واحـــد «ابطال» مؤتمر درسدن) هو ايضاً انتهازي متحمس ، ولذلك فان جريدة الانتهازيين الالمان المنسجمين ، «Sozialistische Monatshefte» («المجلة الاشتراكية الشهرية») (٤٦) سرعان ما «اخذت جانب الدفاع» عنه .

ان الانتهازية في البرنامج مرتبطة ، طبعاً ، بالانتهازية في التكتيك وبالانتهازية في مسائل التنظيم . وقد أخذ الرفيـــق فولفغانغ هاينه على عاتقه ان يعرض وجهة النظر «الجديدة» . ولكي اعطي القارئ فكرة عن سيماء هذا المثقف النموذجي الذي حمل ذهنيته الانتهازية الى الاشتراكية-الديموقراطية بانضمامه اليها ، يكفي ان اقول ان الرفيق فولفغانغ هاينه اقل من رفيق اكيموف الماني بقليل واكثر من رفيق ايغوروف الماني بقليل .

وقد اعلن الرفيق فولفغانغ هاينه الحرب في «المجلة الاشتراكية الشهرية» بابهة لا تقل عن الابهة التي اعلن بها الرفيق اكسلرود الحرب في «الايسكرا» الجديدة . فاي عنوان واسع الدلالة هو عنوان مقاله : «ملاحظات ديموقراطية بصدد حادث هوره» (العدد ٤ ، نيسان – ابريـــل ، «Sozialistische Monatshefte») . والمحتوى ايضاً لا يقل دوياً . فالرفيق ف . هاينه يهب ضد «المساس باستقلال الدائرة الانتخابية الذاتي» ، ويدافع عن «المبدأ الديموقراطي» ويحتج على تدخل «سلطة معينة» (اي ادارة الحزب المركزية) في حرية اختيار المندوبين من جانب الشعب . وليس المقصود هنا حادثـــاً عرضياً ، كما يعظنا الرفيق ف . هاينـــه ، بل «**نزعة الى الدواوينية والى المركزية في الحزب**» ، نزعة عامة ظهرت من قبل ، حسب زعمه ، ولكن خطرها يشتد اليوم خاصة . ينبغي «الاعتراف مبدئياً بان مؤسسات الحزب المحلية هي مولّدة حياته» (انتحال عن كراس الرفيـــق مارتوف : «مرة اخرى

---

* – «ثلاثة اشهر عاملا في الفبركة» . **الناشر** .

www.kassioun.org

اقلية») . لا يجب «التعود على ان تصدر جميـــع القرارات السياسية الهامة عن مركز واحد» ؛ يجب تحذير الحزب مـــن «سياسة مذهبية جامدة تفقد كل صلة بالحياة» (مستقاة من خطاب الرفيق مارتوف في مؤتمر الحزب ، من المقطع الذي يقول فيه ان «الحياة ستستعيد حقوقها») . ويقول الرفيق ف . هاينه متعمقاً في محاكمته : . . . «اذا تعمقنا في جوهر الامر ، واذا طرحنا جانباً النزاعات الشخصية التي لم تضطلع هنا كما هو الحال دائماً ، بدور ضئيل ، رأينا في هذه الضراوة ضد **المحرفين** (اشارة التأكيد لصاحب المقال ؛ ويبدو انه يريد التلميح الى الفرق بين مفهومي النضال ضد التحريفيـــة والنضال ضـــد المحرفين) ، رأينا فيها بالدرجة الاولى عدم ثقة رسميي الحزب ازاء «**العنصر الغريب**» (ان ف . هاينه ، على ما يبدو ، لم يقرأ بعد الكراس عن النضال ضد حالة الحصار ، ولهذا فهـــو يستعمل تعبيراً انجليزياً : Outsidertum) رأينا فيها عدم ثقة التقليد ازاء كل ما يخرج عن المألوف ، عدم ثقة المؤسسة العديمة الشخصية ازاء كل ما هو فردي» (انظر قرار اكسلرود ، في مؤتمر العصبة ، حول سحق المبادرة الفردية) ، «وبكلمة ، رأينا فيها تلك النزعة نفسها التي وصفناها اعلاه وقلنا عنها انها نزعة الى الدواوينية والمركزية في الحزب» .

ان مفهوم «الطاعة» يثير في نفس الرفيق ف . هاينه الاستياء النبيل عينه الذي يثيره في نفس الرفيق اكسلرود . فقد كتب يقول : «. . . لقد أ'تُهم المحرفون بانعدام الطاعة لانهم كتبوا في صحيفة «المجلة الاشتراكية الشهرية» ، التي لا يراد حتى الاعتراف بها صحيفة اشتراكية-ديموقراطية ، لأنها ليست **تحت اشراف الحزب** . ان مجرد هذه المحاولة لتضييق مفهوم «الاشتراكية-الديموقراطية» ، ان مجرد طلب **الطاعة** هذا في ميدان انتاج الافكار ، حيث يجب ان تسود الحرية المطلقة» (تذكروا : ان الصراع الفكري هو عبارة عن تفاعل ، والاشكال التنظيمية ليست سوى اشكال) ، «يشهدان على وجود نزعة الى الدواوينية والى خنق الفرد» . وعلى هذا النحو ، ارعد ف . هاينه وابرق طويلاً ضد هذه النزعة الكريهة الرامية الى تأسيس

www.kassioun.org

«منظمة كبيرة شاملة **واحدة** ، تكون مركزية اكثر ما يمكن ، وتكتيك **واحد** ونظرية **واحدة**» ؛ وارعـــد وابرق ضد مطلب «الخضوع المطلق» ، «الخضوع الاعمى» ، وضد «المركزيـــة المبسطة» ، الخ . ، الخ . ، – تماماً «حسب اكسلرود» .

ولقد احتدم النقاش الذي اثاره هاينه ، ولكنه سرعان ما اقتصر على تحليل النزعات المبدئية لدى الارثوذكسية والتحريفية في مسألة التنظيـــم ، لأنه لم يكن هناك في الحزب الالماني اي مماحكات بصدد التعيين الداخلي يلـّبك المناقشة ، ولأن اضراب اكيموف الالمان لا يؤكدون سيماءهم في المؤتمرات فحسب بل ايضاً بانتظام في جريـــدة خاصـــة . وتدخّلَ كاوتسكي («Neue Zeit» ، ١٩٠٤ ، العـــدد ٢٨ ، المقـــال بعنوان «Wahlkreis und Partei» – «الدائرة الانتخابية والحزب») بوصفه احد ممثلي النزعة الثورية (المتهـَمة ، طبعاً ، كما عندنا ، بالروح «الديكتاتورية» ، «التفتيشية» ، وغير ذلك من التهم الرهيبة) . ان مقال هاينه ، كما قال كاوتسكي ، «يعكس سير فكرة كل الاتجاه التحريفي» . فالانتهازيون ، لا في المانيـــا وحسب ، بل في فرنسا وايطاليا ايضاً ، يؤيدون ، روحـــاً وجسداً ، الاستقلال الذاتي ، وتخفيف الطاعة في الحزب حتى الصفر ؛ وميولهـــم تؤدي في كل مكان الى **الاخلال بالنظام** ، **والحط من** «المبدأ الديموقراطي» وتحويلـــه الى **فوضوية** . «الديموقراطية لا تعني انعدام السلطة – هكذا يعلـّم كاوتسكي الانتهازيين في مسألة التنظيم – الديموقراطيـــة لا تعنـــي الفوضوية ؛ انها سيادة الجماهير على وكلائها خلافاً لسائر اشكال السلطة ، حيث خدام الشعب المزعومون هم في الواقـــع اسياده» . ويتتبع كاوتسكي بدقة وامعان الدور التشويشي الذي يضطلـــع به الاستقلال الذاتـــي الانتهازي في مختلف البلدان ؛ ويبين ان انضمام «**جمهور من العناصر البرجوازية**» *

---

* وعلى سبيل المثال ، يورد كاوتسكي **جوريس** . ان امثال «هؤلاء الرجال ، بقدر ما ينحرفون نحو الانتهازية ، بقدر ما «لا بد لهم حتماً ان يعتبروا طاعة الحزب بمثابة تضييق غير مقبول لشخصيتهم الحرة» .

www.kassioun.org

الى الاشتراكية-الديموقراطيـــة هو الذي يعزز الانتهازيـــة والاستقلال الذاتي والميول الى انتهاك النظام ؛ ويذكّر ايضاً وايضاً بان «التنظيـــم هو بالضبط السلاح الذي ستتحرر البروليتاريا بواسطته» ؛ وان «التنظيـــم هو ، بالنسبـــة للبروليتاريا ، سلاح النضال الطبقي» .

وفي المانيا ، حيث الانتهازية اضعف مما في فرنســـا وايطاليا ، «لم تفض نزعات الاستقلال الذاتي قط حتى الآن الا الى تصاريح مفخمـــة مؤثرة ، الى هذا الحد او ذاك ضـــد الديكتاتوريين وكبـــار المفتشين ، ضد احكـــام الحِرْم * والتفتيشات عـــن الهرطقات ، لم تفضِ الا الى مشاحنـــات ومماحكات لا نهاية لها ، ولا يؤدي تحليلهـــا الا الى مخاصمات دائمة» .

فلا غرابة اذا كانت نزعات الاستقلال الذاتي في روسيا ، حيث الانتهازية في الحزب اضعف ايضاً مما هي عليه في المانيا ، قد ولدت اقل من الافكار واكثر من «التصاريح المفخمة المؤثرة» والمماحكات .

ولا غرابة اذا توصل كاوتسكي الى الاستنتاج التالي : «ان تحريفية جميع البلدان ، رغم كل اختلاف مظاهرها وتنوع تلاوينها ، تتسم في مسألة التنظيم بقدر من التجانس قد لا تتسم به في اية مسألـــة اخرى» . ويصوغ كاوتسكي النزعات الاساسية في الارثوذكسية والتحريفية في هذا الميدان ، فيلجأ هو ايضاً الى هذه «الكلمة الرهيبة» : دواوينية versus (ضد) ديموقراطية . كتب كاوتسكي يقول : يقال لنا ان منح ادارة الحزب حق التأثير في اختيار المرشح (للانتخابات البرلمانية) في الدوائر الانتخابية المحليـــة ، انما يعني «الاعتداء بصورة فاضحة على المبدأ الديموقراطي الذي يقضي بان يُمارَس كل النشاط السياسي من القاعدة الى القمة ، بمبادرة الجماهير ، لا من القمة الى القاعدة ، بالطريق الدواويني . . . ولكن اذا كان

---

* *Bannstrahl* – حرم . وهذا التعبير الالماني يقابله بالروسية «اعلان حالة الحصار» و«القوانين الاستثنائية» . وتلك هي «كلمة» الانتهازيين الالمان «الرهيبة» .

www.kassioun.org

ثمة مبدأ ديموقراطي حقاً ، فهو التالي : ينبغي ان تتفوق الاغلبية على الاقلية ، لا العكس . . .» ان انتخاب النواب الى البرلمان ، في اية دائرة انتخابية كانت ، امر يهم الحزب بمجمله ، فلا بدّ للحزب ان يؤثر في تعيين المرشحين ، على الاقل بواسطة الافراد الذين يثق بهم الحزب (Vertrauensmänner) . «ومن يجد هذه الطريقة مفرطة في الدواوينية او المركزية ، فما عليه الا ان يقترح تعيين المرشحين بتصويت مباشر من جميع اعضاء الحزب على وجه العموم (sämtliche Parteigenossen) . ولكن ، ما دام هذا الاسلوب غير قابل التطبيق ، فلا فائدة من التذمر من قلة الديموقراطية ، حين تكون الوظيفة المرتآة ، شأنها شأن كثير من الوظائف الاخرى التي تتعلق بالحزب كله ،انمـــا تمارسها هيئة او عدة هيئات حزبية» . وحسب «قانون العرف والعادة» في الحزب الالماني ، كانت الدوائر الانتخابية «تتفاهم» من قبل ايضاً ، «بكل رفاقية» ، مع ادارة الحزب لتقديم هذا المرشح او ذاك . «ولكن الحزب كبر الى حد ان قانون العرف والعادة الضمني هذا لم يعد كافياً . ان قانون العرف والعادة يكف عن ان يكون قانوناً حين يكف الاعتراف به كشيء بديهي ؛ حين يصبح محتوى تعاريفه ووجوده بالذات موضع جدل . واذ ذاك يغدو من الضروري اطلاقاً صياغة هذا القانون صياغـــة دقيقة ، اعطاؤه صيغة قانونية . . .» ، و«تثبيته بمزيد من الدقة في انظمة مكتوبة . * (statutarische Festlegung) وتعزيز صرامة (grössere Straffheit) المنظمة في الوقت نفسه» .

وهكذا نرى ، في ظروف اخرى ، هذا النضال نفسه بين الجناح الانتهازي والجناح الثوري في الحزب في حقل التنظيم ، هذا النزاع نفسه بين الاستقلال الذاتي والمركزيـــة ، بين

---

* وقد يكون من اقصى الدلالة ان نقارن ملاحظات كاوتسكي هذه بشأن الاستعاضة عن قانون العرف والعادة الضمني بقانون مثبت رسميا في النظام الداخلي ، مع كل هذا «التغير» الذي يطرأ على حزبنا بوجه عام وعلى هيئة التحرير بوجه خاص منذ مؤتمر الحزب . قارن مع خطاب زاسوليتش (في مؤتمر العصبة ، ص ٦٦ وما يليها) ، التي نشك انها تفهم كل اهمية التغير الطارئ .

www.kassioun.org

الديموقراطية و«الدواوينية» ، بين الميول الى تخفيف صرامة التنظيم والطاعة والميول الى تعزيز هذه الصرامة ، بين نفسية المثقف المتذبذب ونفسية البروليتاري المنسجم ، بين فردية المثقفين وتراصّ البروليتاريين . وهنا يوضع السؤال التالي : اي موقف وقفته **الديموقراطية البرجوازية** في هذا النزاع ، لا تلك التي لم يفعل التاريخ – هذا الصبي الشيطان – غير ان يعد باظهارها يوماً ما للرفيق اكسلرود ، بصورة سرية ، بل الديموقراطية البرجوازية الحقيقية ، الفعلية ، التي لها في المانيا ايضاً ممثلون لا يقلون ذكاء ولا حس مراقبة عن سادتنا في «الاوسفوبوجدينييه» ؟ ان الديموقراطية البرجوازية الالمانية سرعان ما اتخذت موقفاً من الخصام الجديد ، وسرعان ما وقفت روحاً وجسداً الى جانب الجناح الانتهازي في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ، كما في روسيا ، كما هي الحال دائماً وفي كل مكان . وقد نشرت الصحيفة الكبرى للرأسمال البورصي في المانيا ، «فرانكفورتر زايتونغ» (٤٧) مقالاً افتتاحياً داوياً («Frankf. Ztg.», 1904, 7 Apr., N° 97, Abendblatt*) يبين ان الانتحالات الفاضحة عن اكسلرود تصبح حقاً وصدقاً بمثابة مرض في الصحافة الالمانية . ان ديموقراطيي بورصة فرانكفورت القساة يسلطون السياط على «الاوتوقراطية» في الحزب الاشتراكي – الديموقراطي ، و«ديكتاتورية الحزب» ، و«سيطرة زعماء الحزب الاوتوقراطية» ، و«احكام الحِرْم» هذه التي يراد بها «معاقبة كل التحريفية اذا جاز القول» (تذكروا «التهمة الباطلة بالانتهازية») ومطلب «الخضوع الاعمى» و«الطاعة القاتلة» والمطلب بـ«الخنوع الذليل» وتحويل اعضاء الحزب الى «جثث سياسية» (وهذا ما هو اقوى من الدواليب والنوابض !) . وازاء نظام الاشتراكية-الديموقراطية اللاديموقراطي ، يهتف فرسان البورصة باستياء عارم : «ان كل اصالة شخصية ، ان كل ظاهرة للشخصية ، ينبغي ، كما ترون ، ان تكون موضع اضطهادات ، لأنها قد

---

* «جريدة فرانكفورت» ، ١٩٠٤ ، ٧ نيسان – ابريل ، العدد ٩٧ ، الطبعة المسائية . **الناشر** .

www.kassioun.org

تؤدي الى النظام الفرنسي ، الى الجوريسية والميلليرانية ، كما اعلن زيندرمان بكل وضوح ، وهو الذي القى تقريراً بهذه المسألـــــة» في مؤتمـــــر حزب الاشتراكيين-الديموقراطيين الساكسونيين .

وهكذا ، اذا كانت التعابير الجديدة التي تلجأ اليهـــا «الايسكرا» الجديدة حول مسألة التنظيم تنطوي على معنـــى مبدئي ، فلا ريب ان هذا المعنى انتهازي . وهذا الاستنتاج انما يؤكده ايضاً كامل تحليل مؤتمر حزبنا ، الذي انقسم الى جناح ثوري وجناح انتهازي ، وكذلـــك مثال **جميع** الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الاوروبية ، التي تتجلى انتهازيتها في حقل التنظيم بالميول نفسها ، والاتهامات نفسها ، والتعابير نفسها دائماً تقريباً . وبديهي ان الخصائص القومية لمختلف الاحزاب وتنوع الاوضاع السياسية في شتى البلدان تترك اثرها وتجعل الانتهازية الالمانية لا تشبه الانتهازية الفرنسية في شيء ، والانتهازية الفرنسية لا تشبه الانتهازية الايطالية ، والانتهازية الايطالية لا تشبه الانتهازية الروسية . ولكن تشابه انقسام جميع هذه الاحزاب انقساماً اساسياً الى جناح ثوري وجناح انتهازي ، وتشابه الانتهازية في طريقة التفكير والنزعات في مسألة التنظيم ، يبرزان بوضوح رغم كل تنوع الاوضاع التي اشرنا اليها آنفاً * . وبسبب من كثرة المثقفين الراديكاليين

---

* لن يشك احد اليوم في ان انقسام الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس السابق الى اقتصاديين وسياسيين ، في المسائل التكتيكية ؛ كان يشبه انقسام الاشتراكية-الديموقراطية العالمية كلهـــا الى انتهازيين وثوريين ، رغـــم ان الفرق كبير جداً بين الرفيقين مارتينوف واكيموف من جهة ، والرفاق فون فولمار وفون ايلم او جوريس وميلليران ، من جهة اخرى . كذلك لا شك في التشابه بين الانقسامات الاساسية في مسالة التنظيم ، رغم البون الشاسع في الاوضاع بين بلد محروم من الحقوق السياسية وبلد حر سياسياً . ومما له دلالته القصوى ان هيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة ، المتمسكة بالمبادئ ، اذ تناولت عرضاً النقاش الذي قام بين كاوتسكي وهاينه (العدد ٦٤) ، **تجنبت** بوجل مسألـــة النزعات **المبدئية لكل** انتهازية ولكل ارثوذكسية في مسالة التنظيم .

www.kassioun.org

بين ماركسيينا واصحابنا الاشتراكيين-الديموقراطيين ، تجلت الانتهازية التي تولدها عقليتهم ولا تزال تتجلى بصورة حتمية في اكثر الميادين تنوعاً واوفر الاشكال تبايناً . لقد حاربنـــا الانتهازية في قضايا مذهبنا الاساسية ، في مسائل البرنامج ؛ والخلاف الكامل في الاهداف قد ادى بصورة لا مناص منها الى الانفصال النهائي بين الاشتراكيين-الديموقراطيين والليبيراليين الذين افسدوا ماركسيتنا الشرعية . لقد حاربنا الانتهازية في مسائل التكتيك ، وخلافاتنا مع الرفيقين كريتشيفسكي واكيموف في هذه المسائل التي هى اقل اهمية لم تكن ، بالطبع ، الا خلافات موقتة ولم يرافقها تكوين احزاب مختلفة . وينبغي علينا الآن ان نتغلب على انتهازية مارتوف واكسلرود في مسائل التنظيم التي لا تضاهي بالطبع مسائل البرنامج والتكتيك من حيث الاهمية ، ولكنها تشغل في الوقت الحاضر المنزلة الاولى في حياتنا الحزبية .

وحين يتناول الحديث النضال ضد الانتهازية ، ينبغي لنـــا ان لا ننسى ابداً السمة المميزة التي تميز كل الانتهازية العصرية في جميع الميادين : ما تنطوي عليه من غامض ومائع وغير مفهوم . فان الانتهازي يجتنب دائماً ، بحكم طبيعته بالذات ، طرح المسائل بصورة واضحة وحاسمة وهو يسعى دائماً وراء الحاصلة ، ويراوغ كالثعبان بين وجهتي نظر تتنافيان ، محاولاً ان «يتفق» مع كل منهما ، وحاصراً خلافاته في تعديلات طفيفة ، وشكوك ، وتمنيات بريئة لا تغني ولا تسمن ، الخ . ، الخ . . ان الرفيق برنشتين ،الانتهازي في مسائل البرنامج ، «يوافق» على البرنامج الثوري للحزب ، ومع انه يرغب بلا ريب في اجراء «اصلاح جذري» على هذا البرنامج ، الا انه يرى هذا «الاصلاح» في غير وقته ، لا فائدة منه ، واقل اهمية من ايضاح «مبادئ» «النقد» «العامة» (التي تتقوم على الاخص في اقتباس المبادئ والتعابير من الديموقراطية البرجوازية دون نقد ولا تمحيص) . والرفيق فون فولمار ، الانتهازي في مسائل التكتيك ، يوافق ايضاً على تكتيك الاشتراكية-الديموقراطية الثورية السابق ؛ وهو ايضاً يقتصر بالاحرى على تصريحات مفخمة وتعديلات

www.kassioun.org

طفيفة وسخريات ، دون ان يصوغ على الاطلاق اي تكتيك «استيزاري» واضح . والرفيقان مارتوف واكسلرود ، الانتهازيان في مسائل التنظيم ، لم يعطيا هما ايضاً حتى الآن ، رغم التحديات الصريحة ، اية موضوعة مبدئية اهلاً «لاثباتها في النظام الداخلي» ؛ وهما ايضاً قد يتمنيان ، يتمنيان اطلاقاً «اصلاحاً جذرياً» في قانوننا التنظيمي («الايسكرا» ، العدد ٥٨ ، ص ٢ ، العمود ٣) ، ولكنهما قد يفضلان الاهتمام اولاً «بمسائل التنظيم ذات الطابع العام» (لأنه لو تحقق اصلاح جذري حقاً في نظامنا الداخلي ، المركزي رغم الفقرة الاولى ، بروح «الايسكرا» الجديدة ، لأدى حتماً الى الاستقلال الذاتي والحال ، لا يريد الرفيق مارتوف بالطبع ان يعترف ، حتى لنفسه ، انه ، **مبدئياً** ، يميل الى الاستقلال الذاتي) . ولذا فان موقفهما «المبدئي» في مسألة التنظيم يمر بجميع الوان قوس قزح : ان ما يسود ، انما هي تصريحات مفخمة مؤثرة بريئة ضد الاوتوقراطية والدواوينية ، ضد الخضوع الاعمى ، والدواليب والنوابض — تصريحات مخفمة بريئة الى حد انه من الصعب جداً جداً ، التفريق فيها بين الجانب المبدئي حقاً وجانب التعيين الداخلي حقاً . ولكن كلما سرت في الغاب ، كلما ازداد الحطب : فان المحاولات لتحليل «الدواوينية» اللعينة وتحديدها بدقة تقود حتماً الى الاستقلال الذاتي ؛ ومحاولات «التعميق» والتبرير تؤدي بالضرورة الى تبرير حالة التأخر ، والى الذنبية ، والى الجمل الجيروندية . واخيراً ، يبدو مبدأ **الفوضوية** المبدأ الوحيد المحدّد حقاً ، والمبدأ الذي يبرز بالتالي في التطبيق بروزاً خاصاً (التطبيق يسبق دائماً النظرية) . ازدراء الطاعة — الاستقلال الذاتي — الفوضوية — ذلك هو السلّم الذي تنزل عليه تارة وتصعد طوراً انتهازيتنا في حقل التنظيم ، قافزة من درجة الى اخرى ، ومتجنبة بمهارة كل صياغة دقيقة لمبادئها * . وهذا

---

* ان الذين يتذكرون المناقشات بشأن الفقرة الاولى سيرون بوضوح ان خطأ الرفيق مارتوف والرفيق اكسلرود حول هذه الفقرة يقود **حتماً** ، في حال تطويره وتعميقه ، الى انتهازية في حقل التنظيم . ان فكرة الرفيق مارتوف الاساسية — كل امرئ يستطيع ان يعلن عن

www.kassioun.org

هو بالضبط التدرج نفسه الذي يظهر ، مع الانتهازية ، في مسائل البرنامج والتكتيك : ازدراء «الارثوذكسية» والايمان وضيق الافق والجمود – «انتقاد» تحريفـــي ، والاستيزار – ديموقراطية برجوازية .

واننا لنلاحظ علاقة نفسانية وثيقـــة بين هذا الكره للطاعة ونبرة **الاستياء** التي تبرز ، على نغم واحد لا انقطاع فيه ، فى كل كتابات جميع الانتهازيين المعاصرين بوجه عام واقليتنا بوجه خاص . فهم يرون انفسهـــم مضطهَدين ، مزاحين ، مطرودين ، محاصرين ، مركوبين . ان هذه الكلمات تنطوي عـــلى قدر من الحقيقة النفسانية والسياسية يزيد كثيرا بلا ريب عما توقعه صاحب هذا المزاح اللطيـــف الظريف بصدد المركوبين والراكبين (٤٨) . لنر بالفعل الى محاضر مؤتمر حزبنا ؛ فانكم لتلمسون ان الاقلية تتألف من جميـــع المستائين ، من جميـــع

نفسه انه عضو في الحزب – هي على وجه الضبط ضرب خاطئ من «الديموقراطية» ؛ انها فكرة بناء الحزب من القاعدة الى القمة . اما فكرتي ، فهي ، على العكس ، «دواوينية» بمعنى ان الحزب يبني نفسه من القمة الى القاعدة ، من مؤتمر الحزب الى مختلف منظمات الحزب . نفسية المثقف البرجوازي ، تعابير فوضوية ، فلسفة انتهازية ، ذنبية ، كل هذا ظهر منذ مناقشة الفقرة الاولى . ويتحدث الرفيق مارتوف في «حالة الحصار» (ص ٢٠) عن «عمل الفكر الذي بدأ» في «الايسكرا» الجديدة . وهذا القول صحيح بمعنى انه هو واكسلرود يوجهان حقاً الفكر في وجهة جديدة ، ابتداء من الفقرة الاولى . ومع ذلك فالمصيبة ان هذه الوجهة انتهازية . وبقدر ما يوجهان «عمل»هما في **هذه** الوجهة ، وبقدر ما يخلو هذا العمل من مماحكات التعيين الداخلي ، بقدر ما يفرقان في المستنقع . ولقد ادرك الرفيق بليخانوف هذا الامر بوضوح منذ مؤتمر الحزب ، وحذرهما منه للمرة الثانية في مقاله «ما لا ينبغي عمله» وقد قال : اني مستعد حتى للقبول بضمكما ، شرط ان لا تسلكا هذا السبيل الذي يقود بوجه الحصر الى الانتهازية والفوضوية . ولم يسمع مارتوف واكسلرود هذه النصيحة الطيبة : كيف ؟ لا نسلك ؟ الموافقة مع لينين على ان التعيين الداخلي انما هو مجرد مماحكة ؟ كلا ابدا ! وسنريه اننا امناء للمبادئ . وأريا . أريا بوضوح للجميع ان مبادئهما الجديدة ، هذا اذا كانت لهما مبادئ جديـــدة ، انما هي مبادئ انتهازية .

www.kassioun.org

الذين اهينوا ، ذات يوم ولسبب ما ، من جانب الاشتراكية-الديموقراطية الثورية . واننا نجد بينهم البونديين وجماعة «رابوتشييه ديلو» الذين «أهناهم» الى حد انهـــم غادروا المؤتمر ؛ وجماعة «يوجني رابوتشي» ، الذين أهينوا اهانـــة مميتة بقتل المنظمات بوجه عام ومنظمتهم بوجه خاص ؛ ونجد بينهم الرفيق ماخوف ، الذي اهين كلما اخذ الكلام (لأنه ، كل مرة ، كان لا يفوته ان يجلب لنفسه السخر) ؛ ونجد بينهم اخيراً الرفيق مارتوف والرفيق اكسلرود ، اللذين اهينـــا «لاتهامهما باطلا بالانتهازية» بسبب من الفقرة الاولى من النظام الداخلي ، ولإنزال الهزيمة بهما في الانتخابات . وكل هذه الاهانات المرة لم تكن اطلاقاً نتيجة عرضية لنكات غير مقبولة ، وهجمات لاذعة ، ومناظرة ضارية ، وصفق للابواب ، وقبضات مشرعة ، كما لا يزال يعتقد اليوم كثرة كثيرة من التافهين الضيقي الافق ، بل نتيجة سياسية محتمة لكل عمل «الايسكرا» الايديولوجي خلال سنوات ثلاث . واذا كنا خلال هذه السنوات الثلاث لم نلق الكلام على عواهنه بل اعربنا عن عقائد ينبغي لها ان تتحول الى اعمال ، فانه لم يسعنا ان نفعل غير ان نحارب اخصام الايسكريين و«المستنقع» في المؤتمر . وعندما اهنّا كثرة من الناس مع الرفيق مارتوف الذي كان يحارب في الصف الاول بكل جرأة ، لم يكن يبقى لنا الا ان نهين الرفيق اكسلرود والرفيق مارتوف قليلاً ، قليلاً جداً حتى تطفح الكأس . لقد تحول الكم الى كيف . وصار نفي النفي . وتناسى جميع المهانين الحسابات التي كان عليهم ان يصفوها بعضهم لبعض ، والقوا بانفسهم ، متباكين ، في اذرع بعضهم بعضاً ورفعوا رايـــة «الانتفاضة على اللينينية» * .

ان الانتفاضة شيء ممتاز حين تهب العناصر المتقدمـة ضد العناصر الرجعية . وحين يهب الجناح الثوري ضد الجناح

---

* هذا التعبير المدهش هو للرفيق مارتوف («حالة الحصار» ، ص ٦٨) . لقد انتظر الرفيق مارتوف اللحظة التي يصبح فيها قويـــا كخمسة لكي «يثور» علي وحدي . ان الرفيق مارتوف يجادل بخراقة : فهو يود تحطيم خصمه باغداق اكبر المدائح عليه .

www.kassioun.org

الانتهازي ، فهذا امر حسن . وحين يهب الجناح الانتهازي ضد الجناح الثوري ، فهذا امر سيئ .

والرفيق بليخانوف يرى نفسه ملزماً بالاشتراك في هذا الامر السيئ بوصفه اسير حرب ، اذا جاز القول . وهو يجهد «لتفريغ غضبه» باصطياد جمل خرقاء عند صاحب هذا القرار او ذاك في صالح «الاغلبية» ؛ واذ ذاك يهتف قائلاً : «مسكين الرفيق لينين ! انهـــم ظرفاء ، انصاره الارثوذكسيون !» («الايسكرا» ، العدد ٦٣ ، ملحق) .

كلا ، ايها الرفيق بليخانوف ، انا استطيع ان اقول لك اني اذا كنت أنا مسكيناً ، فان هيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة معدمة كلياً . ومهما كنت فقيراً ، فاني لم اقع بعد في بؤس مدقع يحملني على اغماض عيني عن مؤتمر الحزب ، وعـــلى السعي ، قصد تمرين روح النكتة عندي ، وراء مواد في قرارات اعضاء اللجان . ومهما كنت فقيراً ، فاني اغنى الف مرة من اولئك الذين لا تفلت من انصارهم اية جملة خرقاء ، بل يتمسكون بعناد وثبات ، في جميع المسائل سواء في حقل التنظيم ام التكتيك ام البرنامج ، بمبادئ مضادة لمبادئ الاشتراكية-الديموقراطية الثورية . ومهما كنت فقيراً ، فان الامر لم يبلغ بي بعد حد ان **اخفي عن الجمهور** المدائح التي يكيلها لي هؤلاء الانصار . ولكن هيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة ترى انها ملزمة بذلك .

هل تعرف ، ايها القارئ ، ما هي لجنة فورونيج لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ؟ اذا كنت تجهل ذلك ، فطالع محاضر مؤتمر الحزب . فانك لترى فيها ان اتجاه هذه اللجنة انما يعرب عنه كليا الرفيقان اكيموف وبروكر اللذان حاربا ، في المؤتمر ، على طول الخط ، الجناح الثوري للحزب ، واللذان صنفهما الجميع مراراً عديدة ، من الرفيق بليخانوف حتى الرفيق بوبوف ، في عداد الانتهازيين . واليكم ما تقوله لجنة فورونيج هذه في ورقتها الصادرة في كانون الثاني (العدد ١٢ ، كانون الثاني – يناير – ١٩٠٤) :

www.kassioun.org

«في السنة الماضية ، حدث حادث كبير بالغ الاهمية بالنسبة لحزبنا الذي ينمو باستمرار : فقد انعقد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، مؤتمر ممثلي منظماته . ان انعقاد مؤتمر الحزب امر معقد جداً ، ناهيك بانه خطر جداً وصعب جداً في ظل الملكية . ولذا ، لا غرابة اذا كان هذا الانعقاد **يشكو نقصا كبيراً** ، واذا كان المؤتمر لم يستطع ان يستجيب لكل متطلبات الحزب ، رغم انه جرى بسلامة تامة ، فالرفاق الذين كلفهم المجلس العام (الاجتماع) لسنة ١٩٠٢ بالدعوة لعقد المؤتمر قد اعتقلوا ، **فنظم المؤتمر اناس لا يمثلون الا نزعة واحدة من نزعات الاشتراكية-الديموقراطية الروسية هي النزعة الايسكرية** ، ولم يدع **عدد كبير** من المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية ، ولكن غير الايسكرية ، الى الاشتراك في اعمال المؤتمر : **وهذا سبب من الاسباب** التي جعلت صياغة **البرنامج والنظام الداخلي** للحزب من قبل المؤتمر صياغة **غاية في النقص** . وقد اعترف المندوبون انفسهم بوجود نواقص كبيرة في النظام الداخلي ، نواقص «من شأنها ان تؤدي الى مظاهر خطيرة من سوء الفهم» . وفي المؤتمر ، انقسم الايسكريون بالذات على انفسهم ، واقر عدد من المناضلين البارزين في حزبنا ، حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، ممن اظهروا ، حتى ذاك ، كما خيل ، انهم موافقون كل الموافقة على برنامج عمل «الايسكرا» ، بان عدداً كبيراً من وجهات نظر هذا البرنامج ، التي دافع عنها **لينين وبليخانوف بالدرجة الاولى** ، كانت غير اهل للحياة . ومع ان هذين قد احرزا الغلبة في المؤتمر ، إلا ان قوة الحياة الواقعية ، ومقتضيات العمل الفعلي ، الذي يشترك فيه ايضاً جميع غير الايسكريين ، تصلح بسرعة اخطاء النظريين ، وقد اجرت بعد المؤتمر تعديلات جدية . **لقد تغيرت «الايسكرا» تغيراً كبيراً وهي تعد** بالاصغاء والانتباه لمطالب مناضلي الاشتراكية-الديموقراطية بوجه عام . وعلى هذا النحو ، ومع انه **ينبغي اعادة النظر باعمال المؤتمر** في المؤتمر المقبل ؛ ومع ان هذه الاعمال غير مرضية ، كما ادرك المشتركون في المؤتمر انفسهم ، **ولا يستطيع الحزب قبولها ، لهذا السبب ، بوصفها قرارات لا جدال فيها** ، الا ان المؤتمر قد القى النور مع ذلك على الوضع في الحزب ، وقدم مجموعة غنية من المواد والوثائق من شأنها ان تطور نشاط الحزب في ميدان النظرية والتنظيم ، وكان تجربة مفيدة كبرى بالنسبة لمجمل عمل الحزب . ان قرارات المؤتمر والنظام الداخلي الذي صاغه **ستأخذها** جميع المنظمات **بعين الاعتبار** ، ولكن عدداً كبيراً من المنظمات **سيجتنب الاستيحاء منها بوجه الحصر** ، نظراً لنواقصها الجلية .

www.kassioun.org

وان لجنة فورونيج ، ادراكا منها لاهمية عمل الحزب العام ، **قد استجابت** لجميع المسائل المتعلقة بتنظيم المؤتمر ، **استجابة** حيـــة . واللجنة تعي كل اهمية ما جرى في المؤتمر ؛ وهي **ترحب بالانعطاف الذي جرى في «الايسكرا»** ، التي اصبحت الجريدة المركزيـــة (الجريدة الرئيسية) .

ومع ان الحالة في الحزب وفي اللجنة المركزية لا ترضينا **بعد** ، إلا اننا واثقون بان عمل الحزب التنظيمي الصعب سيتحسن بفضل الجهود المشتركة . وجواباً عن الاشاعات الكاذبة ، تبلغ لجنة فورونيج الرفاق ان مسألة انفصالها عن الحزب لا يمكن ان ترد . ان لجنة فورونيج تدرك تمام الادراك اية سابقة ، اي مثال خطر تقدمه منظمة عمالية مثل لجنة فورونيج ، اذا انفصلت عن حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي **في** روسيا ، **اي لوم للحزب ينطوي عليه هذا المسعى** ، واية اساءة يلحقهـــا بالمنظمات العمالية التي قد تقتدي بهذا المثال . ينبغي لنا ان لا نستثير انشقاقات جديدة ، انما ينبغي لنا ان نسعى دائماً الى توحيد جميع العمال الواعين وجميع الاشتراكيين في حزب واحد . ونضيف قائلين ان المؤتمر الثاني لم يكن مؤتمراً تأسيسياً ، بل مؤتمراً عادياً . والفصل من الحزب لا يمكن ان يحكم به غير محكمة الحزب ، ولا يحق لأية منظمة ، وحتى للجنة المركزية ، ان تفصل اية منظمة اشتراكية-ديموقراطية من الحزب . ناهيك بان المؤتمر الثاني قد أقر الفقرة الثامنة من النظام الداخلي التي تقول بان كل منظمة تتمتع بالاستقلال الذاتي (الحرية) في شؤونها المحلية . ولذا **كان للجنة فورونيـــج كامل الحق في ان تطبق في الحياة وفي داخل الحزب نظراتها بصدد التنظيم»** .

ان هيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة ، التي استشهدت بهذه الورقة في عددها رقم ٦١ ، لم تنشر الا القسم الثاني من النص الوارد اعلاه ، وهو القسم الذي اعطيناه باحرف ضخمة ؛ اما القسم الاول ، بالاحرف الصغيرة ، **فان هيئة التحرير قد فضلت اغفاله** .

لأنها خجلت واستحت .

www.kassioun.org

ص – بعض كلمات حول الديالكتيك . انقلابان

اذا القينا نظرة اجمالية على تطور الازمة في حزبنا ، رأينا بسهولة ان تركيب المعسكرين المتخاصمين الاساسي ظل دائماً كما هو عليه ، عدا بعض الاستثناءات . لقد كانت الازمة عبارة عن صراع بين الجناح الثوري والجناح الانتهازي في حزبنا . ولكن هذا الصراع مرّ بشتى المراحل ، ومن شاء ان يفهم ما تكدّس من منشورات وفيرة ومجمـــل الاشارات الجزئيـــة والاستشهادات المنتزعة من متنها والاتهامات المختلفة ، الخ . ، الخ . ، انما ترتب عليه ان يدرس عن كثب خصائص كل من هذه المراحل .

لنعدد المراحل الرئيسية التي تمتاز احداها عن الاخرى بصورة واضحة : ١) الجدال حول الفقرة الاولى من النظام الداخلي . نضال فكري صرف حول مبادئ التنظيم الاساسية . بليخانوف وانا اقلية . مارتوف واكسلرود يقترحان صيغة انتهازية وقد صارا في احضان الانتهازيين . ٢) انقسام منظمة «الايسكرا» حول مسألة لوائح الترشيحات للجنة المركزية : فومين او فاسيلييف في الفرقة الخماسيـــة ، تروتسكي او ترافينسكي في الفرقة الثلاثيـــة . بليخانوف وانا ، نكسب الاكثرية (تسعة اصوات ضد سبعة) ، لاننا نوعا ما كنا على وجه الدقة أقلية في مسألة الفقرة الاولى . وقد جاء ائتلاف مارتوف مع الانتهازيين يؤكد بالفعل جميع مخاوفي الناجمة عن حادث اللجنة التنظيمية . ٣) استمرار المجادلات حول تفاصيل النظام الداخلي . ومن جديد ، أنقذ الانتهازيون مارتوف . وها نحن من جديد اقلية ، وندافع عن حقوق الاقلية في الهيئات المركزية . ٤) الانتهازيون المتطرفون السبعة يغادرون المؤتمر . صرنا اكثرية ، فتغلبنا في الانتخابات على الائتلاف (ائتلاف الاقلية الايسكرية ، و«المستنقع» ، واخصام الايسكريين) . مارتوف وبوبوف يتخليان عن المقاعد في فرقنا الثلاثية . ٥) بعد المؤتمر ، مماحكات سافلة حول التعيين الداخلي . انفلات السلوك الفوضوي والتعابير الفوضويـــة . تتغلب عناصر

www.kassioun.org

«الاقلية» ، الاقل ثباتا واستقرارا . ٦) اجتنابا للانشقاق ، ينتقل بليخانوف الى سياسة «kill with kindness» . «الاقلية» تحتل ادارة تحرير الجريدة المركزية والمجلس ، وتهاجم اللجنة المركزية بكل قواها . وتستمر المماحكة السافلة سائدة في جميع الامور . ٧) صدّ الهجوم الاول على اللجنة المركزية . يبدو ان المماحكات السافلة تهدأ قليلا . تتوافر امكانية القيام ، في جو هادئ نسبيا ، بمناقشة مسألتين فكريتين خالصتين تثيران بالغ الاهتمام في صفوف الحزب : أ) ما هي الاهمية السياسية للانقسام الذي حصل في حزبنا الى «اكثرية» والى «اقلية» اثناء المؤتمر الثاني والذي حلّ محل جميع الانقسامات السابقة وما هو تفسيره ؟ ب) ما هو المغزى المبدئي للموقف الجديد الذي وقفته «الايسكرا» الجديدة في المسألة التنظيمية ؟

في كل من هذه المراحل ، اختلفت ظروف النضال والهدف المباشر من الهجوم اختلافا جوهريا ؛ فكل مرحلة ، اذا جاز القول ، معركة خاصة في حملة عسكرية عامة . واننا لا نستطيع ان نفهم شيئا من نضالنا اذا لم ندرس الاوضاع الملموسة التي مرت بها كل من هذه المعارك . وبعد هذه الدراسة ، سنرى جيداً جداً ان التطور يتبع ، بالحقيقة ، السبيل الديالكتيكي ، سبيل التناقضات : فالاقلية تغدو اغلبية والاغلبية اقلية ؛ وكل معسكر ينتقل من الدفاع الى الهجوم ومن الهجوم الى الدفاع ؛ و«ينفون» نقطة انطلاق النضال الفكري (الفقرة الاولى) ويستعيضون عنها بالمماحكات السافلة الشاملة * ، ثم يبدأ «نفي النفي» ، وبعد ايجاد وسيلة «للوفاق الزوجي» بين بين مع المرأة التي اعطاه اياها الله ، في مختلف هيئات الحزب المركزية ، نعود الى نقطة انطلاق الصراع

---

* ان المعضلة الصعبة المتعلقة بالفصل بين المماحكات السافلة والخلافات المبدئية تنحل الآن من تلقاء نفسها : فكل ما يتعلق بالتعيين الداخلي مماحكة سافلة ؛ وكل ما يتعلق بتحليل النضال في المؤتمر وبالمجادلات حول الفقرة الاولى وحول الانعطاف نحو الانتهازية والفوضوية هو خلاف مبدئي .

www.kassioun.org

الفكري الصرف ؛ ومذ ذاك تغدو هذه «الموضوعة» التي اغتنـــت بجميع نتائج «الموضوعة المعاكسة» ، أعلى تركيب فكري يتسع فيه خطأ منعزل ، عرضي ، حول الفقرةالاولى ، حتى يبلغ مـــا يشبه نهجاً مزعوما من الآراء الانتهازية في حقل التنظيم ، وتبدو فيه الصلة بين هذه الظاهرة والانقسام الاساسي في حزبنا الى جناح ثوري وجناح انتهازي بوضوح متزايد ابداً امام الجميع . وبكلمة ، ليس الشوفان وحده هو الذي ينبت حسب طريقـة هيغل ؛ بل ان الاشتركيين-الديموقراطيين الروس ايضاً يتقاتلون حسب طريقة هيغل .

ولكن الديالكتيك العظيم الذي جاء به هيغـــل ، والذي تبنّتـــه الماركسية بعد ان اوقفته على قدميه ، ينبغي الا نخلطه ابداً مع الاسلوب المبتذل القائـــل بتبرير تقلبات الساسة الذين ينتقلون في الحزب من الجناح الثوري الى الجناح الانتهازي ، او مع الطريقة المبتذلة القائلة بأن نخلط في كيس واحد هذه البيانات وتلك ، هذه اللحظات وتلـــك من تطور المراحل المختلفة من الحركة نفسها . ان الديالكتيك الحقيقي لا يبرر الاخطاء الشخصية ؛ انما يدرس الانعطافات المحتومة ، مثبتاً حتميتها ، بدراسة هذا التطور دراسة مفصلة ملموسة . ان المبدأ الاساسي للديالكتيك هو انه ليس ثمة حقيقـــة مجرّدة ، فالحقيقة ملموسة ابداً . . . كذلك ينبغي ألا نخلط بين الديالكتيك الهيغلي العظيم وبين هذه الحكمة المبتذلة ، التي أحسن هذا المثل الايطالي في التعبير عنها : mettere la coda dove non va il capo (وضع الذنب حيث لا يمر الرأس) .

ان رصيد التطور الديالكتيكي للصراع في داخل حزبنا يقتصر على انقلابين . فان مؤتمر الحزب قد كان انقلاباً حقيقياً ، كمـــا لاحظ ذلك بحق الرفيق مارتوف في كراسه «مرة اخرى اقلية» . ان مفكري الاقلية الظرفاء على حق ايضاً حين يقولون : ان العالم تحركه الثورات ولهذا قمنا بثورة ! لقد قاموا حقاً بثورة بعـــد المؤتمر . وصحيح ايضاً ان العالم ، بوجه عام ، تحركـــه الثورات . ولكن هذه الحكمة العامة لا تحدد المعنى الملموس لكل ثورة ملموسة ؛ فهناك ثورات اشبه بالرجعية ، نقول ذلك

www.kassioun.org

مؤوّلين الكلمة التي لا تنسى ، كلمة الرفيق ماخوف الذي لا ينسى . ينبغي ان نعرف ما اذا كان الجناح الثوري او الجناح الانتهازي في الحزب هو الذي كان القوة الفعلية التي قامت بالانقلاب ؛ ينبغي ان نعرف ما اذا كانت المبادئ الثورية او المبادئ الانتهازية هي التي حرّكت المكافحين ، لكي نتمكن من القول اذا كانت هذه الثورة او تلك من الثورات الملموسة هي التي دفعت «العالم» (حزبنا) الى الامام او الى الوراء .

ان مؤتمر حزبنا قد كان حدثاً فريداً من نوعه ، لا سابق له في كل تاريخ الحركة الثورية الروسية . فللمرة الاولى ، استطاع حزب ثوري سري ان يخرج من ظلمات المخابئ الى النور ، وان يبيّن للجميع ولكل امرئ كامل مجرى ومصير نضالنا في داخل الحزب ، وسيماء حزبنا بمجملها وسيماء كل من عناصره البارزة الى حد ما ، فيما يتعلق بالبرنامج والتكتيك والتنظيم . وللمرة الاولى استطعنا ان نتحرر من تقاليد التراخي الحلقي ومن هذه التفاهة وضيق الافق الثوريين ؛ وان نجمع عشرات من شتى الفرق ، غالباً ما تكون شديدة العداء بعضها لبعض ، وتربط بينها فقط قوة فكرية ، ومستعدة (مستعدة مبدئياً) للتضحية بخاصيتها واستقلالها كفرقة في صالح كل جليل الشأن هو **الحزب** الذي نحن حقاً بسبيل تشكيله للمرة الاولى . ولكن التضحيات في السياسة لا تحصل دون مقابل ، انما ينبغي كسبها بعد صراع عنيف . وحتماً كان الصراع حول قتل المنظمات من اشد اشكال الصراع ضراوة . فان النسيم البليل ، نسيم الصراع المكشوف الحرّ ، قد تحول الى زوبعة . وهذه الزوبعة كنّست ، — وحسناً ما فعلت ! — كل ما كان باقياً حتى الآن من جميع المصالح والمشاعر والتقاليد الضيقة ، الحلقية ، وانشأت للمرة الاولى هيآت حزبية حقا ، تتمتع بصلاحيات معينة .

ولكن البون شاسع بين الاسم والمسمّى . فان التضحية مبدئياً بروح الحلقة في صالح الحزب شيء ؛ والتخلي عن الحلقة الخاصة شيء آخر . فقد تبين ان النسيم البليل كان جد بليل بالنسبة لقوم اعتادوا جوّ ضيق الافق والتفاهة الخانق . «ان

www.kassioun.org

الحزب لم يستطع الصمود امام مؤتمره الاول» ، كما قال بحق (بحق ، دون قصد) الرفيـــق مارتوف في كراسه «مرة اخرى اقلية» . ولقد كان شديداً جداً الشعور بالاسى والاستياء الذي سببّه قتل المنظمات . فان الزوبعة الهائجة قد رفعـــت كل الوحل الذي كان جاثما في قعر تيار حزبنا ، وهذا الوحل انتقم . فان الروح الحلقي القديم الجاف الجامد قد تغلب على الروح الحزبي الذي ما يزال فتياً . فالجناح الانتهازي من حزبنا ، الذي اصيب بهزيمة ماحقة ، والذي قوي عرضاً بالغنيمة التي كان يمثلها اكيموف ، قد تغلب – موقتاً بالطبع – على الجناح الثوري .

اما نتيجة كل ذلك ،فهي «الايسكرا» الجديدة ، الملزمة بان تطور وتعمق الخطأ الذي ارتكبه محرروها في مؤتمـــر الحزب . كانت «الايسكرا» القديمة تعلـّم حقائق النضال الثوري . اما «الا يسكرا» الجديدة ، فانها تعلم الحكمة المبتذلة القائلة بانه ينبغي للمرء ان يكون متساهلاً وسهل المعاشرة . كانت «الايسكرا» القديمة لسان حال الارثوذكسية النضالية . امـــا «الايسكرا» الجديدة ، فانها تحمل لنا سقطات جديدة في حمأة الانتهازية ، ولا سيما في مسائل التنظيم . لقد استحقـــت «الايسكرا» القديمة شرف كره انتهازيي روسيا واوروبـــا الغربية لها . اما «الايسكرا» الجديدة ، فقد «غدت اكثر حكمة» وستكف قريباً عن الاحمرار خجلاً من المدائح التي يغدقهـــا عليها الانتهازيون المتطرّفون . كانت «الايسكرا» القديمـــة تسير باستقامة نحو الهدف وكانت اعمالها لا تكذّب اقوالها . اما العيب الداخلي لموقف «الايسكرا» الجديدة ، فانه يولـد حتماً الرياء السياسي ، حتى بالرغم من ارادة او ادراك اي امرئ كان . انها تزعق ضد الروح الحلقي ، ولكن بقصد اخفاء انتصار الروح الحلقي على الروح الحزبي . وهي تشجب الانشقاق ، كذباً ورياء ، كأنه يمكن تصور وسيلة غير خضوع الاقلية للاغلبية من اجل اجتناب الانشقاق في حزب جدير الى حد مـــا بهذه التسمية ومنظم الى حد ما . وهي تنادي بضرورة اخذ الرأي العام الثوري بالحسبان ، وتخفي مدائح امثال اكيموف ،

www.kassioun.org

وتهتم بالنمائم الحقيرة حول لجان الجناح الثوري من الحزب * . فيا للعـــار ! والى اي حدّ اساؤوا الى سمعـــة «ايسكرا» نـــا القديمة !

خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء . . . اننا لنرى ذلك في حياة الافراد ، وفي تاريخ الامم ، وفي تطور الاحزاب . وانه لمن أشد انواع الضعف اجراماً ان نشك لحظـــة واحدة في الانتصار الأكيد التام الذي ستحرزه مبادئ الاشتراكيـــة الديموقراطية الثورية والتنظيم البروليتاوي ونظام الطاعـــة والانضباط في الحزب . لقد ظفرنا بالكثير الكثير ؛ فينبغي لنا ان نواصل النضال دون ان ندع الهزائم تثبط من عزائمنا ؛ ينبغي لنا ان نناضل بثبات وان نزدري الاساليب التافهة ، اساليب المناقرات والمماحكات في الحلقات ؛ ينبغي لنـــا ان نبذل كل ما في مقدورنا لكي نصون الصلة التي تجمع في الحزب جميع الاشتراكيين- الديموقراطيين في روسيا ، والتي اقيمت بعد جهود طائلة . ينبغي لنا القيام بعمل عنيد دائب منسجم لكـــي يطّلع تماماً وعن وعي ، جميع اعضاء الحزب ، وبخاصة العمال ، على واجبات اعضاء الحزب ، على الصراع في المؤتمـــر الثاني للحزب ، على جميع اسباب خلافاتنا ومراحلهـــا ، على الدور المشؤوم الذي تضطلع به الانتهازية ، اذ انها تتراجع في ميدان التنظيم كما فيما يتعلق ببرنامجنـــا وتكتيكنا ، عاجزة امام النفسية البرجوازية ، واذ انها تتبنّى ، دون اي انتقاد ، وجهة نظر الديموقراطية البرجوازية ، وتفلّ سلاح نضال البروليتاريا الطبقي .

ليس للبروليتاريا سلاح في نضالها في سبيل الحكم سوى التنظيم . فان البروليتاريا ، التي تقسم صفوفها المزاحمـــة الفوضوية السائدة في العالم البرجوازي ، والتي يرهقها الكدح الذليـــل في صالح الرأسمال ، وتتخبط بصورة مستمرة في «درك» البؤس الاسود والتوحش والانحطاط والتفسخ ، تستطيع

---

* لقد صيغ شكل واحد جامد لهذا العمل الطريف : يعلن مراسلنا الخاص م ، بصدد لجنة الاكثرية ل ، انها اساءت التصرف ازاء رفيق من الاقلية هو ر .

www.kassioun.org

ان تصير – وستصير حتماً – قوة لا تقهر ، لسبب وحيد ، هو ان اتحادها الفكري القائم على مبادئ الماركسية موطد ومرصوص بالوحدة المادية للمنظمة التي تحشد الملايين من الشغيلة في جيش الطبقة العاملة . وبوجه هذا الجيش ، لن تتمكن من الصمود لا سلطة الحكم المطلق الروسي المتداعية ، ولا سلطة الرأسمال العالمي الآخذة بالتداعي . ان هذا الجيش سيرصّ صفوفه اكثر فاكثر ، رغم جميع التعرّجات والخطوات الى الوراء ، رغم التعابير الانتهازية التي يستعملها جيروندیو الاشتراكية-الديموقراطية الحالية ، رغم المدائح المفعمة بالزهو المغدقة على الروح الحلقي المتأخر ، رغم لمعان وقرقعة فوضوية **المثقفين** .

www.kassioun.org

حادث الرفيق غوسيف – الرفيق دويتش

جوهر هذا الحادث الوثيق الارتباط باللائحة «المزوّرة» (على حد تعبير الرفيق مارتوف) المنوه بها في رسالة الرفيقين مارتوف وستاروفر ، والواردة في نص الفقـــرة «ي» ، يقوم فيما يلي . ابلغ الرفيق غوسيف الرفيق بافلوفيتش ان هذه اللائحة التي تشتمـــل على اسماء الرفاق شتين وايغوروف وتروتسكي وفومين قد احالها اليه ، هو غوسيف ، الرفيـــق دويتش (ص ١٢ من «رسالة» الرفيق بافلوفيتش) . وقد اتهم الرفيق دويتش الرفيق غوسيف بسبـــب هذا البلاغ «بالافتراء عن قصد وعمد» ، وحكمت هيئة التحكيم الرفاقية بان «بلاغ» الرفيق غوسيف «**غير صحيح**» (راجع قرار هيئـــة التحكيم في العدد ٦٢ من «الايسكرا») . وطبعت **هيئة تحرير** «الايسكرا» قرار هيئة التحكيم ، فاذا **الرفيق مارتوف** (لا هيئة التحرير هذه المرة) يصدر نشرة خاصة بعنوان «قرار هيئة التحكيـــم الرفاقية» ، يطبع فيها من جديد بالنص الكامل ، لا قرار هيئة التحكيم وحسب ، بل ايضا المحضر الكامل لمناقشات القضية ، وكذلك **ملاحظته الختامية** . وفي هذه الملاحظة الختامية ، يطلق الرفيق مارتوف ، فيما يطلق من نعوت ، نعت «مشين» عـــلى «تزوير اللائحة في مصلحة الصراع التكتلي» . وعلى هذه النشرة ، ردّ الرفيقان ليادوف وغورين ، المندوبان في المؤتمر الثاني ، بنشرة اخرى عنوانها : «شخص رابع في هيئة التحكيم الرفاقية» ، «احتجا» فيها «بحزم على الرفيق مارتوف الذي يجيز لنفســـه تجاوز قرارات هيئة التحكيم ، ناسبا الى الرفيق غوسيـــف

www.kassioun.org

دوافع سيئة» ، بينا هيئة التحكيم لم تحكم بوجود افتراء عن قصد وعمد ، بل قضت على وجه الحصر بان بلاغ الرفيق غوسيف غير صحيح . ويشرح الرفيقان غورين وليادوف بتفصيل ان بلاغ الرفيق غوسيف انما يمكن قد نجم عن خطأ طبيعي تماما ، وينعتان سلوك الرفيق مارتوف الذي ادلى شخصيا (ولا يزال يدلي في نشرته) بجملة من التصريحات الخاطئة ، ناسبا بشكل اعتباطي الى الرفيق غوسيف نوايا سيئة ، بانه سلوك «**غير لائق**» . وهما يصرّحان انه لم يكن من الممكن ان يكون ثمة سوء نية . هذه هي ، اذا لم اكن على خطأ ، كل «المراجع» حول هذه المسألة التي اعتبر من واجبي ان اسهم في ايضاحها .

بادئ الامر ، ينبغي ان يدرك القارئ بكل وضوح في اي لحظة وفي اي ظروف ظهرت هذه اللائحة (لائحة المرشحين الى اللجنة المركزية) . ان منظمة «الايسكرا» ، كما سبق ان قلت في متن الكتاب ، قد تداولت في المؤتمر بشأن لائحة المرشحين الى اللجنة المركزية ، اللائحة التي في مقدورها عرضها بصورة مشتركة على المؤتمر . وقد اسفرت المداولة عن انقسام ؛ فاغلبية منظمة «الايسكرا» تقبل اللائحة : ترافينسكي وغليبوف وفاسيلييف وبوبوف وتروتسكي ، ولكن الاقلية لا تريد التنازل ، وتصر على اللائحة : ترافينسكي وغليبوف وفومين وبوبوف وتروتسكي . وبعد الاجتماع الذي صيغت فيه هاتان اللائحتان وجرى التصويت عليهما ، كفّ قسما منظمة «الايسكرا» عن الاجتماع معا ، وشرع كل من القسمين بدعاية حرة في المؤتمر ، رغبة في تسوية الخلاف الذي يفرّق بينهما بقرار من المؤتمر بجملته ، وسعيا الى اكتساب اكبر عدد ممكن من المندوبين . وهذه الدعاية الحرة في المؤتمر كشفت على الفور هذا الواقع السياسي الذي حللته في متن الكتاب بمثل هذه التفاصيل ، واعني به : حاجة اقلية الايسكريين (وعلى رأسهم مارتوف) الى الاعتماد على «الوسط» (المستنقع) وعلى اخصام الايسكريين ، بغية ضمان النصر علينا . كان ذلك ضروريا لأن الاغلبية الساحقة من المندوبين ممن كانوا يدافعون بانسجام واطراد عن برنامج «الايسكرا» وتكتيكها وخططها التنظيمية ضد

www.kassioun.org

حملة «الوسط» واخصام الايسكريين ، قد انضمت الى جانبنا بسرعة بالغة وبكثير من الصلابة والثبات . ومن اصل المندوبين (وبالاصح ، الاصوات) الـ٣٣ الذيـن كانـوا لا ينتسبون لا الى اخصام الايسكريين ولا الى «الوسط» ، سرعان ما اكتسبنا ٢٤ وعقدنا معهم «اتفاقاً مباشراً» والّفنا معهم «اغلبية متراصة» . اما الرفيق مارتوف ، فقد بقي مع تسعة اصوات فقط ؛ ولكي يحرز الغلبة كان لا بدّ له من جميع اصوات «الوسط» واخصام الايسكريين ، هذين الفريقين اللذين كان في وسعه ان يسير برفقتهما (كما فيما يخص الفقرة الاولى من النظام الداخلي) ، و«الائتلاف» معهما ، اي الحصول على تأييدهما ، ولكنه **لم يكن في وسعه** ان يعقد اتفاقا مباشرا ، لأنه بالضبط الخاص حارب هذين الفريقين طوال مدة المؤتمر كلها ، بعنف لا يقل عن العنف الذي حاربناهما به . ذلك كان الطابع المضحـك المبكي الذي اتصف به موقف الرفيق مارتوف ! ان الرفيـق مارتوف يريد ان يقضي عليّ قضاء مبرما في كتابه «حالـة الحصار» بسؤال سامّ ، قاتل : «اننا نطلب بكل احترام مـن الرفيق لينين ان يجيب بوضوح عن السؤال التالي: فرقـة «يوجني رابوتشي» غريبة **عمن** كانت **في** المؤتمر ؟» (ص ٢٣ ، ملاحظة) . اجيب باحترام ووضوح : غريبة عن الرفيق مارتوف . البرهان : عقدت بسرعة اتفاقا مباشرا مع الايسكريين ، بينا لم يعقد الرفيق مارتوف ولم يكن في مستطاعه ان يعقد اتفاقـا مباشرا لا مع «يوجني رابوتشي» ، ولا مع الرفيق ماخوف ، ولا مع الرفيق بروكر .

بعد توضيح هذا الوضع السياسي ، بعد ذاك فقط ، يمكننا ان نفهم اين تقع «عقدة» المسألة العصيبة المتعلقـة باللائحة «المزورة» الشهيرة . تصوروا الوضع جيدا : منظمـة «الايسكرا» انشقت على نفسها ، ونحن نقوم بكل حريـة بالتحريض في المؤتمر ، مدافعين عن لائحتينـا . واثناء هذا الدفاع ، تنسق اللوائح بمئات الاشكال في زحمة مختلـف الاحاديث الخاصة ، وبدلا من فريق خماسي ، يقترح فريـق ثلاثي ، وتقترح شتى التركيبات لاحلال مرشح محل آخر .

www.kassioun.org

وهكذا ، اتذكر جيدا جدا انه اقترحت ، في احاديث خاصة للاغلبية ، ترشيحات الرفاق روسوف واوسيبوف وبافلوفيتش وديدوف ، وان هذه الترشيحات سحبت بعد مداولات ومناقشات . ومن الممكن تماما ان تكون قد ظهرت اقتراحات بترشيحات اخرى اجهلها انا . كان كل مندوب في المؤتمر يبدي برأيه في هذه الاحاديث ، ويقدم التعديلات ، ويناقش ، الخ . . وانه لفي منتهى الصعوبة ان نفترض ان الامور قد جرت على هذا النحو في قلب الاغلبية بوجه الحصر . بل انه من المؤكد ان الوضع كان مماثلا في صف الاقلية لأن فريقهم الخماسي الاولي (بوبوف ، تروتسكي ، فومين ، غليبوف ، ترافينسكي) قد استعيض عنه فيما بعد ، كما يتبين من رسالة الرفيقين مارتوف وستاروفر ، بفريق ثلاثي : غليبوف ، تروتسكي ، بوبوف . كان غليبوف لا يعجبهم ، فاستعاضوا عنه بكل طيبة خاطر بفومين (راجع نشرة الرفيقين ليادوف وغورين) . ويجب ألا ننسى اني ، في متن الكراس ، اقسم مندوبي المؤتمر الى فرق أعيّن حدودها استنادا الى تحليل اجريه post factum* : وفي الواقع ، كانت هذه الفرق بالكّد ترتسم معالمها في غمرة الدعاية الانتخابية ، فجرى تبادل الآراء بين المندوبين بكل حرية . فلا «جدار» بيننا ، كل يتحدث مع اي مندوب يشاء التحدث اليه على انفراد . فلا غرابة في هذه الظروف ، وفي زحمة شتى التركيبات واللوائح ، اذا ما انبثقت الى جانب لائحة اقلية منظمة «الايسكرا» (بوبوف ، تروتسكي ، فومين ، غليبوف ، ترافينسكي) ، لائحة لا تختلف عنها اختلافا كبيرا : بوبوف ، تروتسكي ، فومين ، شتين ، ايغوروف . ان هذه التركيبة من المرشحين طبيعية تماما لأن مرشحينا ، غليبوف وترافينسكي ، لم يكونا حقا من ذوق اقلية منظمة «الايسكرا» (راجع رسالتهم في متن الفقرة «ي» ، وفيها يحذفون ترافينسكى من الفريق الثلاثي ؛ اما فيما يخص غليبوف فيعلنون صراحة ان هذه مساومة) . ان الاستعاضة عن غليبوف وترافينسكي

---

* تعبير لاتيني معناه : بعد حدوث الفعل . **الناشر** .

www.kassioun.org

بعضوي اللجنة التنظيمية ، شتين وايغوروف ، كانت طبيعية جدا ، وقد يكون من المستغرب لو ان احدا من مندوبي اقلية الحزب لم يفكر في مثل هذه الاستعاضة .

لنبحث الآن المسألتين التاليتين : ١) عمن صدرت اللائحة : ايغوروف وشتين وبوبوف وتروتسكي وفومين ؟ و٢) لماذا غضب الرفيق مارتوف شديد الغضب لفكرة نسبة هذه اللائحة اليه ؟ لاعطاء جواب **دقيق** عن السؤال الاول ، لا بدّ من سؤال جميع المندوبين في المؤتمر . وهذا غير ممكن اليوم . وينبغي ، على الاخص ، توضيح مسألة معرفة اي من مندوبي اقلية الحزب (ويجب عدم الخلط بين هذه الاقلية واقلية منظمة «الايسكرا») سمعوا في المؤتمر بلوائح اثارت الانشقاق في «الايسكرا» ؟ اي موقف وقفوا من لائحتي اغلبية واقلية منظمة «الايسكرا» ؟ ألم يتقدموا ويسمعوا ببعض الافتراضات او الآراء بشأن التعديلات المرغوب في اجرائها على لائحة اقلية منظمة «الايسكرا» ؟ مع الاسف ، لم تطرح هذه الاسئلة ، على ما يبدو ، امام هيئة التحكيم الرفاقية ايضا التي كانت (حسبما يتبين من نص القرار) تجهل حتى بصدد اي «فرق خماسية» دب الخلاف في منظمة «الايسكرا» . فان الرفيق بيلوف مثلا (واصنفه في صف «الوسط») «قد افاد انه كان على صلة رفاقية طيبة مع دويتش الذي اطلعه على انطباعاته عن اعمال المؤتمر ، وان دويتش ، لو قام باي تحريض لهذه اللائحة او تلك ، لكان اطلع بيلوف ايضا على ذلك» . ولا يسعنا الا الاسف لأنه لم يمكن توضيح ما اذا كان الرفيق دويتش اطلع الرفيق بيلوف على انطباعاته بصدد لوائح منظمة «الايسكرا» . ففي حال الايجاب ، اي موقف وقفه الرفيق بيلوف من لائحة الخمسة التي قدمتها اقلية منظمة «الايسكرا»؟ ألم يتقدم ويسمع بتعديلات مرغوب في ادخالها على هذه اللائحة ؟ وبما ان الامر لم يوضح ، فان هذا يؤول الى تناقض في شهادتي الرفيقين بيلوف ودويتش ، تناقض سبق ان اشار اليه الرفيقان غورين وليادوف ، ومفاده ان الرفيق دويتش ، خلافا لتصريحاته ، «قد قام بدعاية في صالح هؤلاء ام اولئك من المرشحينَ الى اللجنة المركزية» ، ممن

www.kassioun.org

اقترحتهم منظمة «الايسكرا» . ثم يشهد الرفيق بيلوف «انه علم بوجود لائحة تتداولها الايدي في المؤتمر ، بصورة غير رسمية ، قبل اختتام المؤتمر بيومين تقريبا ، لدن لقاء مع الرفيقين ايغوروف وبوبوف ومندوبي لجنـــة خاركوف . وقد اعرب ايغوروف عن دهشته لرؤية اسمـــه واردا عـلى لائحة المرشحين الى اللجنة المركزية ، لأن ترشيحه ، برأيه هو ايغوروف ، لم يكن بامكانه ان يلقى العطف بين مندوبي المؤتمر ، سواء في صف الاغلبية ام في صف الاقلية» .ومع بالغ الدلالة ان المقصود هنا ، بلا ريب ، اقلية **منظمة «الايسكرا»** ، لأن ترشيح الرفيق ايغوروف ، عضو اللجنة التنظيمية والخطيب الفذ في «الوسط» ، لم يكن بامكانه وحسب بل كان لا بدّ له ايضا ، حسب كل احتمال ، ان يلقى العطف بين بقية اقلية مؤتمر الحزب . ومع الاسف ، لا يفيدنا الرفيق بيلوف شيئا على الاطلاق فيما يخص عطف او عدم عطف اعضاء اقلية الحزب ممن كانوا لا ينتسبون الى منظمة «الايسكرا» . والحال ، ان هذه المسألة بالذات هي مسألة هامة لأن الرفيق دويتش قد غضب اذ رأى هذه اللائحة تنسب الى اقلية «الايسكرا» ، وكان من الممكن ان تصدر هذه اللائحة عن الاقلية التي لا تنتسب الى هذه المنظمة !

بديهي انه من الصعب جدا ان نتذكر الآن من ذا الذي كان اول من صاغ فرضية مثل هذه التركيبة من المرشحين ، ومن فم من اخذها كل منا . وفيما يخصني ، لن آخذ على عاتقي ان اتذكر ذلك ، بل ولن آخذ ايضا على عاتقي ان اتذكر اي عضو من اعضاء الاغلبيـــة كان اول من اقترح ترشيحات روسوف وديدوف وغيرهما ، التي اشرت اليها انا : فمن كثرة الاحاديث ، والفرضيات ، والاشاعات بصدد مختلف تركيبات المرشحين ، لم تحفظ ذاكرتي الا ذكرى «لوائح» طرحت مباشرة على التصويت في منظمة «الايسكرا» او في الاجتماعات الخاصة التي عقدتها الاغلبية . وكانت هذه «اللوائح» في معظم الوقت تنقل شفويا (في «رسالتي» الى هيئة تحرير «الايسكرا» ، ص ٤ ، السطر الخامس من اسفل ، اسمي «لائحة» تلك التركيبة التي اقترحتها شفويـــا في الاجتماع ، وكانت تتألف من خمســـة

www.kassioun.org

مرشحين) ، ولكنها كانت تكتب ايضا غالبا جدا على اوراق صغيرة كانت تنتقل ، بوجه عام ، من مندوب الى آخر اثناء جلسات المؤتمر ، وتمزّق عادة ، بعد الجلسة .

وبما انه لا توجد معطيات دقيقة حول مصدر اللائحة الشهيرة ، فلا يبقى غير الافتراض ان مندوبا من اقلية الحزب ، تجهله اقلية منظمة «الايسكرا» ، قد ايد تركيبة المرشحين التي نجدها في اللائحة ، وان هذه التركيبة انتقلت الى الجميع في المؤتمر ، خطيا وشفويا ؛ واما ان عضوا من اعضاء اقلية منظمة «الايسكرا» اعرب في المؤتمر عن تأييده لهذه التركيبة ، ثم نسي ذلك فيما بعد . الفرضية الثانية تبدو لي اكثر احتمالا ، واليكم السبب : **لا ريب ابدا** في ان ترشيح الرفيق شتين قد حظي في المؤتمر بالذات بعطف اقلية منظمة «الايسكرا» (راجع متن كراسي) ؛ اما فيما يخص ترشيح الرفيق ايغوروف ، **فلا ريب** ان **هذه** الاقلية قد قبلت فكرته بعد المؤتمر (اذ اننا نجد في مؤتمر العصبة كما في «حالة الحصار» الاعراب عن الاسف لعدم تثبيت اللجنة التنظيمية لجنة مركزية ؛ والواقع ان الرفيق ايغوروف كان عضوا في اللجنة التنظيمية) . أليس من الطبيعي الافتراض ان هذه الفكرة التي كانت تقول بتحويل اعضاء اللجنة التنظيمية اعضاء للجنة المركزية – والتي كانت ، بالطبع ، طافية في الجو انما صاغها احد اعضاء الاقلية في حديث خاص وفي مؤتمر الحزب ايضا ؟

غير ان الرفيق مارتوف والرفيق دويتش لا يميلان الى تفسير الامر تفسيرا طبيعيا ، بل يميلان الى ان يريا فيه بالضرورة ضربا من **الخساسة** ، مقلبا مركبا ، شيئا ما غير شريف وترويجا «لاشاعات **بينة** الكذب **قصد** الاساءة الى السمعة» ، ونوعا من **التزوير في صالح الصراع التكتلي**» ، الخ . . ان هذا الميل المَرَضي لا يمكن تفسيره إلا بشروط حياة الهجرة غير السليمة او بحالة الاعصاب غير الطبيعية ، واني لما كنت حتى توقفت عند هذه المسألة ، لو ان الامور لم تبلغ حد المساس بصورة شائنة بشرف رفيق من الرفاق . فكروا فقط ؛ اية اسباب كان في وسعها ان تدفع الرفيقين

www.kassioun.org

دويتش ومارتوف الى ايجاد نية سيئة وقذرة في بلاغ خاطئ ، في اشاعة خاطئة ؟ ان خيالهما المريض قد رسم لهما ، بلا ريب ، لوحة يبدو فيها ان الاغلبية «تسيء الى سمعتهما» ، لا بالاشارة الى خطأ الاقلية السياسي (الفقرة الاولى والائتلاف مع الانتهازيين) ، بل بنسبة لوائح «بيّنة الخطأ» ، «مزوّرة» الى الاقلية . لقد كانت الاقلية تفضّل تفسير الامور ، لا بخطئها بالذات ، بل باساليب خسيسة ، غير شريفة ، مهينة ، تلجأ اليها الاغلبية ! اما على اي قدر من الخراقة ينطوي السعي لايجاد نية سيئة في «بلاغ غير صحيح» ، فهذا ما بيّناه اعلاه حين عرضنا الوضع ؛ وهذا ما ادركته ايضا هيئة التحكيم الرفاقية بكل وضوح : اذ انها لم تتبين اي افتراء ولا اي شيء من سوء النية ، ولا اي شيء مشين . وهذا ما يثبته اخيرا ، باشد الوضوح ، كون اقلية منظمة «الايسكرا» قد تفاهمت مع الاغلبية بصدد الاشاعة الخاطئة ، في مؤتمر الحزب بالذات ، قبل الانتخابات ، بينا الرفيق مارتوف قد شرح موقفه بنفسه حتى في رسالة تليت في اجتماع لجميع اعضاء الاغلبية الاربعة والعشرين ! وهذه الاغلبية لم تفكر حتى في ان تخفي عن اقلية منظمة «الايسكرا» ان لائحة كهذه قيد التداول في المؤتمر : فقد ابلغ الرفيق لينسكي الرفيق دويتش بهذا الواقع (راجع قرار هيئة التحكيم) ؛ واطلع الرفيق بليخانوف الرفيقة زاسوليتش عليه («يستحيل الكلام معها ، فلا ريب انها تحسبني تريبوف» (٤٩) ، هكذا قال لي الرفيق بليخانوف ، وهذه النكتة التي ترددت مرارا عديدة تفصح مرة اخرى عن انفعال الاقلية غير الطبيعي) ؛ وقد اعلنت للرفيق مارتوف ان تصريحاته (بان هذه اللائحة ليست له هو مارتوف) كافية لي (محاضر العصبة ، ص ٦٤) . واذا بالرفيق مارتوف (مع الرفيق ستاروفر ، كما اذكر) يرسل لنا آنذاك الى المكتب ورقة محتواها هو التالي تقريبا : «ان اغلبية هيئة تحرير «الايسكرا» تطلب قبوله في اجتماع الاغلبية الخاص لتكذيب الاشاعات المهينة المروجة ضده» . ونجيب بليخانوف وانا على هذه الورقة نفسها : «لم نسمع اي اشاعة مهينة . فاذا كان لا بد من جمع هيئة التحرير ،

www.kassioun.org

ترتب التفاهم بهذا الصدد على حدة . لينين . بليخانوف» . وفي المساء ، عند حضورنا اجتماع الاغلبية ، نطلع جميع المندوبين الـ٢٤ على الامر . وتحاشيا لكل سوء تفاهم محتمل ، تقرر ان نختار معا مندوبين من جميعنا الـ٢٤ ونرسلهم للتفاهم مع الرفيقين مارتوف وستاروفر . المندوبان المنتخبان ، الرفيق سوروكين والرفيقة سابلينا ، يذهبان ويوضحان ان احدا لم ينسب بوجه خاص اللائحة الى مارتوف او الى ستاروفر ، ولا سيما بعد تصريحهما ، وانه لا تهم معرفة ما اذا كانت هذه اللائحة قد صدرت ، بهذا الشكل او بآخر ، عن اقلية منظمة «الايسكرا» او عن اقلية المؤتمر التي لا تنتسب الى هذه المنظمة . وبالفعل ، لم يكن المقصود في كل حال فتح تحقيق في المؤتمر ! ولا استجواب جميع المندوبين بصدد هذه اللائحة ! ولكن الرفيقين مارتوف وستاروفر وجها لنا ايضا ، علاوة على ذلك ، رسالة مرفقة بتكذيب صريح (راجع الفقرة «ي») . فتلا مندوبانا ، الرفيق سوروكين والرفيقة سابلينا ، هذه الرسالة في اجتماع الـ٢٤ . لقد كان بالامكان الظن ان الحادث اعتبر منتهيا ، — لا بمعنى الابحاث حول مصدر اللائحة (اذا كان في وسع ذلك ان يهم احدا) ، ولكن بمعنى القضاء التام على كل فكرة تتضمن اية نية «للاساءة الى الاقلية» او «النيل من سمعة» اي من الناس ، او استغلال اي «تزوير في صالح الصراع التكتلي» . ولكن الرفيق مارتوف يطلع علينا في العصبة ، (ص ٦٣—٦٤) مرة اخرى بهذه الخساسة التي ولدها بالآلام خيال مريض ، ويدلي بجملة من **البلاغات غير الصحيحة** (واغلب الظن ، بسبب من انفعاله) . وقد قال ان اللائحة كانت تتضمن بونديا . هذا خطأ . فان جميع الشهود في هيئة التحكيم الرفاقية ، بمن فيهم الرفيقان شتين وبيلوف ، يؤكدون ان الرفيق ايغوروف هو الذي ورد على اللائحة . وقال الرفيق مارتوف ان اللائحة كانت تعني الائتلاف بمعنى الاتفاق المباشر . هذا خطأ ، كما اوضحت سابقا . وقال الرفيق مارتوف انه «حتى لم تزوّر» لوائح اخرى صادرة عن اقلية منظمة «الايسكرا» (وقادرة على صرف اغلبية المؤتمر عن هذه الاقلية) . هذا

www.kassioun.org

خطأ ، لأن كل اغلبيةّ مؤتمر الحزب كانت تعرف على الاقل ثلاث لوائح صدرت عن الرفيق مارتوف وشركاه ولم تحظ باستحسان الاغلبية (راجع نشرة لياداوف وغورين) .

وبوجه عام ، لماذا اثارت هذه اللائحة غضب الرفيق مارتوف الى هذا الحد ؟ لأنها كانت تسجل انعطافا نحو الجناح اليميني في الحزب . لقد رفع الرفيق مارتوف الصوت عاليا آنذاك ضد «الاتهام الباطل بالانتهازية» ؛ واشتعل غضبا ضد «الوصف الكاذب لموقفه السياسي» ، والآن يدرك الجميع وكل فرد ان المسألة المتعلقة بنسبة اللائحة المعروفة الى الرفيق مارتوف والرفيق دويتش لم يكن في وسعها ان تضطلع باي دور سياسي ؛ وان الاتهام لم يكن باطلا ، بل صحيحا ، **من حيث الاساس ، وبصرف النظر عن هذه اللائحة او اي لائحة اخرى** ، وان وصف الموقف السياسي كان صحيحاً تماما .

اما رصيد هذه القضية المضنية ، التي ولدت بالآلام ، والتي تتعلق باللائحة المزورة السيئة الذكر ، فهو التالي :

١) ان مساس الرفيق مارتوف بشرف الرفيق غوسيف ، بزعيقه ضد «التزوير المخزي للائحـــة في صالح الصراع التكتلي» لا يمكن إلا نعته ، كما يفعـــل الرفيقان غورين وليادوف ، بانه عمل غير لائق .

٢) رغبة في تنقية الجو وتحرير اعضاء الحزب من واجب اخذ شتى انواع التصرفات المَرَضية على محمل الجدّ ، قد يترتب اقرار قاعدة في المؤتمر الثالث نص عليها النظام الداخلـــي التنظيمي لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالماني . فان الفقرة الثانية من هذا النظام الداخلي تنص على ما يلي : «لا يمكن ان ينتسب الى الحزب من اقترف مخالفة فظة لمبادئ برنامج الحزب او عملا غير شريف . ان مسألة انتسابه اللاحق الى الحزب تقررها هيئة تحكيم رفاقية تجمعها ادارة الحزب . نصف اعضاء هيئة التحكيم يعينهم ذاك الذي يقترح الفصل ؛ والنصف الثاني ، ذاك الذي يراد فصله ؛ والرئيس تعينـــه ادارة الحزب . يمكن استئناف قرار هيئة التحكيم الرفاقية امام لجنة المراقبة او امام مؤتمر الحزب» . ان قاعدة كهذه يمكن

www.kassioun.org

ان تكون اداة ممتازة للنضال ضد جميع اولئك الذين يطلقون بخفـــة اتهامات بانعدام الشرف (او يروجون اشاعات بهذا الصدد) . ومع مثل هذه القاعدة ، توصف جميع هذه الاتهامات مرة واحدة واخيرة بانها نميمة مشينة الى ان يجد اولئك الذين يتهمون القدر الكافي من الشجاعة المعنوية للظهور **امام الحزب** بدور المتهمين وللعمل من اجل الحصول على قرار من الهيئة الحزبية الصالحة .

كتب في شباط ـ ايـــار (فبراير ـ مايو) ١٩٠٤ .
صدر في كتـــاب على حدة في ايار (مايـــو) ١٩٠٤
في جينيف

www.kassioun.org

ملاحظات

١ ــ **«الايسكرا»** («الشرارة») ــ اول جريدة ماركسية سرية لعموم روسيا . اسسها لينين في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٠ في الخارج . وكانت ترسل سراً الى روسيا . اضطلعت بدور هائل في رص صفوف الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الميدان الفكري ، وفي تحضير توحيد المنظمات المحلية المبعثرة في حزب ماركسي ثوري . بعد انقسام حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا الى بلاشفة ومناشفة في المؤتمر الثاني للحزب عام ١٩٠٣ ، انتقلت «الايسكرا» الى ايدى المناشفة (ابتداء من العدد ٥٢) فأسميت مذ ذاك «الايسكرا» **الجديدة** خلافاً لـ«لايسكرا» **القديمة** اللينينية . ــ ص ٣ .

٢ ــ **«براكتيك»** («العملي») (بانين) ــ اسم مستعار للمنشفي ماكادزيوب . ــ ص ٧ .

٣ ــ **المجلس العام لسنة ١٩٠٢** ــ المجلس العام (كونفرنس) لممثلي اللجان والمنظمات لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (ح ع ادر) انعقد في مدينة بيلوستوك من ٢٣ الى ٢٨ آذار (مارس) (٥ ــ ١٠ نيسان ــ ابريل) ١٩٠٢ . كان في نية «الاقتصاديين» ومؤيديهم البوندييين ان يجعلوا من المجلس العام المؤتمر الثاني لح ع ادر ، أملاً في ان يعززوا بهذا النحو وضعهم في صفوف الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وان يشلوا نفوذ «الايسكرا» المتعاظم . ولكن هذه المحاولة لم تفلح سواء بسبب القلة النسبية للمشتركين في المجلس العام (لم يشترك فيه غير اربع منظمات

www.kassioun.org

من المنظمات الحزبية العاملة في روسيا) ام بسبب الخلافات المبدئية العميقة التي ظهرت فيه : فقد ادلى ، مثلاً ، مندوب «الايسكرا» باعتراضات شديدة على تحويل المجلس العام الى مؤتمر حزبي مثبتاً عدم صلاحية وعدم تحضير مؤتمر كهذا . وقد انتخب المجلس العام لجنة تنظيميـــة لتحضير مؤتمر الحزب الثاني . بعد ارفضاض المجلس العام بوقت قصير ، اعتقل البوليس اغلبية مندوبيه بمن فيهم عضوان مـــن اللجنـــة التنظيمية . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢ ، انشئت في بسكوف لجنة تنظيمية جديدة لتحضير المؤتمر الثانـــي اجعادر ، وذلك اثناء مداولة ممثلي لجنة بطرسبورغ اجعادر ومنظمة «الايسكرا» في روسيا وفرقة «يوجني رابوتشي» .- ص ٨ .

٤ - **البوند** («الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيـــا وروسيا») . تشكل سنة ١٨٩٧ في المؤتمر التاسيسي الذي عقدته في مدينة فيلنو الجماعات الاشتراكية-الديموقراطيـــة اليهودية . كان الاتحاد يضم عـــلى الاغلب العناصر شبـــــه البروليتارية من الحرفيين اليهود في المقاطعات الغربية مـــن روسيا . في المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٨٩٨) ، انضم البوند الى الحزب بوصفه منظمة ذات ادارة ذاتية لا يعدو استقلالها القضايا التي تمس البروليتاريا اليهودية بصورة خاصة .

كان البوند حاملا للنزعة القومية والانفصالية في حركة العمال في روسيا .

بعد ان رفض المؤتمر الثاني اجعادر مطلب البوند بالاعتراف به الممثل الوحيد للبروليتاريا اليهودية ، انسحب البوند من الحزب . وفي سنة ١٩٠٦ ، انضم البوند مرة اخرى الى الحزب على اساس قرارات المؤتمر الرابع (التوحيدي) .

في داخل حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا كان البونديون يؤيدون على الدوام الجناح الانتهازى في الحزب

www.kassioun.org

(«الاقتصاديين» ، المناشفة ، التصفويين) ويناضلون ضد البلاشفة والبلشفية . — ص ١٠ .

٥ — «**رابوتشييه ديلو**» — مجلة «الاقتصاديين» ، لسان حال «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» ؛ صدرت بصورة غير دورية في جينيف من نيسان (ابريل) ١٨٩٩ الى شباط (فبراير) ١٩٠٢ ، وصدر منها ١٢ عدداً (٩ مجلدات) . ايدت المجلة الشعار البرنشتيني القائل «بحرية انتقاد» الماركسية ، ووقفت مواقف انتهازية في مسائل تكتيك الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ومهامها التنظيمية ، وانكرت امكانيات الفلاحين الثورية ، وما الى ذلك . روجت المجلة الافكار الانتهازية القائلة باخضاع نضال البروليتاريا السياسي للنضال الاقتصادي ، ودعت الى الخضوع لعفوية الحركة العماليـــــة ، وانكرت دور الحزب القيادى . وفي المؤتمـــر الثاني لحزب العمال الاشتراكـــــي-الديموقراطي في روسيا ، مثل انصار «رابوتشيـــه ديلو» اقصى الجناح اليميني الانتهازى في الحزب . — ص ١٠ .

٦ — **فرقة «يوجني رابوتشي»** — فرقة اشتراكية-ديموقراطية تشكلت نحو خريف ١٩٠٠ في جنوب روسيا حول جريدة كانت تصدر سراً بالاسم نفسه . — ص ١٠ .

٧ — «**عصبة الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الروسية في الخارج**» . تاسست بمبادرة لينين في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠١ وكانت فرعاً لمنظمة «الايسكرا» في الخارج . دعمت العصبة الجريدة مادياً ، ونظمت ايصال الجريدة الى روسيا واصدرت المطبوعات الماركسية بلغة مبسطة مستساغة . اقر المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا العصبة بوصفها منظمة الحزب الوحيدة في الخارج وخولها حقوق لجنة ، والزمها بالعمل تحت قيادة واشراف اللجنة المركزية احزادر .

بعد المؤتمر الثاني احزادر ، وطد المناشفة مواقعهم في «العصبة في الخارج» وناضلوا ضد لينين وضد البلاشفة . دامت العصبة حتى عام ١٩٠٥ . — ص ١٠ .

www.kassioun.org

٨ ـ **فرقة «بوربا»** (« النضال ») ـ تشكلت في باريس في صيف ١٩٠٠ من ريازانوف وستيكلوف وغوريفيتش . شوهت فرقة « بوربا » النظرية الثورية الماركسية . وقد فسرتها بروح عقائدية جامدة كلامية ، ووقفت موقفاً عدائياً من المبادئ التنظيمية اللينينية لبناء الحزب . منعت من الاشتراك في المؤتمر الثاني نظراً لابتعادها عن المفاهيم الاشتراكية ـ الديموقراطية والتكتيك الاشتراكي ـ الديموقراطي ، ولاعمالها التشويشية وانعدام الصلة مع المنظمات الاشتراكية ـ الديموقراطية في روسيا . وقد حلت فرقة « بوربا » بموجب قرار من المؤتمر الثاني . ـ ص ١٦ .

٩ ـ **«رابوتشايا ميسل»** ـ فرقة من « الاقتصاديين » . اصدرت جريدة بالاسم نفسه . ابتداء من تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٧ حتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٢ صدر منها ١٦ عدداً .

روجت فرقة « رابوتشايا ميسل » افكاراً انتهازية مكشوفة ، وعارضت قيام الطبقة العاملة بالنضال السياسي ، وحصرت مهام الطبقة العاملة في « المصالح الآنية » والمطالبة باصلاحات جزئية ذات طابع اقتصادى بصورة رئيسية . نادى ممثلو « رابوتشايا ميسل » بعفوية الحركة العمالية ، وعارضوا تكوين حزب مستقل للبروليتاريا . وقللوا من شان النظرية الثورية ، وعنصر الوعي ، وزعموا ان الايديولوجية الاشتراكية تستطيع ان تنبثق من الحركة العفوية . ـ ص ٢٥ .

١٠ ـ نشرت هيئة تحرير « الايسكرا » المنشقية في ملحق العدد ٥٧ من « الايسكرا » الصادر في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ مقالاً بقلم « الاقتصادي » السابق مارتينوف ، وقف فيه ضد المبادئ التنظيمية البلشفية ووجه المطاعن الى لينين . ونشرت هيئة تحرير « الايسكرا » ملاحظة حول مقال مارتينوف ضمنتها تحفظاً شكلياً بصدد عدم موافقتها على بعض افكار مارتينوف واستصوبت المقال بالاجمال ووافقت على موضوعاته الاساسية . ـ ص ٢٧ .

١١ ـ **«اوتريزكي» او «الاراضي المقتطعة»** ـ الاراضي التي اقتطعت في صالح الملاكين العقاريين من املاك الفلاحين ، لدن الغاء القنانة

www.kassioun.org

في روسيا سنة ١٨٦١ . وقد اضطر الفلاحون الى استئجار هذه الاراضي من الملاكين العقاريين بشروط جائرة . — ص ٣٧ .

١٢ — **التقسيم الاسود** — احد الشعارات الشعبية بين الفلاحين في روسيا القيصرية ؛ وكان يعبر عن طموح الفلاحين الى اعادة تقسيم جميع الاراضي . — ص ٣٨ .

١٣ — **بومبادورى** — صورة هجائية معممة ابدعها الكاتب الهجّاء الروسي سالتيكوف-شدرين في مؤلفه «بومبادوريون وبومبادوريات» ؛ وفي هذه القصة سخر الكاتب من اصحاب المقامات الرفيعة في الادارة القيصرية ، من الوزراء والمحافظين . — ص ٥٨ .

١٤ — **«زيمليا اي فوليا»** («الارض والحرية») — تشكلت منظمة الشعبيين الثورية «زيمليا اي فوليا» في خريف ١٨٧٦ في بطرسبورغ . لم تعدل المنظمة عن الاشتراكية بوصفها الهدف النهائي ، ولكنها اعتبرت ان الهدف الاقرب هو تحقيق «مطالب الشعب كما هي عليه في اللحظة الراهنة» ، اي مطالب «الارض والحرية» . وعلى غرار الشعبيين الآخرين انكر انصار «زيمليا اي فوليا» («الزيمليفوليون») دور الطبقة العاملة الطليعي . ولم يدركوا اهمية النضال السياسي ، وكانوا يرون انه يلهي قوى الثوريين ويضعف صلاتهم بالشعب .

من جراء اخفاق التحريض الاشتراكي بين الفلاحين واشتداد اعمال القمع من جانب الحكومة ، شرع الزيمليفوليون ، نحو عام ١٨٧٩ ، يميلون باغلبيتهم الى الارهاب السياسي بوصفه الطريقة الاساسية للنضال من اجل تحقيق برنامجهم . وقد افضت الخلافات بين انصار التكتيك القديم (وعلى رأسهم بليخانوف) وانصار الارهاب (اندري جيليابوف وغيره) الى انشقاق «زيمليا اي فوليا» في عام ١٨٧٩ الى منظمتين مستقلتين هما «تشورني بيريديل» («التقسيم الاسود») و«نارودنايا فوليا» («ارادة الشعب») . — ص ٦٠ .

www.kassioun.org

١٥ ـ **«نارودنايا فوليا»** («ارادة الشعب») ـ منظمة سياسية سرية اسسها الشعبيون الارهابيون في آب (اغسطس) ١٨٧٩ . بقي انصار «نارودنايا فوليا» («النارودوفوليون») على مواقف الاشتراكية الطوباوية الشعبية ، ولكنهم مع ذلك سلكوا طريق النضال السياسي ورأوا المهمة الاولى في اسقاط الحكم الملطق واكتساب الحرية السياسية . كان برنامجهم ينص على تنظيم «تمثيل شعبي دائم» منتخب بموجب الحق الانتخابي العام ، وعلى اعلان الحريات الديموقراطية وتسليم الارض للشعب ، واتخاذ التدابير لانتقال المصانع والمعامل الى ايدي العمال .

ناضل «النارودوفوليون» ضد الحكم المطلق القيصري ببسالة . ولكنهم ، لانطلاقهم من نظرية مغلوطة تقول بابطال «ذوي فعالية» وجموع «هامدة» ، عقدوا آمالهم على تغيير المجتمع بقواهم الخاصة ، بدون مشاركة الشعب ، عن طريق الارهاب الفردى وارعاب الحكومة واحلال الفوضى في صفوفها . بعد اول آذار (مارس) ١٨٨١ (اي بعد اغتيال القيصر الكسندر الثاني) ، حطمت الحكومة منظمة «نارودنايا فوليا» بالملاحقات الفظيعة والاعدامات والاستفزازات .ـ ص ٦٠ .

١٦ ـ **المانيلوفية** ، نسبة الى الملاك العقاري مانيلوف وهو شخصية من رواية غوغول «النفوس الميتة» ـ رمز العاطفية المعسولة ، والخيال الذي لا اساس له ، والتفاهة اللامبدئية .ـ ص ٦٣ .

١٧ ـ يشار الى حادث وقع في هامبورغ سنة ١٩٠٠ من جراء سلوك فريق من ١٢٢ حجاراً شكلوا «نقابة الحجارين الحرة» ومارسوا عملهم بالقطعة اثناء الاضراب رغم منع الاتحاد المركزي . طرح فرع هامبورغ لاتحاد الحجارين مسألة سلوك الاشتراكيين-الديموقراطيين اعضاء الفريق بوصفهم كاسري الاضراب ، امام المنظمات الحزبية المحلية ، فرفعتها هذه بدورها الى اللجنة المركزية للاشتراكية الديموقراطية الالمانية . عينت اللجنة المركزية هيئة تحكيمية ، فشجبت هذه سلوك الاشتراكيين-الديموقراطيين اعضاء «نقابة الحجارين الحرة» ولكنها رفضت اقتراحاً بطردهم من الحزب .ـ ص ٦٧ .

www.kassioun.org

١٨ ـ في مشروع قرار زبوروفسكي (كوستيتش) الذي رده المؤتمر ، اقترحت الصيغة التالية للفقرة الاولى من نظام الحزب الداخلي : «كل من يعترف ببرنامج الحزب ويقدم للحزب العون المادي ويساعد الحزب بنشاطه المنتظم الشخصي تحت قيادة منظمة من المنظمات الحزبية ، تعتبره هذه المنظمـــة عضواً في الحزب» . ـ ص ٧١ .

١٩ ـ حضر المؤتمر الثاني لجع‌ادر ١٦ من اعضاء منظمة «الايسكرا» ، بينهم ٩ من انصار الاغلبية وعلى رأسهم لينين . ـ ص ٨٤ .

٢٠ ـ **ايفان ايفانوفيتش وايفان نيكيفوروفيتش** ـ شخصان من مؤلف غوغول «قصة المشاجـــــرة بين ايفان ايفانوفيتش وايفان نيكيفوروفيتش» . ـ ص ٨٦ .

٢١ ـ مؤتمر الاشتراكية‌الديموقراطية الالمانيـــــة سنـــة ١٨٩٥ انعقد في بريسلاو من ٦ الى ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) . وقد وجه المؤتمر جلّ اهتمامه لبحث مشروع البرنامج الزراعي الذى تقدمت به لجنة زراعية تشكلت بناء على قرار مؤتمر فرانكفورت المنعقد عام ١٨٩٤ . تضمن مشروع البرنامج الزراعي اخطاء خطيرة وتجلى فيه ، فيما تجلى ، الميـــل الى تحويل الحزب البروليتاري الى حزب «للشعب بأسره» . عدا الانتهازيين دافع عن المشروع اوغست بيبل وولهلم ليبكنخت ، فندد بموقفهما هذا رفاقهما بالحزب في مؤتمر عام ١٨٩٥ . ـ ص ٩١ .

٢٢ ـ هذه الكلمات لمرغريتا في مأساة غوته «فاوست» (مرغريتا تلوم فاوست على صداقته مع ميفيستوفيليس) ، اوردتها كلارا تسيتكين عن ظهر قلب في خطابها امام مؤتمر الاشتراكية‌الديموقراطية الالمانية . ـ ص ٩٣ .

٢٣ ـ **اراكتشييف أ** . ـ سياسي رجعي في روسيا القيصرية في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر . باسم اراكتشييف يقترن عهد كامل من الاستبداد البوليسي الذي لا حدّ له ومن تعسف الطغمة العسكرية الفظ («الاراكتشييفية») . ـ ص ٩٩ .

www.kassioun.org

٢٤ ـ «**اوسفوبوجدينييه**» ـ مجلة نصف شهرية للبرجوازية الملكيـــة الليبيرالية . صدرت في الخارج من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٥ باشراف ستروفه . فيما بعد ، شكل انصار «اوسفوبوجدينييه» نواة الحزب البرجوازي الرئيسي في روسيا ، حزب الكاديت . ـ ص ١٤٢ .

٢٥ ـ يقصد لينين خطاب «الاقتصادي» اكيموف في المؤتمر الثانـــي لاتحادر . انتقد اكيموف مشروع برنامج الحزب الذي تقدمت به «الايسكرا» ، واحتج على وضـــع كلمة «البروليتاريا» في البرنامج ، لا في حالة الفاعـــل ، بل في حالة المضاف . وفي ذلك ، كما زعم اكيموف ، تجلى الميل الى عزل الحزب عن مصالح البروليتاريا . ـ ص ١٤٦ .

٢٦ ـ ينعت لينين «**بالجيروند الاشتراكية**» التيـــار الانتهازي في الاشتراكية ـ الديموقراطية . وينعت «باليعقوبيين البروليتاريين ، و«الجبل» الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الثوريين . ـ ص ١٥٧ .

٢٧ ـ كانت **لجنة فورونيج** و«**المنظمة العمالية**» **في بطرسبورغ** في ايدي «الاقتصاديين» ؛ وقد وقفتا موقفاً عدائياً من «الايسكرا» اللينينية وخطتها التنظيمية لتأسيس حزب ماركسي . ـ ص ١٥٩ .

٢٨ ـ «عضو اللجنة المركزية» هو لينغنيـــك الذي وصل الى جينيف مـــن روسيا في ايلول (سبتمبر) ١٩٠٣ . ـ ص ١٦٨ .

٢٩ ـ «**زاريا**» («الفجر») ـ مجلة ماركسية سياسية علميـــة كانت تصدرها في شتوتغارت هيئة تحرير جريدة «الايسكرا» في سنتي ١٩٠١ و١٩٠٢ . ـ ص ١٦٩ .

٣٠ ـ المقصود ، حسب كـــل احتمال ، ضاحيتي جينيف Carouge (كاروج) و Cluse (كلوز) حيث كان يسكن انصار الاغلبيـــة وانصار والاقلية . ـ ص ١٨٧ .

٣١ ـ **سوباكيفيتش** ـ احدى شخصيات روايـــة غوغـــول «النفوس الميتة» . ـ ص ١٨٨ .

www.kassioun.org

٣٢ ـ **اورتودوكس** ـ اسم مستعار للمنشفية اكسلرود . ـ ص ١٨٩ .

٣٣ ـ **بازاروف** ـ الشخصية الرئيسية في روايـــة تورغينيف «الآباء والبنون» . ـ ص ١٩١ .

٣٤ ـ **«روسيا الثورية»** («ريفولوتسيونايا روسيا») ـ جريدة سرية للاشتراكيين-الثوريين اصدرها في روسيا منذ اواخر عام ١٩٠٠ «اتحاد الاشتراكيين-الثوريين» . منذ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٢ الى كانـــون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ ، صدرت في الخارج (جينيف) بوصفها الجريدة الرسمية لحزب الاشتراكيين-الثوريين . ـ ص ١٩٢ .

٣٥ ـ في العدد ٥٣ من «الايسكرا» الصادر في ٢٥ تشرين الثانـــي (نوفمبر) ١٩٠٣ ، نشر في وقت واحد مع مقالة لينين «رسالة الى هيئة تحرير «الايسكرا»» جواب هيئة التحرير الذى كتبه بليخانوف . وقد اقترح لينين في رسالته ان تبحث على صفحات الجريدة الخلافات المبدئيـــة بين البلاشفة والمناشفـــة . اجاب بليخانوف بالرفض واصفاً هذه الخلافات بانها «مماحكات حياة الحلقات» . ـ ص ١٩٢ .

٣٦ ـ في ١٢ (٢٥) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٣ صدر **انذار اللجنة المركزية** الموجه الى المناشفة . وقبل ذاك ، وجه لينين في ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) (٤ تشرين الثاني) ١٩٠٣ الى اللجنـــة المركزية رسالة اقترح فيهـــا التقدم من المناشفة بالشروط التالية : ١ ـ ضم ثلاثة من المحررين السابقين الى هيئـــة تحرير لسان الحال المركزي ؛ ٢ ـ اعادة الوضع السابق في العصبة في الخارج ؛ ٣ ـ منح المناشفة صوتاً واحداً في مجلس الحزب . هذه الشروط الاولية لم يدعمها قسم اللجنة المركزيـــة الميال الى المصالحة . وفي الرسالة ذاتها رسم لينين النقاط الاساسية من الانذار واقترح المصادقة عليها ولكن دون ابلاغها الى المناشفة حتى اشعار آخر ؛ وهذه النقاط هي التنازلات العملية التي كان يمكن للجنة المركزية ان تقدم عليها في صالح المناشفة :

www.kassioun.org

١ ــ ضم اربعة من المحررين السابقين الى هيئة تحريـــــر «الايسكرا» ؛ ٢ ــ ضم عضوين من المعارضة الى اللجنة المركزية حسب اختيار اللجنة المركزية ؛ ٣ ــ اعادة الوضع السابق في العصبة في الخارج ؛ ٤ ــ منح المناشفة صوتاً واحداً في مجلس الحزب . وقد اشار لينين : «الحرب الى النهاية في حالة عدم قبول الانذار . شرط اضافي : ٥ ــ وقف جميع المحاكمات والمناقرات والاقاويل بصدد المماحكة التي حدثت في مؤتمر الحزب وبعده» . (المؤلفات . الطبعة الرابعة . المجلد ٣٤ ، ص ١٥٨) . وقـد دخلت اقتراحات لينين هذه (باستثناء الشرط الاضافي) في متن انذار اللجنة المركزية بتاريخ ١٢(٢٥) تشرين الثاني ولكـــن اعضاء اللجنة المركزية الميالين الى التوفيق خففوا من حدّتهـــا بعض الشيء .

بيد ان المناشفة ، وقد اسدى اليهم بليخانوف مساعدة كبيرة بضمه في اليوم التالي لهذا الانذار جميـــع المحررين السابقين الى هيئة تحرير لسان الحال المركزي ، رفضوا انذار اللجنة المركزية وسلكوا سبيل الحرب السافرة ضد اغلبيـــة الحزب ــ ص ١٩٤ .

٣٧ ــ «**ايغريك**» ــ اسم مستعار لهالبيرين ، الذي انتدبته هيئة تحرير لسان الحال المركزي الى مجلس الحزب ، ثم ضموه الى اللجنـــة المركزية . وقف موقفاً توفيقياً . ــ ص ١٩٥ .

٣٨ ــ التكتيك «**الاستيزاري**» ، «**الاستيزارية**» او «الاشتراكيـــة المستوزرة «او «الاشتراكية الاستيزارية» او «الميلليرانية») ــ تكتيـــك انتهازي قوامـــه اشتراك الاشتراكيين في الحكومات البرجوازية الرجعية . نشا المصطلح لمناسبة دخول الاشتراكي الفرنسي ميلليران في سنة ١٨٩٩ في قوام حكومة فالدك ــ روسو البرجوازية . ــ ص ١٩٩ .

٣٩ ــ المقصود هنا نظرات واحد من ابرز ممثلي «الماركسية الشرعية» (او «الماركسية العلنية») ، هو ستروفه الذي اصدر سنة ١٨٩٤ كتاب ملاحظات انتقادية حول مسالة تطور روسيا الاقتصادي» .

www.kassioun.org

في هذا الكتاب ، وهو من بواكير مباحث ستروفه ، بدت بكل وضوح نظراته كمادح للبرجوازية . في خريف ١٨٩٤ ، انبرى لينين يفند نظرات ستروفه وغيره من «الماركسيين الشرعيين» في تقرير موجز قدمه لحلقة الماركسية في بطرسبورغ تحت عنوان «انعكاس الماركسية في الادب البرجوازي» . فيما بعد صار هذا التقرير الموجز اساساً للمقالة التي كتبها لينين في اواخر سنة ١٨٩٤ واوائل سنة ١٨٩٥ «مضمون الشعبية الاقتصادي وانتقادها في كتاب السيد ستروفه» .ـ ص ٢٠٠ .

٤٠ ـ المقصود هنا مقالة ل . مارتوف المنشورة في «الايسكرا» تحت عنوان «أهكذا ينبغي لنا ان نستعد ؟» . وقد وقف مارتوف فيها ضد تحضير الانتفاضة المسلحة في عموم روسيا ، معتبراً التحضير لمثل هذه الانتفاضة نوعاً من الطوباوية والتآمرية .ـ ص ٢٠٣ .

٤١ ـ يورد لينين هنا كلمات من قصيدة الشاعر الروسي لرمنتوف «الصحفي والكاتب والقارىء» .ـ ص ٢٠٣ .

٤٢ ـ يشار هنا الى القصيدة الهجائية «نشيد الاشتراكي الروسي الحديث» ، المنشورة في «زاريا» ، العدد الاول ، (نيسان ـ ابريل ـ ١٩٠١) بتوقيع «نرسيس توبوريلوف» . تسخر القصيدة من «الاقتصاديين» ومن تكيفهم للحركة العفوية . وناظم النشيد هو ل . مارتوف .ـ ص ٢١١ .

٤٣ ـ **اوبلوموف** ـ البطل الرئيسي في رواية غونتشاروف بالاسم نفسه . غدا اسم اوبلوموف رمزاً للتحجر والجمود وانعدام الحركة .ـ ص ٢١٣ .

٤٤ ـ المقصود هنا مقالة ل . مارتوف «في الدور» المنشورة في ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٠٤ في «الايسكرا» . في هذه المقالة دافع مارتوف عن «استقلال» اللجان الحزبية عن اللجنة المركزية لجع ادر في حل مسالة القوام الشخصي للجان المحلية ، وهاجم لجنة موسكو التي درست هذه المسالة واتخذت قراراً بخضوع

www.kassioun.org

لجنة موسكو لجميع اوامر اللجنة المركزية بموجب الفقرة ٩ من نظام الحزب الداخلي .ـ ص ٢١٧ .

٤٥ ـ انعقد **مؤتمر الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية في درسدن** من ١٣ الى ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٠٣ . وكانت مسألة تكتيك الحزب والنضال ضد التحريفية في محور انتباه المؤتمر . وفي المؤتمر تعرضت للنقد النظرات التحريفية التي قال بها برنشتين وهوره ودافيد وهاينه وغيرهم من الاشتراكيين-الديموقراطيين الالمان . الا ان المؤتمر لم يظهر في النضال ضد النزعة التحريفية ما يكفي من الحزم والانسجام ؛ فالمحرفون في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية لم يطردوا من الحزب ، واستمروا بعد المؤتمر في الدعوة لنظراتهم الانتهازية .ـ ص ٢١٨ .

٤٦ ـ **«Sozialistische Monatshefte»** («سوسياليستيشه موناتشيفته» ـ «المجلة الاشتراكية الشهرية») ـ مجلة ، لسان حال الانتهازيين الالمان الرئيسي ، واحدى صحف الانتهازية العالمية . صدرت في برلين من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٣٣ .ـ ص ٢١٩ .

٤٧ ـ **«Frankfurter Zeitung»** («فرانكفورتر زايتونغ» ـ «جريدة فرانكفورت») ـ جريدة يومية . لسان حال كبار رجال البورصة الالمان . صدرت في فرانكفورت على الماين من سنة ١٨٥٦ الى سنة ١٩٤٣ . استأنفت صدورها منذ سنة ١٩٤٩ باسم „Frankfurter Allgemeine Zeitung“ («فرانكفورتر آلغيماينه زايتونغ» ـ جريدة فرانكفورت العامة») . وهي بوق الاحتكاريين الالمان الغربيين .ـ ص ٢٢٤ .

٤٨ ـ المقصود هنا «الدستور المقتضب لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا» الفكا هى الذي كتبه ل . مارتوف وصدر كملحق لمقاله «في الدور» («الايسكرا» ، العدد ٥٨ ، ٢٥ كانون الثاني ـ يناير ١٩٠٤) . تهكم مارتوف بالمبادىء التنظيمية البلشفية وتشكى من الموقف غير العادل ، حسب زعمه ، من

www.kassioun.org

المناشفة ، وكتب في «دستوره» عن «الراكبين» و«المركوبين» قاصدا البلاشفة والمناشفة . ــ ص ٢٢٨ .

٤٩ ــ **تريبوف ف** . ــ حاكم مدينة بطرسبورغ . في عام ١٨٧٨ اطلقت عليه فيرا زاسوليتش النار ، احتجاجاً على اهانة المعتقل السياسي بوغوليوبوف . ــ ص ٢٤٧ .

www.kassioun.org

محتويات

مقدمة ٣

أ ـ تحضير المؤتمر ٧

ب ـ اهمية التكتلات في المؤتمر ٩

ج ـ بداية المؤتمر . ـ حادث اللجنة التنظيمية . . . ١٣

د ـ حل فرقة «يوجني رابوتشي» ٢٣

هـ ـ حادث المساواة بين اللغات ٢٦

و ـ البرنامج الزراعي ٣٤

ز ـ النظام الداخلي للحزب . مشروع الرفيق مارتوف . . ٤٣

ح ـ النقاش حول المركزية **قبل** الانشقاق بين الايسكريين . ٥٣

ط ـ الفقرة الاولى من النظام الداخلي ٥٦

ي ـ الابرياء الذين تألموا لاتهامهم باطلاً بالانتهازية . . ٨٢

ك ـ مواصلة المناقشات حول النظام الداخلي . قوام المجلس . ٩٤

ل ـ نهاية المناقشات حول النظام الداخلي . التعيين الداخلي في المركزين . انسحاب مندوبي «رابوتشييه ديلو» . . . ١٠١

م ـ الانتخابات . اختتام المؤتمر ١١٦

ن ـ لوحة عامة عن الصراع في المؤتمر . الجناح الثوري والجناح الانتهازي في الحزب ١٤٨

س ـ بعد المؤتمر . اسلوبان في النضال ١٦٣

ع ـ يجب ان لا تحول المنفصات الصغيرة دون اللذة الكبرى . ١٨٥

ف ـ «الايسكرا» الجديدة .الانتهازية في قضايا التنظيم . . ١٩٨

ص ـ بعض كلمات حول الديالكتيك . انقلابان ٢٣٣

ملحق . حادث الرفيق غوسيف ـ الرفيق دويتش ٢٤٠

ملاحظات ٢٥١

www.kassioun.org

В. И. Ленин

ШАГ ВПЕРЕД, ДВА ШАГА НАЗАД

На арабском языке